

الإرهابيون الأوائل
جيانغ تشا الجدد

الطبعة الاولى يناير ١٩٨٧

الطبعة الثانية يناير ١٩٩٥

الناشر: المكتب المصري الحديث

٢ شارع شريف بالقاهرة، تليفون ٣٩٣٤١٢٧

٧ شارع نوبار بالاسكندرية ٤٨٢٦٦٠٢

فاكسيل ٣٤٧٥٤٢٧ (٠٠٢٠٢)

وجيه أبو ذكري

الارهابيون الأوائل

جيرانتنا الجدد!

المكتب المصري الحديث

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو نقله على أى نحو سواء بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابةً ومقدماتاً .

الناشر

أحمد يحيى

المكتب المصرى الحديث

٢ شارع شريف عمارة اللواء - القاهرة - مصر

تليفون : ٣٩٣٤١٢٧

فاكس : ٢٠٢/٣٤٧٥٤٢٧

الاهداء

الى شهداء الارهاب الاسرائيلي ...
الى شهداء ما قبل وبعد السلام المحير ...
الى شهداء مجزرة الحرم الابراهيمي ...
اهدى هذه الأوراق ...

وجيه أبو زكري

يناير ١٩٩٥

مقدمة الطبعة الثانية

كنا ثلاثة نتحدث عن التسبب الوطني ، الذي حدث لبعض الكتاب والفنانين والمخرجين ورجال الأعمال ، الذين زاروا إسرائيل وعادوا منبهرين بالحياة داخل إسرائيل وأصدروا كتباً ، وكتبوا مقالات غزل للحياة هناك !!
وكان المتحدثون الثلاثة هم : الناشر أحمد يعقبي ، والمفكر الدكتور مرسى سعد الدين ، وكاتب هذه السطور . واقتراح أحدهم أن أقوم بزيارة لإسرائيل ، وأعود لأقدم إسرائيل - في كتاب - بعيون مصرية واعية ، ورفضت الفكرة . فما زال هناك حاجز نفسى يمنعنى من زيارة إسرائيل ، وخاصة أن إسرائيل - منذ كامب ديفيد - حتى الآن لم تقدم حسن النوايا لإقامة سلام حقيقى وجاد ، بين العرب وبينهم رغم أنها عقدت اتفاقيين هاميين للسلام بين الأردن ، وبين منظمة التحرير الفلسطينية .

وحق فى الاتفاقيين (الفلسطينى والأردنى) ، لم تكن إسرائيل خالصة النية ، استأجرت - بموجب الاتفاق - أرض أردنية ، لا يعلم أحد متى تخرج منها ، وأعطت للمنظمة السلطة فى قمع الانتفاضة ، وطالبتها بردع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة الذين يرفضون الاحتلال الإسرائيلى لأرضهم وديارهم . وانسأقت السلطة الفلسطينية فى الطريق الذى رسمته إسرائيل ، واستطاعت أن تعيد إلى الأذهان الحرب أو الحروب الفلسطينية ، وسقطت السلطة الفلسطينية فى الكمين الإسرائيلى . وسقط معها رجال الانتفاضة الفلسطينية .

أعود إلى ما بدأنه : رفضت فكرة زيارة إسرائيل ، فلم أتمكن من هدم الحاجز النفسى بينى وبين بنى إسرائيل ، لقد شاهدتهم - على مدى سنوات عمرى - وهم يقتلون الأبرياء ، شاهدت ضحايا قنابلهم فى دور العرض المصرية ، شاهدت طائراتهم وهم تلقى بالنابالم على جنود مصر وهم عزل بلا سلاح ، شاهدت « الفرسان » وهم يطلقون نيرانهم على شباب الأرض المحتلة ، وقرأت عن تاريخهم الإرهابى ما يجعل من الحاجز النفسى ، سداً منيعاً يصعب اقتلاعه .

وهنا . . جاء الناشر أحمد يحيى بنسخة من هذا الكتاب الذى صدر منذ ثمان سنوات ، واستقبله القراء استقبالا فاق كل توقعاتى وقال :

- ما رأيك أن نرد على الكتب التى صدرت فى الآونة الأخيرة بعيون هؤلاء الذين تسيبوا وطنياً ، وانبهروا بإسرائيل ، وحاولوا تسويقها لنا على أنها واحدة الديمقراطية والحرية والتقدم وحامية حقوق الإنسان !
قلت : كيف ؟

قال : أن نعيد إصدار هذا الكتاب ، لنرد على تلك الكتب الرخيصة التى تملأ المكتبة العربية .

قلت : أتمنى ذلك .

وعلى الفور بدأت إعداد كتاب « الارهابيون الأوائل . . جيراننا الجدد » للنشر ، وما أضفت إليه بجديد سوى بعض صفحات قليلة ، فلقد وجدت أن الأمر لا يحتاج إلى إضافة ، فلم يتغير شيء داخل إسرائيل أو داخل صدور الإسرائيليين .

لقد تجمعوا حول الإرهاب . . وعاشوا به . . ويعيشون الآن - حتى بعد ثلاث اتفاقات للسلام - على الإرهاب . . وأقول أنهم - إن طال الزمن أو قصر - سيقضى عليهم الإرهاب . . فلا أذكر أن هناك دولة عاشت واستمرت على عنفوان الإرهاب .

وجه أبوذكرى

يناير ١٩٩٥

مقدمة الطبعة الأولى

العالم ينسى .. أو هو يريد ذلك !!
والعالم يرى الآن أن العربي مرادف تماماً لكلمة إرهابي ..
إذا سافرت إلى أى دولة أوربية — كعربي — فإنك تدور في سلسلة أمنية لا نهاية لها .
وكأنك قادم من دولة أصيلة في الإرهاب وانتهاك أبسط حقوق الإنسان .
ولقد سافر عربي من إسرائيل ، بملاحه الشرقية وجواز سفره الإسرائيلي ، إلى إحدى الدول
الأوربية ، فأخرجوه من الطابور تمييز ملاحه ، ليدخل السلسلة الأمنية في المطار بوصفه
عربياً ، وما أن قدم لهم جواز سفره الإسرائيلي حتى انحنوا له واعتذروا وتأسفوا لأنهم تصوروا أنه
قادم من إحدى الدول العربية ، وليس من إسرائيل « منارة الشرق » وواحة « الحرية »
وحصن « حقوق الإنسان » !!

ومعنى ذلك أن العالم سرعان ما ينسى .
فلقد نسى العالم أن الشرق كان شرقاً حالملاً لا يعرف العنف والإرهاب .
وأن جذور الإرهاب قد بدأت تدق أبواب الشرق بعنف شديد مع قدوم سكان الجيتو
إلى فلسطين .

ومعنى ذلك أن العالم قد نسى دير ياسين وكفر قاسم وقبية وغزة وشرم الشيخ وسعسع
والسموع واللد والرملة ..

ومعنى ذلك أن العالم قد نسى أبشع مذبحة في كل التاريخ البشري وهي مذبحة صبرا
وشاتيلا .

* * *

من هنا .. كان نسيان العالم لمذابح اليهود في الشرق هو دافعي ومشعبي لتقديم هذا
الكتاب ، لا لقراء العربية فحسب ، بل لقراء الفرنسية والإنجليزية والألمانية ، فإن الناشر
الشجاع ، الأستاذ أحمد يحيى يضع أصول هذا الكتاب بين أيدي عدد من أساتذة
جامعات مصر ، لترجمته إلى ثلاث لغات ليكون رسالة عربية إلى كل دول العالم عن
جيراننا الجدد !!

وجيه أبو ذكري

القاهرة يناير ١٩٨٧

الفصل الأول

جذور الإرهاب الإسرائيلي

في كل ليلة ، نصدق من قبورنا حيث دفنا ؛
لشرب دماء هؤلاء الجزائريين ؛
حتى تسكر أرواحنا
توضع من أنهار الدم ..
رشقة .. رشقة ..
وقطرة .. قطرة ..

* * *

« الشاعر الصهيوني »
شاؤول تشرنومسكي

الفصل الأول

جذور الإرهاب الصهيوني

عدت إلى فندق «أبو نواس» ، حيث يقع على الساحل التونسي من البحر المتوسط^(١)، بعد لقاء طويل مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وخلال هذا اللقاء تحدثنا عن هموم القضية الفلسطينية ، وسألته عن اتهام الغرب للمنظمة بالإرهاب ، وأذكر أنه قال أن المنظمة لم ترتكب عملاً إرهابياً واحداً ، ولكنها قامت بآلاف العمليات العسكرية داخل أرضنا المحتلة ، وهناك خيط رفيع بين العمل العسكري التحرري ، وبين الإرهاب ، فإن عمليات الجناح العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية قد تمت داخل الأرض المحتلة ، وضد أهداف عسكرية ، ولم يحدث أن قمنا بغير ذلك .

ذكرت لقائد الثورة الفلسطينية ، بعض الأعمال التي توصف بالإرهاب ، خاصة تلك التي حدثت في بعض الدول الأوربية . فقال : نعم هؤلاء فلسطينيون ولكن ليس لدينا سجون يمكن أن تحكم على الفلسطيني الثائر بالسجن ، ثم نودعه فيه .

ثم قال عرفات : الثورة الفلسطينية ملتزمة باتفاق القاهرة^(٢) ، والشئ المهم من أدخل الإرهاب إلى الشرق الأوسط .. هل الفلسطينيون أم اليهود ؟

نعم .. من أدخل الإرهاب في الشرق الأوسط ؟

نعم .. من هم رواد العنف السياسي في شرقنا العربي ؟

عدت من تونس ، وقد قررت أن أبحث عن إجابة علمية وتاريخية عن هذا السؤال ؟

من هم رواد العنف السياسي في شرقنا العربي ؟

وبدأت رحلة البحث عن مراجع تجيب على هذا السؤال ، وقررت أن تكون معظم مراجعي في هذه القضية إما إسرائيلية ، وإما غربية ، وبعد عدة أسابيع قليلة وجدت بحاراً من المراجع ، تجيب دون عناء على هذا السؤال ، بل إن المراجع نفسها تؤكد أن العنف السياسي قد اقترن باليهود منذ فجر التاريخ ، بما دفع برميس فرعون مصر إلى طردهم من وادي النيل .

(١) مايو ١٩٨٦ .

(٢) نص الاتفاق في المراجع .

لذلك .. قررت اختيار فترة زمنية محددة تحجب بكل وضوح على هذا السؤال ، وكانت الفترة هي من وعد بلفور حتى أحداث صبرا وشاتيلا وفضيحة شن بيت (جهاز الأمن الاسرائيلي) .

ثم .. لماذا هذا الكتاب في هذا الوقت بالذات ، خاصة أن هناك « انفراج » عربيا اسرائيليا ؟ .. فسيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل قد زار المغرب^(١) وأجرى مباحثات مع الملك الحسن الثاني ملك المغرب !! ثم هناك محادثات عربية إسرائيلية سرية !!

وإجابتي على هذا السؤال ، بأن العالم العربي كثيراً ما ينسى وهو في حاجة إلى من يذكره بالماضي القريب ، ليضع في حساباته أحداث الماضي لتتير له الحاضر وطريق المستقبل . فإن أكبر كارثة ممكن أن تحمل بأمة ، أن تنسى شعوبها الماضي ، أو تتناسى هذا الماضي ، ولا تستفيد منه في الحاضر والمستقبل .

وإن أكثر الدول استغلاً لأحداث الماضي ، هي إسرائيل ، فهي مثلاً ، احتلت فلسطين من أغرب منطق تاريخي ، وهي أنها عاشت على أرض فلسطين منذ أكثر من ألفي عام ، وظلت تذكر الأجيال ، جيلاً بعد جيل بأن فلسطين هي أرض « شعب الله المختار » وأنهم لا بد أن يعودوا إليها يوماً ما ، وأن فلسطين أرض بلا شعب ، واليهود شعب بلا أرض .

وإسرائيل — حتى هذه اللحظة — لم تترك مناسبة ، ولا وسيلة إعلامية ، إلا وأحضرت أسطورة حرق ستة ملايين يهودي في معارك النازية ، والتي أقامها هتلر لهم . ورغم أن المسألة لا تعدو أن تكون أسطورة ، إلا أنهم حفروا هذه الأسطورة في أذهان العالم ، وحولوها إلى حقيقة ، يصعب الآن تكذيبها ، وهناك من يقول أن هتلر قد أقام هذه الأفران لحرق جثث الذين ماتوا بالطاعون .. حتى لا ينتشر هذا الوباء ، والذي لم يكن له علاج في ذلك الوقت .

وكان الطاعون قد انتشر بين أفراد الجيش النازي ، وهدد ألمانيا النازية بكارثة ، ثم انتقل هذا المرض إلى أفراد الشعب الألماني — بما فيهم اليهود — فقرر هتلر إقامة عدة معارك لحرق جثث مرضي الطاعون في محاولة للقضاء على هذا المرض ، في هذه الفترة كانت المعركة الإعلامية على أشدها بين ألمانيا النازية ، والدول المتحالفة ، فكان لا بد من « التقاط » إقامة المحارق وحرق الجثث لإثبات أن هتلر كان يحرق الأحياء أعداء النازية .

(١) يوليو ١٩٨٦ .

في ذلك الوقت ، كان أشد أعداء النازية هم يهود ألمانيا^(١) ، وفي نفس الوقت فإن من عادات اليهود تقديس « الموتى » .. بل إنهم دخلوا المعارك للحصول على جثة ، فكان حزن اليهود عظيماً عندما يتقرر حرق جثة يهودي مات بالطاعون .

مع الإعلام المضاد للنازية ، ومع كراهية النازية لليهود ، ومع تقديس اليهود لجثث موتاهم ، ظهرت أسطورة حرق ملايين اليهود في محارق أو أفران النازية .

* * *

ومن بين المراجع أو نهر المراجع ، كان الكتاب الإسرائيلي « الإسرائيليون الأوائل » ، ومؤلفه الكاتب الإسرائيلي توم سيجف^(٢) . بعد أن قرأت هذا الكتاب ، شعرت أنني أقرأ أول دراسة شبه موضوعية عن الولادة العسرة لإسرائيل ، ولقد حاول المؤلف تمجيد « رواد إسرائيل الأوائل » « الذين تمكنوا بالإصرار والعمل والعطاء من إقامة إسرائيل - ولكنه أي الكاتب - حاول إغفال « الإرهاب » في إقامة إسرائيل ، ورغم ذلك فلقد أدت موضوعية هذا الكتاب أحياناً ، إلى الاعتراف بالإرهاب كأحد الأساسيات التي مهدت « للأوائل » في أن يقيموا دولة إسرائيل .

والكاتب توم سيجف ، عاش فترة طويلة بين أرشيف دولة إسرائيل والأرشيف الصهيوني المركزي ، وأرشيف الجيش الإسرائيلي ، وأرشيف الهاجناه .. مهد تراث بين جوربون وأرشيف حزب العمل وأرشيف الكيبوتز ، والأرشيف المركزي لتاريخ الشعب اليهودي ، فإذا به أمام وثائق خطيرة ، كان يصعب عليه أن يتجاهلها ، فجاءت - في تقديري - أول اعتراف إسرائيلي بالإرهاب .

* * *

لقد اعتبرت ما جاء في كتاب توم سيجف عن الإرهاب الإسرائيلي ، خطوة عمل انطلقت بعدها ، أجب على السؤال التالي :

● من جاء بالعنف السياسي في شرقنا العربي ؟

(١) قامت النازية على التفوق العرقي ، وأنهم أرق شعوب الأرض وينافسهم في ذلك اليهود حيث يعتقدون أنهم شعب الله المختار وكان هذا أحد الأسباب في تناقل الكراهية بين الحركتين النازية والصهيونية .

(٢) صدر بالعبرية في إسرائيل عام ١٩٨٤ ، عن دار دومينو للنشر - القدس وقام بترجمته عن العبرية ، خالد عايد ورضا سليمان ، ورنده حيدر شرارة وكال إبراهيم وراجعه سمير جبور ، وقدم له الدكتور محمد المجلور ، إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

وإجابة هذا السؤال .. سوف تشمل صفحات هذا الكتاب .. إلا أن سؤالاً هاماً لابد من طرحه ليكون مفتاحاً لهذا الكتاب .. والسؤال هو .. من زرع هذه النزاع الإرهابية في نفوس اليهود ؟

والجواب .. دون عناء .. هم حاخامات اليهود عبر التاريخ .. وهؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم مرة حكماء اليهود .. أو حكماء صهيون .. أو حفظة العهد القديم .. على هؤلاء تقع الروح الإرهابية لدى اليهود .. لماذا ؟

إن الوحي ليس المصدر الحقيقي لأسفار العهد القديم^(١) ولكن هذه الأسفار من وضع أجيال متعددة ، وأضيفت إليها قرارات المحافل اليهودية ، فلقد كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصبح جزءاً من أسفار العهد القديم ، ثم تمخض عن العهد القديم ما عرف باسم « التلمود » وبعدها قرارات بروتوكولات حكماء صهيون ، وأصبح هذا الميراث الضخم هو الذي يحدد سلوك اليهود في كل بقاع العالم ، وعبر التاريخ الإنساني ..

فإن حاخامات اليهود ، قد وصفوا الرب بأنه (رجل حرب)^(٢) بل وإنه أمرهم بالآتي :

● التجسس : « ثم كلم الرب موسى قائلاً : أرسل رجالاً ليتجسسوا على أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل »^(٣) ثم يشرح لهم « الرب » طريقة التجسس فيقول :

« انظروا الأرض ما هي ، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها جيدة أم رديئة ، وما هي المدن التي هو ساكن فيها محييات أم حصون »^(٤).

● إجلاء الشعوب : يقول سفر التثنية « الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك ، ويرفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء » .. « الرب إلهك هو العابد أمامك ناراً آكلة ، هو يعيدهم ، ويذلمهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كلما كلمك الرب » .

● العنف : « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة رجل اقتلواها » .

(١) مقارنة الأديان « اليهودية » للدكتور أحمد شلبي - ص ٢٦٤ .

(٢) الشخصية اليهودية الإسرائيلية - د. رشاد عبد الله الشامي .

(٣) نفس المرجع

● **الحديعة :** في سفر التثنية أيضاً « وحين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح ، فإن إجابتك لصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بعد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها ، فتضعها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطهاها الرب إهلك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما .

● **القوة :** جاء في سفر صمويل « تول ودوس يا بنت صهيون لأنني أجعل قرنك حديداً ، أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرة ، غنيمتهم للرب وتردعهم لكل الأرض » .

* * *

هذه القيم ، قد توارثها اليهود جيلاً بعد جيل ، بل أن اليهود يعتبرون يشوع بن نون أحد القادة العسكريين العظام ، فعندما دخل يشوع أريحا ومقيدة - كما جاء في العهد القديم - « وقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بعد السيف » .

* * *

هذه المعاني والقيم قد توارثتها أجيال اليهود عبر التاريخ ، وأصبحت جزءاً من عقيدتهم ، وسلوكاً مع كل البشر ، وهذه القيم هي أساس التعامل اليهودي في كل العصور ، وقد شكلت هذه العقيدة شخصية اليهودي في كل أنحاء الدنيا ، ولكن كل هذه الشرور التي جاءت في العهد القديم لم تكن كافية « لحكماء اليهود » فأصدروا تعليمات جديدة ، عرفت « بالتلمود » واعتبرها اليهود استكمالاً لإتعاليم سيدنا موسى عليه السلام ، وبدأت عام ١٥٠ ميلادية ثم أضاف عليها الحاخامات بعد ذلك تفسيرات أخرى ، حتى استقرت على ما هي عليه الآن ، ويعتبر اليهود في كل مكان في العالم أن « التلمود » كتاب مقدس لا يقل قدسية عن التوراة .

فماذا يقول التلمود ؟

يقول التلمود : إن الله في حالة ندم دائم لما أنزل باليهود وبالمسيح وأن الله هو مصدر الشر والخير معاً ، وأن أرواح اليهود تختلف عن بقية أرواح البشر لأنها جزء من الله ، ويطالب التلمود اليهود في كل مكان أن تكون سلطة حكم الأرض في أيديهم ، فإن لم تكن لهم

السلطة فهم في حياة النفي والأسر ، وعليهم أن يعيشوا في حرب مع باقي الشعوب حتى يصبح لهم الثراء والسلطان .. ويعتبر التلمود المسيحيين من نسل الشيطان ..

التلمود يقدس « الجنس اليهودي » ، فالفرق بين اليهودي وغير اليهودي ، هو الفرق بين الإنسان والحيوان ، ويطالب التلمود اليهود بعدم الرحمة مع أعدائهم ، ولا يقدم اليهودي الصدقة لغير اليهودي ، وأن اليهودي جزء من الله ، والله يملك الأرض ومن عليها ، وبالتالي فهذه الملكية حق لليهود وحدهم . وسمح التلمود بسرقة غير اليهود والربا وغش غير اليهودي ..

* * *

في القاهرة ، اتصل بي طبيب أسنان يهودي مقيم في مصر ، وطلب مني أن أحضر أحد أعيادهم الشعبية في المحلة الكبرى ، وكان ذلك عام ١٩٦٤ ، - وذلك ليعرف العالم التسامح الديني الموجود في مصر منذ فجر التاريخ - . وذهبت إلى الطبيب ، والتقيت به في منزله بمدينة المحلة الكبرى الموجودة في دلتا مصر وسألته عن بروتوكولات حكماء صهيون ، هل هي حقيقة أم هي نوع من الخيال ، وهل هي مدسوسة على اليهود ، كما تدعي إسرائيل ، أم أنها حقيقة ؟

فقال لي الطبيب اليهودي الذي رفض الهجرة إلى إسرائيل ، إن هذه البروتوكولات موجودة في المعابد اليهودية في كل أنحاء العالم بما في ذلك مصر ، وأن حاخامات المعابد يحفظونها عن ظهر قلب ، ولأنها بروتوكولات سياسية فإن الحاخام يشرح الكثير منها في أيام السبت دون أن يذكر أن هذه هي البروتوكولات .

هذه البروتوكولات ، ظلت من الأسرار ، ويقال إنه بعد مؤتمر « بال » الذي عقد عام ١٨٩٧ ، اجتمع « حكماء صهيون » ووضعوا هذه البروتوكولات ، وكانت هذه البروتوكولات رداً على معاناة اليهود في دول العالم ، فلقد قرر هؤلاء الحكماء تدمير العالم الذي أساء إليهم ، وظهرت مطبوعة بالفرنسية عام ١٩٠٥ ، ثم اختفت ، ثم ظهرت عام ١٩١١ في روسيا القيصرية ، ثم منع صدورها الشيوعيون عندما استولى الشيوعيون على الحكم عام ١٩١٧ ، ثم صدرت بعد ذلك بعدة لغات ، بما فيها العربية^(١) ، ولكن نشر هذه البروتوكولات قد توقف عام ١٩٢١ فيما عدا العربية ..

باختصار شديد ، فإن هذه البروتوكولات - ومعني نسخة منها - هي دعوة لتدمير العالم ، وسيطرة اليهود على هذا العالم ، لأنهم الشعب الأقوى .. الشعب العبري ، شعب الله المختار ، وللوصول إلى ذلك - فلقد أباحت البروتوكولات كل الوسائل غير المشروعة - لتحقيق الحكومة اليهودية العالمية التي تسيطر على هذه الأرض .

(١) أول ترجمة للعربية لهذه البروتوكولات ، ترجمها محمد خليفة التونسي (مكتبة الخانكي - القاهرة) .

لست هنا أقوم ببحث عن صحة أو عدم صحة هذه البروتوكولات ، ولكن هي تأتي منسجمة تماماً مع الفكر اليهودي الذي جاء في العهد القديم وفي التلمود .

* * *

لقد أدت كل هذه الأفكار باليهود إلى اعتبار أنفسهم « أرق شعوب العالم » فانعزلوا عن بقية الشعوب التي يعيشون على أرضها ، ولذلك فقد سلكوا مسلك « الجالية في أوطانهم واعتبروا « اليهودية » جنسية تبحث عن أرض ، لذلك رفضوا الاندماج في شعوبهم ، وأقاموا لهم مجتمعاً خاصاً بهم عرف « بالجيئو » . وتسببت هذه الانعزالية إلى مشاكل لا حصر لها ، وأدت بالتالي إلى اضطهاد الجاليات اليهودية في كثير من الدول الأوربية ، بل وصل الاضطهاد أحياناً إلى حد المذابح الجماعية كما في أسبانيا وألمانيا وروسيا القيصرية ، ونعت اليهود بنعوت قاسية على أي شعب ، أدى الشعور بالاضطهاد إلى تنمية روح الثأر لدى اليهودي ، والثأر من البشرية بأسرها ، وأذكى هذا الشعور روح العنف والإرهاب .

لهذا .. فإن كارل ماركس - وهو يهودي ألماني - قد وجه عدة نصائح لليهود في كل أنحاء العالم^(١) . قال ماركس :

« ليس اليهودي هو الذي يسعى إلى التحرر من غير اليهود ، وإنما المجتمع الإنساني هو الذي ينبغي عليه أن يسعى ليتحرر من اليهود » .

« المال هو إله إسرائيل المطاع ، وأمامه لا ينبغي لأي إله أن يعيش » .

* * *

كل ما سبق من أسباب ، أدى إلى توارث روح العداء والكراهية والعنف والإرهاب في تكوين شخصية اليهودي .. ولما كانت فلسطين مسرحاً لممارسة الإرهاب وزرعه في شرقنا العربي ، ومن هذا الباب دخل الإرهاب إلى الشرق الحالم .

* * *

والآن .. وقد قدمنا - بما لا يدع مجالاً للشك - ارتباط العنف والحقد في نفوس اليهود .. بسبب التعليمات « المقدسة » ، التي ابتكرها عبر السنين حاخامات اليهود ، وأكدوا خلالها أن اليهودية جنسية تبحث عن أرض الميعاد ، وليست ديانة ممكن أن تتعايش مع بقية الأديان في وطن واحد .. لذلك فإن هذه المعتقدات قد جعلت من مسلك اليهود في الدول التي عاشوا فيها مسلماً مختلفاً عن بقية أبناء الوطن ، واعتبروا أنفسهم شعباً مميزاً

(١) كارل ماركس - المسألة اليهودية .

قائماً بذاته في حالة شتات حتى يعود إلى أرض الميعاد .. ومن هذه الظواهر الكثيرة فلقد اخترت عدة ظواهر :

• ظاهرة الجيتو :

وهي انعزال اليهود في مكان خاص بهم ، أطلق عليه « الجيتو » وهي كلمة مشتقة عن الكلمة الإيطالية « يورجيتو » وتعني حياً من أحياء المدينة ، ولقد أقام اليهود - بإرادتهم - أول حي يهودي في البندقية عام ١٥١٦ ..

وفي الجيتو يسكن اليهود الفقراء والأغنياء ويقومون بطقوسهم بخفية بل إنهم اعتبروا الجيتو دولة خاصة بهم ، يفضون خلافاتهم داخلها ، ويقوم حاخام الجيتو بدور الحاكم للجيتو ، ورغم قذارة الجيتو اليهودي ، ورغم كثافة سكانه ، إلا أن اليهودي كان يشعر فيه بسعادة ، فكل ما فيه يهودي .. وقد أدى ذلك إلى زيادة الانفصال عن بقية الشعوب الأخرى ..

وفي الجيتو يتعلم اليهودي في المدرسة اليهودية الملحقة بالمعبد كل التعاليم اليهودية ، والتاريخ اليهودي ، واللغة اليديشية ، ويتحدث بها ، ولا يقترب على الإطلاق من تاريخ البلد الذي يعيش فيه ، أو يدرس مشاكله أو حتى ياتحق بمدارسه ، وقد لخص دافيد فرايد لندر المقررات الفكرية لطالب المدرسة التلمودية أو مثقف الجيتو^(١) في القرن التاسع عشر على النحو التالي :

« كان في إمكان الطالب أن يغني فيما إذا كان من الواجب رجم أم حرق ابنة الحاخام الزانية ، ولكنه في الوقت ذاته كان لا يعلم شيئاً عن تاريخ البلد الذي يعيش فيه ، وحينما كان يتعلم يهودي الجيتو لغة جديدة فإنه كان يتعلم اللغة العبرية ، أما لغة الأغيار^(٢) فإن تعلمها يعد كفراً يستحق اليهودي عليه حرق عنيه .

وكان الحديث داخل الجيتو يتم باللغة « اليديشية » ، وفي الجيتو كل شيء مختلف تماماً عن خارجه ، طريق الملبس ، والحلاقة ، ونوع الطعام واللغة ، بالإضافة إلى نوع العمل الذي يقوم به اليهود داخل « الجيتو » .

لذلك فإن اليهودي ما كان يشعر بالأمان خارج الجيتو ، بل كان يؤمن بأن كل ما هو خارج الجيتو معارض له ، يريد أن ينزل به الهلاك . لذلك فإن الروح العدائية قد تأصلت داخل نفسية اليهودي تجاه الشعب والأرض الذي يعيش عليها .. بل إنهم يطلقون على غير

(١) موسوعة المفاهيم المصطلحات الصهيونية - د. عبد الوهاب محمد المسيري .

(٢) غير اليهود .

اليهود « الجويم » ، وهي تعني جموع الجراد ، ثم أصبح المعنى يطلق على السوق والأشجار والأعداء ، ثم أضاف عليها حاخامات اليهود معنى آخر هو القذارة المادية والروحية والكفر ..

وعلى مدى السنوات والقرون ، حدث انفصال تام بين « سكان الجيتو » وشعوب العالم ، وشكل ذلك خطورة على اليهود أنفسهم ، مما دفع بعض المفكرين اليهود إلى القيام بحركة تنوير بين اليهود أنفسهم ، ونسف أسوار الجيتو .. والاندماج مع شعوب العالم ، والفصل بين الدين والقومية ، والمطالبة باندماج اليهود في القوميات الأخرى^(١) ، ولكن سرعان ما فشلت هذه الحركة من تحقيق الحل الاندماجي ، فلقد أكدوا أن سبب فشل هذه الحركة يعود إلى معاداة العالم بأسره لليهود ، وظهر قادة من اليهود يحاربون الحل الاندماجي وخطورة ذلك على اليهود كدين وقومية .. ومن بين دعاة رفض الاندماج الشاعر الصهيوني حيم نحمان بياليك ، وهو محل تقديس في إسرائيل الآن ، وله عدة قصائد تغني في إسرائيل حتى الآن ، وتحتفل به المؤسسات الثقافية الإسرائيلية ..

وقد كتب بياليك^(٢) « عدداً من القصائد التي تناول الدعوة لرفض الاندماج في الشعوب ، تنطوي - العقيدة - على السخط والغضب على اليهود المستبدلين المستضعفين الخائعين المستسلمين للذبح والمعاناة على يد الشعوب .

ومن أشهر هذه القصائد ، قصيدة « في مدينة الذبح » التي كتبها عام ١٩٠٣ ، في هذه القصيدة يتنبأ بالانتقام اليهودي من كل شعوب العالم ، وهو انتقام سيجعل الدم يغور إلى الأعماق .

ملعون هو من يقول : انتقم
إن انتقاماً كهذا هو ثأر لطفل صغير
لم يخلق الشيطان بعد .
يجعل الدم يغور إلى الأعماق
ويشق طريقه إلى القيعان المظلمة
ويأكل في الظلام ويبش هناك
كل موجودات الأرض المتحللة .

(١) سميت هذه الحركة « بالهسكاله » ، وقد بدأت في القرن الثامن عشر ، وفي ألمانيا بصفة خاصة .

وأصبح هذه الحركة الأتباع في النمسا وروسيا القيصرية بل وأسبانيا ..

(٢) الشخصية اليهودية الإسرائيلية - د. رشاد عبد الله الشامي .

وقد ووجه زعماء حركة التنوير بسيل من النظريات المضادة ، بل إن هذه الحركة قد أخرجت ما في صدور اليهود من حقد على البشرية جمعاء .. إن قصيدة للشاعر شاؤول تشرنوخو فسكي بعنوان « فليكن هذا هو ثأرنا » تقول القصيدة^(١) :

سيأتي اليوم
الذي تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك
وتغرس حد سكينك في عنق أخيك
ابن أمك ، كأنك تذيب خمزيرك المفضل
في عيد القيامة ، في القاء أو في ميدان القرية
وسيكون رنين أنات موته مثل الموسيقى
أو المهرجانات في أذنيك الملهفتين
يا يوم الثأر .
يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التي علاها الشيب
ويرفع في وجهك قبضته الصلبة مهدداً .
ويناديك من حنجرته الحيوانية
« أيها الشرير » وأنت تذرّف الدمع
أمام كل الناس
يا يوم الثأر والعقاب
حين تعرض إبتك الحبيبة نفسها ، عاهرة ضعيفة
ملكها الرغبة العازمة ، وسكرت من الخمر
وأخذت تهمهم لك بكل قصص الزنا
تلك التي ارتكبتها
هو هو ثأرنا
نرته جيلاً بعد جيل

* * *

نعم .. لقد أورثوا « الثأر » جيلاً .. بعد جيل .. وأصبح من سمات اليهودي العنف .. وهذا الشاعر أحد أهم شعراء اليهود ، ولكن له قصيدة أخرى أخطر وأقوى .. تقول القصيدة^(٢) :

(١) المصدر السابق .

(٢) تحكي مأساة يهودي أجبر على اعتناق المسيحية .

فلترسل يا الهي
 فلترسل سيفك لتأثر منهم
 ولتركههم في بؤس شديد دون ذرية
 فلتصب حثقتك على الأمم التي لا تتركك
 ولتصب غطيتك على الممالك التي لا تنادي باسمك
 لأنهم قد دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصب يعقوب
 ثم يصف في هذه القصيدة كيف سيكون الانتقام من كل شعوب الأرض :

في كل ليلة ، تصعد من قبورنا حيث دفنا
 لشرب دماء هؤلاء الجزايرين حتى تسكر أرواحنا
 نرضع من أنهار الدم ، رشفة رشفة ، قطرة قطرة

* * *

إذا كانت هناك بلاغة سوداء ، فهي ممثلة في بيت الشاعر الصهيوني شاول
 تشرنخوفسكي عندما يطالب يهود العالم أن يرضعوا من أنهار دم ضحاياهم .. من دم
 البشرية كلها ، رشفة .. رشفة .. وقطرة .. قطرة

إن « أدب الجيتو كله » ، يحرض على الانتقام من كل البشرية ، ويطالب بتوريث الشعب اليهودي
 أن يشرب من أنهار دماء البشرية رشفة .. رشفة .. وقطرة .. قطرة ..

* * *

• • ظاهرة التجارة :

اشتغل اليهود بالتجارة عبر التاريخ ، انتظاراً للعودة إلى أرض الميعاد .. ورفضوا العمل
 في غير التجارة لسهولة نقل الأموال والتجارة من مكان إلى آخر حتى أصبحت كلمة
 تاجر مرادفة لكلمة يهودي^(١) ، والتجارة تراث يهودي ، فعلى الواح تل العمارنة بمصر ،
 جاء ذكر اليهود على أنهم بدو رحل يقومون بالرعي والتجارة ، كما جاء في سفر الأمثال
 « إن كل من يبحث عن المتعة سيصاب بالفقر » .

وجاء في التلمود « إن الانقياء يحبون أموالهم أكثر من أجسادهم » .. وأن الخاخام
 اسحق نصح اليهودي بأن يضع أمواله دائماً في دورة مالية ، وقد قال أحد العلماء
 التلموديين مشجعاً اليهود على التجارة دون الزراعة « تاجر بمائة فلورين تحصل على لحم
 وخمر ، أما إذا استعملت هذا القدر نفسه في الزراعة .. فأكثر ما تحصل عليه هو الخبز
 والملح » ..

(١) في مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » يعني بها يهودي البندقية وهو شيلوك ..

ولأن اليهود في شتات ، ولأنهم خبراء في التجارة ، فلقد شكلوا تجارة عالمية ، وشكلوا نظاماً للشركات التجارية متعددة الجنسية ، حتى قبل أن تعرف بهذا التعريف العلمي ، فما كان من التاجر اليهودي الأوربي إلا أن يسافر إلى الهند .. وينزل في الجيتو اليهودي في الهند ، فيحصل على كل ما يريد ، ويعود به إلى أوروبا ، لذلك فقد تحكموا في اقتصاد الشعوب ، وسببوا أزمات اقتصادية كثيرة لاحتكارهم سوق التجارة والمال ، وقد أدى ذلك إلى تبادل العداء بين اليهود وبين الشعوب الأخرى .. فلقد كان إحساس هذه الشعوب أن اليهودي طفيلي يعيش على دماء الفقراء .. وقد أدى هذا الشعور إلى زيادة الكراهية بين الجانبين ..

• • ظاهرة يهود البلاط :

ولأن اليهود « خارج نطاق المجتمع الذي يعيشون فيه » ، ولأنهم لا يتجاوبون مع آمال وأهداف الشعب الذي يعيشون على أرضه ، ولأنهم يشكلون قوة اقتصادية طفيلية في المجتمع من خلال التجارة والربا ، فلقد تحالف اليهود مع السلطة في الوطن الذي يعيشون فيه ، يقدمون لها بسخاء ، مقابل حمايتهم من سخط الشعوب ، وتسهيل عملياتهم التجارية ، لذلك ظهر ما أطلق عليهم يهود البلاط ، وهؤلاء اليهود — كما جاء في موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية للدكتور عبد الوهاب محمد المسيري ، بأن الجماعات اليهودية في الأحوال العادية لم تكن خاضعة للسلطات المحلية ، وكان سيدها الوحيد هو الملك تؤدي إليه المال بسخاء لتبتاع منه الميثاق الذي يحمي حقوقها الدينية والاقتصادية ..

وقد اعتبر بعض الأباطرة والملوك أن اليهود ملكية خاصة لهم لأنهم من الناحية الفعلية والوجدانية كانوا يقفون خارج المجتمع ، فالمجتمع كان زراعياً اقطاعياً (مسيحياً) ، أما اليهود فكانوا يشتغلون بالتجارة والربا .. ولذلك نجد في بعض الدول أن القانون الإقطاعي كان ينص على أن اليهود « هم رجال الملك » .

وقد قامت تحالفات كثيرة بين اليهود والملوك أثناء حرب الملوك مع الكنيسة خاصة في نهاية القرن السادس عشر في عصر الملكيات المطلقة في وسط أوروبا .

وحينما كان الملوك يحاولون بسط نفوذهم على كل مملكتهم وتنشيط التجارة فيها كانوا يلجأون لإنشاء إدارة مركزية يلعب فيها اليهود دوراً كبيراً ، وقد أدى اليهود أو « يهود البلاط » (كما كانوا يسمون) خدمات جليلة للملك في هذا المضمار وذلك بسبب خيرتهم الطويلة في أعمال المال التجارة ، وبسبب صلاتهم العالمية خاصة بعد ظهور اليهود السفاردي في هولندا الذين كانت تربطهم صلات قوية بيهود الشام والامبراطورية العثمانية ..

وقد كان يهود البلاط ينظمون شئون الملك المالية ، ويشرفون على دار صك النقود ، ويقومون بجمع الضرائب له ، ويمولونه بما يحتاج إليه من مال حتى ينفق بسخاء على مظاهر الترف اللازمة للملكيات المطلقة ، ويعقدون له الصفقات التجارية .

ويمكن اعتبار ظهور يهود البلاط بمثابة إرهابات لظهور الدولة الرأسمالية القوية الحديثة ، فقد ساعدوا الملك على التخلص من قبضة الأمراء الحديديّة ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن هذا النمط قد انتشر بعد عصر النهضة مباشرة ، عصر الانتقال من العصور الوسطى الإقطاعية إلى العصور الحديثة الرأسمالية القومية .

ولكن التحالف بين الملك ويهود البلاط كان مرتبطاً بمدى حاجة الملك إليهم ، وكثيراً ما كان يتخلى عنهم عندما تنتهي هذه الحاجة ، كأن تنشأ طبقة بورجوازية قوية تقوم بالنشاط المالي اللازم ..

وكان من السهل على الملوك .. التخلص من يهود البلاط والأقليات اليهودية عامة ، لأن دورها المالي الذي كانت تلعبه كان دائماً هامشياً غير مرتبط بالعملية الإنتاجية ، ولهذا السبب لم يكن اليهود طبقة مستقلة لها نفوذ وكيان مستقلان .. وإنما ظلوا طبقة تابعة مرتبطة بإحدى الطبقات أو القطاعات الحاكمة ..

والطريف أنه يمكن رؤية الكيان الإسرائيلي على أنه كيان تابع - بغض النظر عن قوته أو ضعفه - لقوة إمبريالية غربية ، أي أن إسرائيل دولة بلاط إمبريالي وكان يهود البلاط يندمجون حضارياً في المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يتزوجون من أبناء اليهود العاديين ، وإنما من أبناء « يهود بلاط » آخرين ، كما أن مصالحهم الاقتصادية كانت مرتبطة تماماً بمصالح الملك أو الحاكم ، وكثيراً ما كانت تتعارض مع مصالح الأقليات اليهودية .. بل لقد كان بعضهم يقف ضد هجرة اليهود إلى بلادهم ويؤيدون الملك ضد المهاجرين الجدد ..

ومن أشهر يهود البلاط صامويل أو بنهايمر الذي جاء إلى فيينا بعد أن طرد منها اليهود ، لأن وجودهم كان مضرّاً بالمسيحيين .. وقد نظم أو بنهايمر مالية النمسا أثناء حربها الطويلة المكلفة مع الأتراك ، وحاز إعجاب الامبراطور والأمراء ، ولكن حينما نشبت مظاهرة شعبية ضده أُلقي به في السجن .. ولم يكن مصر قريبه موسم أو بنهايمر (١٦٩٨ - ١٧٣٧) الذي كان يعمل في بلاط دوق فرتمبرج مختلفاً ، فقد أدى خدمات كثيرة للدوق فنظم ماليته .. واحتكر بعض النشاطات التجارية والصناعية ، وأشرف على دار صك النقود ، وأقرض وأيد الدوق في محاولته الضغط على الكنيسة لتودع أموالها في بنك مركزي ، الأمر الذي أثار حقن وعاظ الكنيسة ضده ..

وحينما مات الدوق انهم أوبنهايم بالخيانة وأعدم .. ولعله أمر ذو دلالة رمزية أن آخر يهود البلاط كان سولد مون روتشيلد (من عائلة روتشيلد الشهيرة التي مولت النشاط الصهيوني في بدايته ، وتحالفت مع الإمبريالية لإنشاء الدولة الصهيونية^(١) .

* * *

معنى ذلك أن اليهود ، قد تآمروا مع ملوك عهد الإقطاع على آمال وأمانى الشعوب ، وقد أدى هذا إلى زيادة الكراهية بين الجيتو الملكي اليهودي .. وبين بقية أفراد الشعب ، وكانت معظم المذابح والاضطهادات التي حدثت لليهود ، هي بسبب تآمرهم التلقائي على شعوب لم يشعروا في يوم من الأيام أنهم منها ..

* * *

• • ظاهرة الربا :

إذا أردنا تعريف الربا ، فهو استغلال حاجة الإنسان للمال في لحظة ما لتحقيق أكبر ربحية ، لذلك فلقد حرم الإسلام الربا ، بينا اليهودية لم تحرمها على اليهودي ، بل أباحتها له بشرط ألا يمارسها مع يهودي آخر ، ولكن عليه أن يستغل غير اليهود ، « لا تقرض أحاك بربا فضه ، أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض بربا ، للأجنبي ، تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكي يباركك الرب إهلك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتملكها^(١) .

ثم أسسوا بنوك الرهونات ، حيث كان البنك اليهودي يقرض - غير اليهودي بفوائد باهظة ، قد تصل إلى ٢٠٠٪ ، وفي حالة عدم السداد يبيع البنك ما رهن لديه سواء كان ذهباً أم فضة أم عقاراً أم أرضاً زراعية

وكان في مصر - إلى وقت قريب - بنك يهودي للرهنات ، أدى هذا البنك إلى إفلاس مئات من المصريين الأثرياء لصالح هذا البنك ، وكما هو الحال في مصر ، كان في كل مكان من الوطن العربي ، بما في ذلك فلسطين ..

أدى الإقراض بالربا إلى زيادة الكراهية بين اليهود والشعوب الأخرى ، وأدى هذا إلى تعميق الإحساس بالعنف ضد بقية الشعوب الأخرى ..

* * *

(١) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . د. عبد الوهاب محمد المسيري .

(٢) سفر التثنية .

لقد أدت كل العوامل السابقة ، إلى عدوانية اليهود تجاه المجتمع البشري .. ولقد انتقلت كل الأمراض السابقة مع اليهود إلى إسرائيل ، لتتحول إسرائيل نفسها إلى جيتو كبير .. لا يؤمن إلا بالعنف والتآمر لتحقيق أهدافه .. لقد هاجروا إلى إسرائيل ، وقد حملوا كل هذه التراكمات التاريخية ، لينقلوا إلى الشرق الحالم ، شرق الشعر ، والغناء ، وقصائد الغزل ، لينقلوا إليه الدم والعنف والإرهاب ..

* * *

• تنمية ظاهرة الإرهاب :

بعد أن استقر اليهود في فلسطين ، وأقاموا دولة إسرائيل ، وضعوا برنامجاً تربوياً خفياً يهدف إلى تنمية الإرهاب في نفوس « الصابرا » وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين ولم يعيشوا حياة الجيتو ويشهدوا مأساة اليهود في بلدان العالم الأخرى .

ويهدف هذا البرنامج التربوي إلى « تنشيط الذاكرة اليهودية ، بما حدث لأبائهم وأجدادهم في الشتات » لتظل الروح اليهودية في حالة استنفار دائم ضد الغير وحماية « الدولة » بكل الوسائل بما في ذلك الوسائل الإرهابية ، خوفاً من العودة إلى الشتات ومذابح الأغيار ، لذلك فإن دماء الغير مستباحة أمام « الصابرا » للحفاظ على أكبر وآخر جيتو يهودي في التاريخ وهو إسرائيل .

ففي منهج الدين ، يؤكدون على وهم « شعب الله المختار » لدفعهم على احتقار ما دون اليهود ، فلا يوجد طفل في إسرائيل لا يحفظ عن ظهر قلب « لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، ولقد اختارك الرب لتكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الأخرى على وجه الأرض »^(١).

« أنا الرب إلهك الذي ميزكم عن الشعوب ، وتكونون لي قديسين ، لأني قدوس أنا الرب . وقد ميزتكم لتكونوا لي »^(٢).

ويدخل المعلم الفصل ، يمدح الرب لأنه اختاره لكي يكون يهودياً ، حتى يكون من الشعب المختار ، ثم يبدأ في ترسيخ هذا الوهم في أذهان الصغار ، بحيث أن جيل الشباب الإسرائيلي يؤمن إيماناً عميقاً بأنه ينتمي إلى الشعب الإسرائيلي المقدس المتفوق على كل شعوب العالم ..

(١) سفر التثنية .

(٢) سفر اللاويين .

• الأدب الإسرائيلي :

إن أهم ما يدرس في المدارس الإسرائيلية هو أدب المقاومة ، أو أدب الجيتو .. وهو يصف الأحوال التي عاشها اليهود في الجيتو ، إن معظم القصائد الشعرية لشعراء مثل حاييم نحمان بياليك ، وحاييم هزار ، وشاؤول تشرنخوفسكي ، وكل هؤلاء الشعراء يصفون المذابح التي تعرض لها اليهود ، ويطالبون بالتأثر من البشرية كلها ، قال لي عماد شكور^(١) يخرج التلميذ من حصة « اللغة العبرية » أو الأدب العبري ، وهو يريد أن يحطم العالم ، لما فعلوه بأجداده ، بل وتكون لديه أفكار لا تقل خطورة عن تلك الأفكار التي جاءت في بروتوكولات حكماء صهيون .

فإن الشعب العبري قد لعب دوراً خطيراً في تكوين وتنمية الشخصية الإسرائيلية ولكن الأوسع من ذلك كله مدارس الدين - مازال الحديث لعماد شكور - فهذه المدارس مواقع لتخريج « الإرهاب العقائدي » ، حيث يبيع الحاخامات دماء غير اليهودي ، لذلك فإن هذه المدارس ما هي إلا مواقع لتخريج الإرهابيين أمثال الحاخام كاهن ، صاحب نظرية طرد كل العرب من إسرائيل والأراضي العربية المحتلة بالعنف والإرهاب . وأن معظم أتباع هذا الحاخام من هذه المدرسة ، مدرسة العنف والإرهاب وهي المدرسة الدينية الإسرائيلية .

• التاريخ :

يدور التاريخ في كافة مراحل التعليم في المدارس الإسرائيلية على ركيزتين :

الأولى : تبيت وهم حقوق اليهود لأرض فلسطين « إسرائيل » ، بل امتداد هذه الحقوق إلى النيل والفرات ، بما في ذلك منطقة خيبر بالسعودية ، وأن هذه الأرض هي إسرائيل الكبرى ، أو إسرائيل المستقبل ، وأنه لا حق لسكان هذه الأراضي فيها وهنا تظهر مبدأ الأرض والسكان ، أي أن الأرض ملك لإسرائيل ، وأن هؤلاء السكان من غير اليهود لا حق لهم في الأرض ، وهم مقيمون عليها بصفة مؤقتة ، لذلك لم يكن جديداً ولا غريباً ، عندما اقترح مناحم بيجين على الرئيس الراحل أنور السادات الحكم الإداري لسكان الضفة الغربية وغزة دون الأرض !!

الثانية : يقوم التاريخ اليهودي الذي يدرس في المدارس - حتى مدارس الرياضة على مسألة (النكبة اليهودية في بلاد الأغيار) ، ويصفون المذابح التي تعرض لها اليهود من روسيا القيصرية ، وفي أسبانيا وفي عديد من الدول ، وبصفة خاصة في ألمانيا النازية . ولقد أثار تدريس هذه المواد بعض أفراد « حركة التنوير الإسرائيلية » وطالبوا بعدم تدريسها في المدارس ، لأنها تخلق الشباب الحاقدة الذي يميل إلى الانتقام من البشرية ، إلا

(١) منشار ياسر عرفات ، وقد عاش أكثر من عشرين سنة داخل إسرائيل .

أن حكومة إسرائيل رفضت ذلك ، وأصرّت على استمرار تدريس هذه المادة إلى الصغار والكبار .

* * *

في لقاء مع عماد شكور جلس يتحدث كثيراً عن الاختفالات المدرسية يوم ٢٧ من أبريل في كل عام ، وهو اليوم المعروف باحتفالات « الهولوكوست »^(١) ، وهو ذكرى « إبادة اليهود على أيدي النازيين ، ويبدأ بإطلاق صفارات الإنذار في كل أنحاء إسرائيل ، وتستمر الصفارات لمدة دقيقتين ، وعلى كل إسرائيلي أن يقف دقيقتين حداداً على أرواح اليهود الذين راحوا ضحية النازية ، وتكون صحف الصباح قد تبارت في إعادة شريط الذكريات حول اضطهاد اليهود في كل أنحاء الدنيا ، لأنهم أعظم من الأغيار ، ولأن الأغيار ، شعوب منحطة ، ويصل الأمر إلى قمة المأساة في مذابح اليهود على أيدي قوات النازي في معسكرات الاعتقال ، و (حرقهم) في محارق هتلر ويقومون بزيارة المقابر ، وتقدم المكافآت السخية لطلاب المدارس الذين فازوا في مسابقات الدراسات حول اضطهاد اليهود في العالم ..

وتقدم الإذاعة والتلفزيون أحاديث مع الذين نجوا من « محارق » هتلر ومع الصغار الذين قدموا أبحاثهم حول هذه المذابح ، ويعرض التلفزيون بعض المشاهد المؤثرة لما حدث للآباء في هذه « المحارق » . وبهذا الاحتفال ، يتم شحن المجتمع الإسرائيلي كله ، من صغيره إلى كبيره ، بكل أنواع الحقد والكراهية ، وبهذه الوسيلة ، وكل الوسائل المتاحة ، تبدأ تنمية الروح الإرهابية لدى الإسرائيلي .

* * *

وهكذا .. نجح الرواد الأوائل في خلق « الإرهابي العقائدي » . الذي أتيت له الفرصة في حروبه مع العرب ، فإنه لا يعرف الرحمة ، ولا يعرف القانون .. ولا يعرف الأعراف الدولية ، ولا يعرف إلا القتل ، ولهذا تمكنوا من تحويل جانب كبير من شباب إسرائيل إلى آلات إرهابية ، لا تؤمن بغير الدم والذبح طريقاً إلى تحقيق « أهدافهم » .

(١) كلمة يونانية تعني القربان الكامل ، وقد استخدمها اليهود للإشارة « لإبادة » اليهود على يد النازيين ، ولكن كلمة هولوكوست كانت في الأصل اصطلاحاً دينياً يشير إلى القربان الذي يضحي به إلى الخالق إلهوى ، أو على الأصح يحرق كاملاً غير منقوص على المذبح ، ولا يترك أي جزء منه لمقدم القربان ولا للكهنة الذين كانوا يتعشون على القربان المقدمة للرب ، ولذلك كان الهولوكوست من أكثر الطقوس قداسة . (د . عبد الوهاب محمد المسيري - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) .

• درس الرياضة البدنية :

في إسرائيل أخطر ظاهرة يمكن أن تحدث في أي دولة في العالم ، وهي ظاهرة تمجيد الإرهاب وإعداد الإسرائيليين نفسياً وعقلياً لخلق روح الإرهاب فيه ، فإن المثل الأعلى لشباب إسرائيل يتراوح بين أرييل شارون ، وبين مائير هارتسون ، الأول قائد اللواء ١٠١ الإسرائيلي الذي قام بالعدوان الوحشي على قرى الحدود ، وبطل مذبحه صبرا وشاتيلا في لبنان ، والثاني هو ضابط المظلات الذي كان يهوى الذهاب إلى الأراضي العربية لقتل العرب العزل ، في عمليات إرهابية خارج حدود إسرائيل والقيام بها لمزاجه الشخصي أو لنوازه الشخصية .

وقد حدث أن طلبت إسرائيل من مصر (عام ١٩٨٥) رفات الذين قتلوا اللورد موين في مصر ، عام ١٩٤٤ ، لدفعهم في إسرائيل « أرض الميعاد » ، وقد أحيطت هذه العملية بسرية شديدة ، وسلمت مصر لإسرائيل هذه « الرفات » ، وما أن وصلت إسرائيل ، حتى أقيمت الاحتفالات ، وتم دفن هذه الرفات في احتفال رسمي وشعبي ، والمفروض أن المنظمة الصهيونية في ذلك الوقت قد أعلنت إدانتها لهذا الحادث وقدمت اعتذاراً إلى ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت .

هذا ما تفعله الحكومة لتمجيد الإرهاب ، وفي المدارس لكي تخلق القدرة الإرهابية لدى الشاب الإسرائيلي ، يقول الكاتب الإسرائيلي عاموس إيلون في كتابه « الإسرائيليون المؤسسون والأبناء » :

« لقد نما نوع من القسوة الإمبرطية على مر السنين ، وأصبحت تميز الآن أقساماً كبيرة من الإسرائيليين ، الراشدين ، وهذه القسوة الإمبرطية الوحشية تبدأ منذ سنوات مبكرة في حياة الفتى الإسرائيلي من خلال اختبارات قاسية لقوة الاحتمال في مناخ وظروف وأرض قاسية جداً أثناء تدريبات « الجدناع — كتائب الشباب » .

إن التلاميذ يساقون في رحلات طويلة في الصحراء مع مراعاة الانضباط التام في مسألة المياه ، ويصابون بضربة شمس ، وأحياناً يموتون أو يسقطون في أثناء التدريبات التي تجعلهم أصعب عوداً ، والتي تعودهم على قمع رغباتهم والقضاء على الخوف .. وكثيرون من مدارس الشباب الإسرائيلي يرون رسالتهم الكبرى في تدريب وتقوية الفتية والفتيات من سن الثانية عشرة والثالثة عشرة ليكونوا كوماندوز مطلقين ممتازين ، فيرسل الأطفال إلى الصحراء في ليالي الشتاء الباردة ، ويمشيرون على السير حفاة على الشاطئ الملبل ، وتحير الفتيات في سن الرابعة عشرة على دخول مقابر المسلمين في الليالي المظلمة ، واستجماع الشجاعة والنوم على القبور .

* * *

مجتمع بهذه الكيفية ، ودراسة هذه الكيفية ، لن يأتي للبشرية إلا بشباب يؤمن إيماناً قاطعاً بالإرهاب ويربّه في نفسه تاريخاً وعلماً وتدريباً ، لقد سألوا أحد الجنود الإسرائيليين ، الذين اشتركوا في غزو لبنان ، وقاموا هناك بعدة مذابح ضد الفلسطينيين واللبنانيين على حد سواء ، سألوهم : هل تعرف قانون الحرب ؟

قال : لا أعرف غير قوانين مايو^(١) ، والذين أصدروها يعرفون جيداً ، قوانين الحرب .

* * *

لذلك ، فلا دهشة إذن .. لكل ما شاهدناه في لبنان ، وفي معسكرات الاعتقال الإسرائيلية ، وفي حربهم مع العرب ، وفي كل الإرهاب الذي زرعه في الشرق الأوسط ، لقد انطلقوا - وسوف ينطلقون - من رحلة اضطهاد طويلة ، - كانوا هم السبب الرئيسي فيها - إلى رحلة انتقام رهبة من البشرية أيضاً .. وكان أقرب البشر إلى أيديهم هم العرب .. وأقرب العرب إلى ثأرهم .. هم الفلسطينيون .

لذلك .. لقد شهدت منطقة الشرق الأوسط موجة من الإرهاب لم تشهدها من قبل .. جاء بها سكان الجيتو .. فأقاموا أكبر جيتو في التاريخ اليهودي .. وانطلقوا من هذا الجيتو .. يثأرون .. وينتقمون من العرب .. لجرائم ارتكبتها غيرهم .

* * *

(١) أصدرتها الحكومة الروسية في مايو ١٨٨٢ ، وهي تحرم على اليهود الاستيطان أو امتلاك أي عقار أو أراضي إلا في مدن الاستيطان اليهودي ، ومن حق الروم طرد اليهود من هذه الأماكن ، ولا تجدد عقود إيجار المساكن المبرمة مع اليهود ، وتحديد نسبة دخول اليهود في المدارس ، وتخفيض عدد اليهود في القضاء الروسي وإخلاء موسكو من اليهود .

الفصل الثاني
إرهاب ما قبل الدولة

« لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن وعد بلفور ، أما الحرب العالمية الثانية فلا بد أن تأتي بالنسوة اليهودية » ..

بن جوردون

إرهاب ما قبل الدولة

عاش اليهود يحلمون بإقامة « الجيتو الكبير » حيث يتجمع كل اليهود من الشتات في رقعة أرض واحدة ، وتحت علم واحد ، وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم .. وفكروا في أوغندا وطناً قومياً لهم ، وفكروا في الأرجنتين ، وفكروا في سيناء لولا عدم وجود مياه وفيرة بها ، واستقر بهم الأمر على فلسطين ، وأخيراً حصلوا على وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وبدأت بريطانيا - حكومة الانتداب على فلسطين - تسهل لهم الهجرة إلى فلسطين ، وقد جاءوا إلى فلسطين وهم يحملون كل أحقاد الدنيا على البشرية ، وأصبح لهم الأرض التي يمكن أن يمارسوا من خلالها أحقادهم ، وأن يحققوا الوعد الذي قطعوه على أنفسهم بالتأثر من البشرية - كل البشرية - ، على المجازر التي أقيمت لهم في كل أنحاء الدنيا ، فيما عدا العالم العربي ، ولكن .. يثأرون ممن ؟ .. فالذين أقاموا لهم المجازر في بلاد بعيدة ، فكان التأثير من الفلسطينيين على أرض فلسطين ، ولم يكن التأثير للتأثر وحده ، بل كان لتحقيق هدف المؤتمر الذي عقد في عام ١٨٩٧ في مدينة بال ، وتقرر فيه العمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وطرد شعبها ..

وهنا قامت الوكالة اليهودية بتصميم شعار يحقق هدف مؤتمر بازل ، وهو صورة لليهودي يحمل البندقية بيد ، والفاأس في يد أخرى .. أي البندقية لطرد العربي ، والفاأس لزراعة أرضه واستيطانها بعد خروجه منها ..

لذلك .. كانت الدعوة لإقامة مؤسسات عسكرية إرهابية في فلسطين تلقى قبولاً شديداً عند كل اليهود القادمين إلى فلسطين في حماية القوات البريطانية .. وشهدت فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) أكبر هجرة يهودية ، حيث عينت بريطانيا مندوباً سامياً يهودياً هو « هربرت صمويل » ، وهذا المندوب السامي فتح أبواب فلسطين لليهود ، واعترف بمبدأ تمثيل اليهود في الجمعيات واللجان المحلية ، كما اعترف باللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين ، وفتح صمويل للشركات الصهيونية امتيازات إنشاء الأعمال الرئيسية في فلسطين كمحطات الكهرباء والطرق ، ثم أقام لهم المحاكم اليهودية ، وانتهى به الأمر إلى افتتاح الجامعة العبرية في أبريل عام ١٩٢٥ ..

في عهد هذا المندوب السامي ، كان اليهود يشكلون أول مؤسسة عسكرية سرية ، هي منظمة الهاجاناة ..

* * *

اتضح المؤامرة كاملة أمام الفلسطينيين ، البريطانيون يعدون اليهود لاحتلال الأرض ، وإقامة وطنهم القومي ، وطرد السكان الأصليين ، وهنا بدأ الصراع الفلسطيني الصهيوني ، أو الصراع العربي الإسرائيلي ..

ومع ازدياد أشكال النضال الوطني الفلسطيني وارتقائه إلى مرتبة الكفاح المسلح سنة ١٩٢٠ ، خاض الثوار الفلسطينيون معارك ضد القوات الغازية في الجليل وفي عدد من المستوطنات اليهودية من بينها مستوطنة تل حاي التي وقف على رأس المدافعين عنها يوسل ترومبلدور زسيل جابوتنسكي في الدعوة إلى إنشاء وحدات عبرية في الجيش البريطاني للعمل معاً ضد العرب الفلسطينيين ..

لم تقتصر الثورة الفلسطينية على منطقة الجليل فقط ، بل امتدت إلى القدس .. فبعد أن كانت المدينة تشهد مسيرات احتجاج ضد المشروع الصهيوني منذ بداية العام ، كالاشتباك الذي حدث في ٤ أبريل ١٩٢٠ وأسفر عن إصابة أكثر من مائتي مستوطن بجراح ومصرع ٨ منهم .. وكان جابوتنسكي وروتنبرغ قد أقاما في القدس عشية هذه الاشتباكات منظمة دفاع - هاجانة - محلية استقطبت بين صفوفها ما بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ مستوطن وقد أنحت سلطات الاحتلال البريطانية باللائمة في أحداث القدس على عناصر يهودية وعربية ، وقدمت عرباً ويهوداً إلى المحاكم .. وكان من بينهم جابوتنسكي الذي صدر عليه الحكم بالسجن لمدة ١٥ عاماً ، والطرده من فلسطين وقد حفف هذا الحكم بعد مدة بسيطة إلى السجن لفترة عام واحد ..

وفي ظل هذه الفترة التي شهدت تصاعد المقاومة العربية ، أخذت فكرة إقامة « تنظيم عسكري يهودي » يتولى حماية المستوطنات اليهودية تطرح نفسها بقوة في الأوساط الصهيونية .. وهنا اختلفت الآراء وتصارعت الأفكار ، ففريق ينادي بتكوين قوات صهيونية نظامية تعمل تحت أمرة القوات البريطانية وتسيطر على البلاد من خلال الإدارة البريطانية ، وفريق يعارض ذلك ويتمسك بتكوين قوات صهيونية خاصة بعيدة عن السيطرة البريطانية ، تأخذ طابعاً سرياً وتعمل على فرض سيطرتها التدريجية على البلاد إلى أن تتحقق هذه السيطرة الفعلية وتصبح أمراً يقبله البريطانيون وتخضع له العرب ..

والسمة البارزة التي جمعت بين هذين الفريقين المتعارضين دعوة كل منهما إلى اعتناق أسلوب القوة وإن اختلفا في وسيلة تكوين هذه القوة وأسلوب استخدامها .. فجابوتنسكي نادى بثلاثة أمور ضرورية لإقامة المستعمرات والبقاء فيها وهي :

- أولاً : تعلم اللغة العربية والتحدث بها ..
- ثانياً : الضرب بقوة وقسوة ..
- ثالثاً : إشاعة الإرهاب بين السكان العرب ..

وهكذا كانت دعوة جابوتنسكي من البداية ، دعوة إلى القوة المباشرة المكشوفة الإزهاية ، أما زميله بن جوريون ، فقد كان يخالفه الرأي فيقول :
« إن الهجرة والاميطان على نطاق واسع سيخلقان حملاً للحقائق السياسية التي ستأتي بالاستقلال .. وببغلي علينا أن نتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة للدفاع عن أنفسنا وأن نولي اهتماماً حلقى اليهودي الذي لا يحدد على شخص آخر ليدافع عن حياته في البلد الذي يملكه » ..

وبهذا كان بن جوريون منذ البداية داعية عنف هو الآخر .. ولكنه عنف يعتمد على المرحلية والواقعية ، وينفذ إلى أعراضه من خلال فرض الأمر الواقع .

وقد حمل بن جوريون مع عدد آخر من رفاقه الصهيونية لواء الدعوة إلى القوة العسكرية الصهيونية السرية ، وبرر ذلك بقوله : « ما لم يكن في استطاعتنا أن نعتد على وسائل دفاعنا فسوف نعجز عن فتح آفاق جديدة .. إنه ينبغي علينا أن نتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة للدفاع عن أنفسنا ، وبما أن ذلك يتعارض مع قانون الانتداب ، فقد كان علينا أن نقوم باتخاذ هذه الإجراءات بطريقة سرية . وقد تحددت الأهداف الكامنة وراء إنشاء القوة العسكرية الصهيونية فيما يلي :

- مواجهة الخطر العربي المتزايد الناتج عن اعتراض العرب على الاستعمار الصهيوني لفلسطين ..
- إتاحة أكبر قدر من حرية العمل والاستقلال في تنفيذ البرامج الصهيونية المتعلقة بالاستعمار والتوسع ..
- تشكيل قوة عسكرية تدريجياً يمكن الاعتماد عليها مستقبلاً في حالة حدوث اعتراض عربي عام ..

ويمكن القول أن دعوة التوسع والعنف لا تنسب لفريق دون آخر ، وغاية ما في الأمر أن هناك فريقاً كان يجاهر بهذه الدعوة ، وفريقاً آخر كان يؤثر العمل بسرية ويعمل وفقاً لمخطط زمني ومرحلي دقيق يحقق للصهيونية غايتها ، وعلى رأسهم وايزمان في الخارج وبين جوريون في الداخل ، والذي تجسدت أراؤه عملياً في إنشاء « المنظمة العسكرية الصهيونية السرية » الهاجاناه ..

تأسيس الهاجاناة

تأسست الهاجاناه في ديسمبر ١٩٢٠ ، وخضعت طوال سنوات العشرينات للنقابة العامة للعمال اليهود - المستدروت - حيث قامت بالإشراف عليها وتعيين لجنتها المركزية ، وفي عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه ، الذي عرفها بأنها منظمة عسكرية سرية تستهدف الحفاظ على المجتمع اليهودي بواسطة الميليشيا الشعبية بموجب دستورها على أن أبواب هذه المنظمة مفتوحة لكل عبري وعبرية يبلغان من العمر سبعة عشر عاماً وما فوق ..

وفي الثلاثينيات ، أنشئت المنظمة (ب) وخشية من حدوث انقسامات داخل الهاجاناه أو ولادة تنظيمات عسكرية منافسة ، اضطر المسئولون عن الهاجاناه إلى إحداث تغيير في طريقة قيادة منظمة الهاجاناه ، حيث نقل الإشراف عليها إلى الإدارة الصهيونية كممثلة لجميع النقابات الصهيونية بمشاركة المستدروت وأوساط المدنيين ..

ومن الجدير بالذكر أن اسم « هاجاناه » - أي الدفاع - لم يطلق على هذه المنظمة السرية في بداية الأمر ، وإمعاناً في إخفاء طبيعتها العسكرية أطلق عليها اسم فرقة « الدفاع والعمل » ورغم ذلك فلم يستخدم هذا الاسم علناً ، وكان الاسم المتداول في السنوات الأولى لإنشائها هو « فرقة العمل » مع إغفال كلمة « الدفاع » .. وفيما بعد أصبحت « فرقة العمل » أكبر وأقوى ، وصارت تضم وحدات عسكرية نظامية عرفت باسم منظمة الدفاع - أي هاجاناه ..

وفي بداية إنشاء هذه المنظمة السرية ، كان هناك خلاف بين جابوتنسكي وزعماء « هاجاناه » حول مفهوم وطبيعة الدور الذي تؤديه « هاجاناه » ، إذا أصر زعماءها على التمسك بالسرية التامة .. بينما تمسك جابوتنسكي بضرورة اعتراف حكومة الانتداب بالمنظمة حتى يتسنى لها القيام بمهامها على أكمل وجه .. وفي أكتوبر عام ١٩٢٢ زار جابوتنسكي فلسطين محاولاً الحصول على ترخيص رسمي لتنظيم « هاجاناه » وتدريبها في المدن والمستعمرات ، غير أن زعماءها رفضوا ذلك ورفضوا تسليمه أي سلاح .

وفي نفس العام وجهت « هاجاناه » جهودها للحصول على أسلحة وذخائر ، وسميت هذه العملية باسم « ريجنيش » وقد أمكنها الحصول على كميات من الأسلحة عن طريق فرنسا ..

كان أول امتحان واجهته منظمة الهاجاناه بعد تأسيسها هو الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني في يونيو ١٩٢١ خصوصاً في منطقة يافا وضواحيها ، ولم تقم الهاجاناه بدورها

المأمول حيث فشلت في مواجهة حالة النهوض الوطني الفلسطيني التي انعكست في تظاهرات واشتباكات مع سلطات الانتداب والتجمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين - وكذلك فشلت في مستعمرة بتاح تكفا - أم المستوطنات اليهودية في صد الثوار الفلسطينيين الذين تمكنوا من حصار المستوطنة على المستوطنين واقتحام بعض أجزائها ولم يجلوا عنها إلا بعد وصول الفرقة الهندية العاملة في الجيش البريطاني مدعومة بطائرة عسكرية أخذت تقصف الثوار العرب بأوامر مباشرة من المندوب السامي البريطاني **خبر** صمويل ..

وفي نوفمبر ١٩٢١ ، دخلت الهاجاناه تجربة أخرى مع عرب القدس حين تطورت تظاهرات الاحتجاج ضد وعد بلفور إلى اشتباكات بين العرب واليهود في المدينة .. ومع اندلاع الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ توطدت العلاقة بشكل كبير بين الهاجاناه وسلطات الانتداب البريطانية إحساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحهما المشتركة ، وفي صيف ١٩٣٧ أقامت منظمة الهاجاناه « سرايا الميدان » كلفت بمهاجمة الثوار العرب ، وبأسلوب إرهابي ينفر منه العرب ، كالاغتيالات على النساء .. وبعدها بعام أقام الضابط البريطاني أورد وينجت « سرايا النار » المعروفة أيضاً باسم « سرايا الليل الخاصة » لصالح منظمة الهاجاناه بغرض حماية الثوار الفلسطينيين ليلاً ، وأسفر تماثل المصالح في هذه الفترة عن إشراك البريطانيين لقوات الهاجاناه في الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين ، والأخطر من ذلك سمحت سلطات الانتداب لمنظمة الهاجاناه بإقامة سلاح الحراسة ، وشرطة المستوطنات العبرية التي غدت قوة شرعية تابعة لها ، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد أفرادها سنة ١٩٣٩ حوالي ٢٠ ألف رجل يتوزعون على عشر كتائب ..

ويمكن القول أن أبرز سمات هذه الحقبة من الجانب الصهيوني هي التحول إلى العمل العدواني المباشر في غزو الأرض ، وفي نفس الوقت تطوير الجيش اليهودي الذي يحميه الانتداب ولا يكون مسؤولاً عنه ، ورغم ذلك كله انبرى جابوتنسكي يعلن اعتراضه على السياسات العسكرية التي اتبعتها المنظمة الصهيونية ونفذتها الهاجاناه واستمها بسياسة ضبط النفس ، وكان رأي جابوتنسكي الذي أعلنه في أعقاب الثورة العربية حين بدأت في عام ١٩٣٦ أن الحل الوحيد هو الإرهاب ضد كل من العرب والإنجليز معاً ..

اتسل .. تكليف بالإرهاب

إن الأحداث تؤكد أن كافة المنظمات الإرهابية الصهيونية ، كانت تلقى تأييداً من الوكالة اليهودية ، بل أن هذه المنظمات كانت تعمل وفق مخطط أساسي ، ولكل منظمة دور في « تراجيديا الإرهاب الصهيوني » ، وهنا يقال أن الخلاف الذي نشأ داخل صفوف الحركة الصهيونية ، وانتهى بانفصال جابوتنسكي عنها وتكوين المنظمة الصهيونية الجديدة عام ١٩٣٥ ، قد انعكس أيضاً على المنظمة العسكرية الهاجانية .. وتبلور في ظهور جناحين متعارضين داخلها ، يمثل الجناح الأول وايزمان وبن جوريون ويؤيده معظم زعماء يهود فلسطين ، وينادي بسياسة الضبط .. أما الجناح اليميني المعارض فقد ظهر في صفوف الجيل الأصغر من الشبان المتعصبين الذين اعتبروا هذا التحفظ نوعاً من التسليم لكل من البريطانيين والعرب ، وتزعموا استراتيجية المقاومة ، وهم جميعاً ممن ينتمون إلى حركة الشباب جابوتنسكي « بيتار » الذين حاولوا أن يفرضوا آراءهم وسيطرتهم على منظمة هاجانة ولكنهم فشلوا في ذلك ..

وهكذا انشقت جماعة التصحيحين عن الهاجانة في أبريل عام ١٩٣٧ ، وكونت مع منظمة هاجانة منظمة عسكرية جديدة تحت اسم « أريجون زفاي ليومي » — أي المنظمة العسكرية الوطنية — ، وكان يطلق عليها أحياناً اسم « اتسل » التي وصفها مناحم بيجين زعيمها فيما بعد بقوله : « انها كانت بداية ظهور القوة العبرية تحت زعامة قائدها العظيم دافيد راتسيل ومساعدته أبراهام شترن » ..

وهكذا بدأت الهجمات الأولى ضد هؤلاء الذين يريدون تدميرها ، فقاموا بجمع السلاح وإعداد المدربين لتحطيم سياسة ضبط النفس التي تبناها الزعماء الجبناء اليهود في مواجهة الهجمات العربية ولتحطيم الأبواب المغلقة في وجه آلاف من الشباب^(١).

وبذلك استطاعت « الأرجون » أن تفرض وجودها المستقل عن الهاجانة وأن تبدأ في ممارسة فلسفتها العملية القائمة على الإرهاب والتي تتخذ القتل والبطش شعاراً لها ، ومع بداية ظهور الأرجون أو اتسل سعى جابوتنسكي إلى رعايتها وتدعيمها بالسلاح ، وقد توصل في عام ١٩٣٧ إلى اتفاق مع بولندا على إمداد الأرجون بالمساعدات العسكرية الممكنة وتدريب المقاتلين تمهيداً لإرسالهم إلى فلسطين ..

والأرجون ، أو اتسل ، هي بؤرة الحقد والثأر بين المنظمات الإرهابية الصهيونية ، يقول مناحم بيجين أن اتسل أو الأرجون قامت على أساس أن كمية الدم المسفوكة هي الاختيار الوحيد التاريخي وليس مهماً جوهر هذا الدم ..

(١) التحدي — مناحم بيجين .

ما أبشع ذلك الأساس الذي أقيمت عليه تلك المنظمة الإرهابية .. لقد نجحت الوكالة اليهودية أن تجمع أكثر اليهود حقداً ، وأكثر اليهود عطشاً للدم ، وأكثر اليهود طلباً للثأر ، جمعهم في منظمة واحدة ، وبدأ هؤلاء يمارسون أعمالهم الإرهابية .. وكانت التعليمات إلى أفراد هذه العصابة كما يلي :

- اقتناص أي فلسطيني ، مهما كان سنه أو جنسه ، أي إذا كان طفلاً أو شيخاً أو امرأة أو شاباً ، المهم أن يقتل هذا الفلسطيني ..
- اضرب واهرب .. واضرب بقوة وقسوة ..
- إلقاء القنابل في التجمعات العربية ، والفرار فوراً كالمقاهي التي يرتادها العرب .
- وضع عبوات ناسفة في أسواق الخضار بالمدن الكبرى كيافا وحيفا والقدس .
- نصب الكمائن للأتوبيسات العربية وقتل من فيها ..

وقامت هذه المنظمة بتلك العمليات الإرهابية ، والتي حولت المدن الفلسطينية إلى حرائق و اغتيالات ونسف وتدمير ..

ومع تزايد نشاط الأرجون الإرهابي الموجه ضد العرب تحركت سلطات الانتداب البريطانية وأخذت تحاكم من تلقى القبض عليه وتصدر أحكاماً مختلفة كان من بينها حكم الإعدام ، ومن الملاحظ أن الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناة كانتا تبدلان جهودهما الكبيرة وتقدمان مساعيهما الحميدة عند البريطانيين لتخفيف الأحكام الصادرة على الرغم من معارضتها الظاهرة لنشاط الأرجون .. وفي النصف الثاني من عام ١٩٣٧ استمرت الأرجون في القيام بعمليات إرهابية موجهة ضد المدنيين العرب تعد بالعشرات ، وكان من أبرزها وضع كميات من المواد المتفجرة الموقوتة وسط التجمعات العربية في المدن الفلسطينية الرئيسية ذهب ضحيتها نحو مئة وسبعين شهيداً ومئات آخرين أصيبوا بجراح ، في الوقت الذي كانت فيه الهاجاناة تساعد القوات البريطانية ، بناء على اتفاق تام للاحقاد الثورة الفلسطينية ..

والجدير بالذكر أنه في هذه الفترة ، ورغم أن الهاجاناة كانت تعلن التزامها بسياسة ضبط النفس ، إلا أنها في الواقع لم تكن مقيدة بها تماماً ، إذ كانت تقوم بين الحين والآخر بالاصطدام مع الثوار الفلسطينيين خارج نطاق المستوطنات ومع مرور الوقت ونمو قوتها ابتدء قادة الهاجاناة لهذه السياسة معاني جديدة تقوم أساساً على المطاردة والتحول من الدفاع السلبي إلى الهجوم خاصة على العرب ..

مع تلبذ أجواء أوروبا بغيوم الحرب ، الأمر الذي دفع البريطانيين لتغيير سياستهم تجاه العرب في محاولة لكسبهم أو على الأقل لمنع احتمال انبعاث الثورة الفلسطينية في حال

اندلاع الحرب ، وبدا ذلك واضحاً في مؤامرة المائدة المستديرة الذي عقد في لندن وحضرته وفود من الدول العربية وعن الفلسطينيين ووفد عن الوجود اليهودي في فلسطين ، ومن مؤشرات التبدل في السياسة البريطانية في ذلك الوقت تصريح وزير المستعمرات البريطاني مالكوم ماكدونال ، أثناء انعقاد المؤتمر الذي اعتبرته الحركة الصهيونية بمثابة نكسة حلت بها والقائل بضرورة إلغاء الانتداب وإقامة دولة فلسطينية متحالفة مع بريطانيا تضمن فيها حقوق خاصة لليهود وقد أدانت الأرجون هذا التواجد البريطاني واعتبرته دليلاً على خيانة بريطانيا .. واتبعت ذلك بأعمال إرهابية موجهة ضد التجمعات السكانية العربية ، وقررت قيادة المنظمة اعتبار يوم ٧ / ٢ / ١٩٣٩ يوماً أسود وجرى خلال هذا اليوم وضع متفجرات في محطة القطار في القدس وفي سوق الخضار في حيفا وذهب ضحيتها ٢٧ شهيداً ، ٢٩ جريحاً ..

* * *

في ١٧ مايو ١٩٣٩ نشرت الحكومة البريطانية وثيقة صدرت عن البرلمان البريطاني أطلقت عليها الكتاب الأبيض ، والذي تناول موضوعات إنهاء الإنتداب البريطاني وإقامة دولة مشتركة وتحديد الهجرة اليهودية وتحديد بيع الأراضي في فلسطين .. وقبل مرور وقت طويل وجدت سلطات الانتداب أن عليها مواجهة اتساع أعمال الإرهاب التي قامت بها الجماعات الصهيونية ضد سياسة الكتاب الأبيض ، وكان أحد أشكال الأعمال الصهيونية هو الإسراع بشراء الأراضي أساساً في المساحات العربية بهدف توسيع حدود الدولة اليهودية المستقبلية .. وقد قسم نظام بيع الأراضي الذي نشر في عام ١٩٤٠ استكمالاً للكتاب الأبيض قسم البلاد إلى ثلاثة أجزاء على النحو التالي :

(أ) ففي الجزء الأكبر - وهو الذي يشمل ٦٣٪ من مساحتها - منع شراء اليهود للأرض ..

(ب) الجزء الثاني : ٣١٪ - كان البيع فيه محدوداً ..

(ج) الجزء الثالث : وهو ٥٪ - فقد كان حراً . إلا أن المنظمات اليهودية قد تحايلت على

نظام بيع الأراضي ، وتم لها شراء مساحة من الأرض تبلغ ٢٧٥٠٠٠ دونم في الجزئين الأول والثاني .. إلى جانب شراء الأراضي بصورة غير مشروعة .. ودأبت المنظمات الصهيونية على تنظيم هجرة أعداد من اليهود خلصة إلى فلسطين ، ومن وقت لآخر كانت السفن القديمة المكتظة بالمهاجرين تغادر موانئ شرق أوروبا وتبسط أشرعتها مبحرة نحو الأرض العربية بفلسطين ، وكان ممثلو الوكالة اليهودية في لندن وواشنطن وفي عدد من دول أوروبا الأخرى يقومون بالضغط على حكومات تلك البلاد بشأن ركاب تلك السفن ، وحتى يمكن لهم دخول أرض فلسطين تحت دعاوى مزيفة وشعارات إنسانية واهية ..

أما الجانب الثالث من تحركات المنظمات الصهيونية فيدخل تحت باب أعمال العنف والإرهاب المباشر .. التي راح ضحيتها عرب إلى جانب بعض البريطانيين فالهاجانة - وتعبيراً عن رفضها لسياسة الكتاب الأبيض - قامت بعملية تخريبية ضد محطة الإذاعة التابعة لسلطات الإنتداب ، وقامت بعملية إرهابية ضد السكان العرب في قريتي لوبيا ، وبلد الشيخ ، وقتلت عدداً من سكانها الآمنين ، وحرصت على عدم نسبة هذه العمليات إليها كي لا تتأثر في علاقاتها مع السلطات البريطانية ..

* * *

أما الأرجون ، فقد قامت في اليوم الذي نشر فيه الكتاب الأبيض بتظاهرات صاحبة في وسط تل أبيب ، واحتل خلالها المتظاهرون مباني حاكمية القضاء ورفعوا عليها العلم العبري ، وقاموا بحرق سجلات مكتب تسجيل الأراضي بعد أن ألغوها على قارعة الطريق وهم يرددون شعارات تندد بخيانة بريطانيا .. إلى جانب النشاط التحريضي المحموم ، انتهجت الأرجون هذه المرة خطين في نشاطها العسكري ، إذ لم يعد المواطنون العرب هم المقصودون وحدهم بعملياتهم الإرهابية بل أصبحت الممتلكات العامة أيضاً تشارك التجمعات العربية الآمنة في تلقي الضربات ولو بشكل أخف ، فقد قررت قيادة المنظمة غداة نشر الكتاب الأبيض توجيه ضرباتها ضد المنشآت البريطانية ضربات ضد بعض المؤسسات الحكومية مثل محطة الإذاعة وخطوط التليفونات وقضبان السكك الحديدية مع الحرص على اقتصار الأضرار على الممتلكات العامة فقط ..

وعلى الرغم من أن سلطات الأمن البريطانية استطاعت القبض على عدد من عناصر الأرجون في صيف ١٩٣٩ ، إلا أن هذه الحملة من الاعتقالات لم تؤثر على نشاط الأرجون ضد العرب والذي لم يخرج عن إطار قتل المارة الأبرياء وإلحاق أكبر عدد ممكن من الخسائر وسط التجمعات العربية في الأسواق ، أو اقتناص أي عربي يصادف وجوده في المستوطنات والتجمعات اليهودية ، ومن أبرز عملياتها في هذه الفترة ، عملية سينا ركس في القدس ، وعملية تفجير الحمار المحمل بالمواد الناسفة في سوق الخضار في حيفا وقد أسفرت هاتان العمليتان عن استشهاد العشرات وإصابة الكثيرين بجراح .. ومن أبرزها أيضاً عملية ثالثة جرت ضد قرية بيرعديس العربية ، حين هاجمت مجموعة من عناصر المنظمة القرية في محاولة للاستيلاء على القرية العربية .. ولم تتمكن المجموعة من دخول القرية فاكتمت بمهاجمة منزل عربي تحت جناح الظلام قتلت فيه أربع نساء وأصاب طِفلاً بجراح ، وقد استمرت الأرجون في القيام بهذا النوع من العمليات على الرغم من قلق الرأي العام اليهودي داخل فلسطين المحتلة ..

* * *

الهاجانة أيضاً وعلى الرغم من إعلان قادتها الالتزام بسياسة ضبط النفس .. نفذت عدة عمليات ضد العرب وضد المنشآت البريطانية ، وقد نفذت عناصرها بناء على تعليمات المنطقة الشمالية عملية إرهابية ضد السكان الآمنين في قرية بلدة الشيخ فخطفت خمسة أشخاص من أهالي القرية وقتلتهم وأشفعت ذلك بعملية أخرى شبيهة إلى حد كبير بعملية بيرعديس حين استقرت مفرزة من قواتها بمنزل عربي يقع على أطراف قرية لوبيا العربية وألقت قنابلها اليدوية داخله عن طريق النافذة الأمر الذي تسبب في مقتل عدد من العرب بما في ذلك النساء والأطفال وهم نيام ..

وهكذا تضافرت جهود العناصر الصهيونية بأطرافها المختلفة في فلسطين لشن حرب لا هوادة فيها. كان غرضها الأساسي فرض المشكلة على جميع الأطراف المعنية وإجبارهم على البحث عن حل لإيجابي ترضى عنه الصهيونية ، وحمل بريطانيا على التخلي عن سياستها المعلنة في الكتاب الأبيض ، غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، دفع زعماء الصهيونية إلى وقف أعمال العنف والإرهاب والكف عن إحراج بريطانيا أثناء حربها مع العدو المشترك ألمانيا النازية .. ورغم توقف الأحداث الدموية في البلاد ، إلا أن جو القتال والحرب استمر سائداً ، وإن لم تتع ظروف الحرب استئناف هذا القتال ، إلا أنه كان من الواضح أنه سوف يتجدد بمجرد انتهاء الحرب إذا لم يتيسر الوصول إلى حل سياسي يمنع نشوبه .. ولم يكن هذا الحل ممكناً ، فقد جمعت الصهيونية كلمتها ووحدت هدفها نحو خلق الدولة اليهودية بالقوة .. وهو ما أشار إليه بن جوريون في اجتماعه بعد خمسة أيام من نشوب الحرب - مع قادة الهاجانة قائلًا : « لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن وعد بلفور أما الحرب العالمية الثانية فلا بد أن تأتي بالدولة اليهودية » ..

* * *

ومن هنا جاء تركيز الحركة الصهيونية على ضرورة إنشاء « قوة مقاتلة يهودية » بصفة رسمية وبتأييد كامل من الحكومة البريطانية ، وفي مايو ١٩٤٠ توجه بن جوريون إلى لندن حيث قدم إلى الحكومة البريطانية التي يرأسها ونستون تشرشل خطة إنشاء الجيش اليهودي وشملت الخطة عدة نقاط كالتالي :

- ١ - عدم تعرض القوات البريطانية في فلسطين لقوات الهاجانة السرية وإصدار التعليمات اللازمة لذلك ..
- ٢ - الإسراع بإنشاء قوتين مقاتلتين من اليهود إحداهما من يهود فلسطين وأخرى من يهود الشتات ..

٣ - إنشاء مصنع للأسلحة في فلسطين ..

٤ - إعداد مائتي يهودي فلسطيني من الضباط وضباط الصف ليشكلوا كادر القيادة اللازم للجيش اليهودي ..

وفي ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية على إنشاء القوة المقاتلة اليهودية من عشرة آلاف رجل ، غير أن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها حتى لا تفضب حلفاءها العرب وقت الحرب ، مما دفع بن جوريون إلى التحول إلى الولايات المتحدة حيث بها أقوى حشد لليهود خارج فلسطين وأكثر اليهود نفوذاً .. ورغم ذلك لم تتوقف جهود قادة الحركة الصهيونية في الضغط على بريطانيا للموافقة على إنشاء القوة اليهودية ، وبعد أشهر طويلة من المطالبة المستمرة أعلنت الحكومة البريطانية في أغسطس ١٩٤٢ موافقتها على التالي :

- إنشاء كتائب مشاة يهودية - وعربية - مستقلة للخدمة بالشرق الأوسط ..
- التوسع في إنشاء قوة الشرطة اليهودية الخاصة والتي كانت تمثل الجيش الشرعي للهاجاناة ..
- تجنيد قوة إضافية من ألفين وخمسمائة رجل ، على أن يقدم قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط الضباط اللازمين للتدريب فضلاً عن الأسلحة والمعدات اللازمة لذلك ..

ومنظمة إرهابية جديدة

في يونيو ١٩٤٠ ، أي بعد مضي حوالي عشرة أشهر على اندلاع الحرب الثانية ، حدث انشقاق خطير في الأرجون ، نتج عنه ولادة منظمة جديدة حملت في بداية تكوينها اسم « لوصامي حيروت إسرائيل » أي المقاتلون من أجل حرية إسرائيل ، وأخذت تعرف باسم « ليحي » . وبعد تأسيسها انشغلت المنظمة الجديدة بالإعداد لعملياتها العسكرية التي استهلتها بأعمال السطو ، كان أهمها السطو على البنك البريطاني الفلسطيني في تل أبيب ، وتمكنوا من سلب ٥٠٠ جنيه فلسطيني والإفلات بها بعد أن وضعوا متفجرات صوتية حول البنك أثار انفجارها الهلع والفوضى بين صفوف الموظفين الذين تركوا مع الجمهور أماكنهم بحثاً عن ملجأ يقيهم ، وبدعم من المبالغ المسروقة أخذت المنظمة في العمل لتجنيد أعضاء جدد في الدعاية لأهداف المنظمة ..

في هذه الأثناء واصلت الأرجون من جانبها القيام بأعمال عنف وإرهاب ضد مؤسسات حكومة الانتداب على فترات متباعدة نسبياً ، ففي ١٧ مايو ١٩٤٤ هاجمت مجموعة من عناصرها محطة الإذاعة في رام الله - ولم تتمكن من بث بيان لها بسبب عطل فني ، واكتفت برفع العلم العبري عليها وفرت هاربة ، وعادت في أغسطس وهاجمت مقر الاستخبارات في يافا ومحطة شرطة في تل أبيب ، واستولت على بعض الأسلحة ثم أقدمت في أواخر سبتمبر على مهاجمة أربعة مراكز للشرطة في أن واحد في حيفا ، بيت رجن ، قطرة وقليلية بغرض الاستيلاء على الأسلحة ، ومع حلول أكتوبر هاجمت مجموعة تابعة للمنظمة مستودعات للأقمشة الحكومية في وسط تل أبيب وتمكنت من الاستيلاء على بضائع قيمتها مائة ألف جنيه فلسطيني ، باعت قسماً منها ، واستخدمت القسم الآخر في الأغراض الدعائية ..

تنشيط الإرهاب لقيام الدولة

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ حتى نشطت القوى الصهيونية في السعي نحو تحقيق هدفها وغايتها المحلية بفرض الدولة اليهودية .. وفي ٢٢ مايو ١٩٤٥ - بعد انتهاء الحرب بأسبوعين - قدم وايزمان إلى رئيس وزراء بريطانيا مذكرة طالباً بإصدار قرار سريع يجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود والسماح بنزوح ١٠٠ ألف يهودي من أوروبا إليها ، غير أن تشرشل طلب الانتظار حتى يتعقد مؤتمر الصلح .. أما بن جوريون فقد ذهب إلى الولايات المتحدة للحصول على أكبر قدر من المساعدات العسكرية وانحصرت أهدافه هناك في الحصول على السلاح .. الحصول على مصانع للأسلحة وتجنيد متطوعين من يهود أمريكا للحرب ضد العرب في فلسطين ..

أما بريطانيا فقد حاولت أن تشرك معها الولايات المتحدة في مسألة معالجة مشكلة فلسطين فأعلنت في نوفمبر ١٩٤٥ اتفاقها مع الولايات المتحدة على إيفاد لجنة تحقيق مشتركة لدراسة المسألة الفلسطينية حتى تتمكن الحكومة البريطانية من إعداد حل دائم لتقديمه إلى هيئة الأمم المتحدة وذهبت اللجنة إلى فلسطين في يناير ١٩٤٦ ثم نشر تقريرها في أبريل من نفس العام واشتمل على عدة توجيهات كما يلي :

١ - عدم تقسيم البلاد إلى دولة عربية وأخرى يهودية بل تبقى فلسطين تحت الانتداب وتخضع للوصاية بموافقة الأمم المتحدة ..

٢ - السماح لمائة ألف يهودي من أوروبا بالهجرة إلى فلسطين ..

٣ - سن القوانين التي تنظم ملكية الأراضي على أساس حرية البيع والشراء والتأجير ..
إلا أن القادة الصهيونيين رفضوا ما جاء في التقرير لأنه في نظرهم اعترض على مبدأ قيام دولة يهودية في فلسطين ..

وأصدر بن جوريون أوامره السرية للمهاجاة باستمرار الهجرة غير الشرعية والعمل على إنشاء المستعمرات وإعلان العصيان المدني بعدم دفع الضرائب والإضراب عن العمل والخروج في مظاهرات ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل انتشر الإرهاب الصهيوني في فلسطين بشكل لم يسبق له مثيل ، حيث اتحدت المنظمات الصهيونية العسكرية الإرهابية في عمل مشترك وتكونت قوة مشتركة من المهاجاة والأرجون وليحي لشن حرب العصابات ضد البريطانيين وضد العرب ، ووزعت الأوامر فيما بينها فتولت المهاجاة مهاجمة المنشآت العسكرية والأهداف الحيوية ، أما الأرجون فكانت مختصة بأعمال التخريب والنسف والتدمير بينما أخذت عصابة ليحي على عاتقها أعمال القتل والاغتيال ..

وقد عاشت التجربة الوحشية بين المنظمات الثلاث فترة تسعة أشهر ، وقد دشت بعملية عسكرية كبيرة اقتصرت أضرارها على الممتلكات دون أن تحدث خسائر تذكر في الأرواح وافتتحت بعملية ذهب ضحيتها عشرات القتلى ، وكان أول نشاط لحركة الإرهاب الشاملة للضغط على السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية هو توجه ضربة لخطوط السكك الحديدية في فلسطين في أول نوفمبر ١٩٤٥ ، ونفذتها قوات البالماخ التابعة للمهاجاة ، وفي الليلة نفسها نفذت مجموعة أخرى من القوات نفسها مهمة تخريب ثلاث سفن في مينائي يافا ، حيفا دون الاصطدام مع البريطانيين وكان ذلك بعلم وتعليمات من بن جوريون ..

كما نفذت الأرجون وليحي في الوقت نفسه عملية مشتركة استهدفت منشآت السكة الحديد في اللد ، وفي الليلة التالية قامت ليحي بمحاولة هجومية على معامل تكرير البترول في حيفا وأسفرت المحاولة عن مصرع أحد عناصرها من جراء انفجار الشحنة الناسفة أثناء معالجته لها ..

واستمرت الأعمال الإرهابية ، حين وجهت ضربة ضد مخطتي الشرطة في تمفعات أولفا وسيدنا على لقيامهما بجهود لمنع تسليح اليهود إلى فلسطين ، وبعد ذلك بعدة أيام نفذت الأرجون عمليات مشتركة ضد سباني الشرطة في القدس ويافا .. وأسفر عن ذلك مصرع ضابط بريطاني وتسعة من رجال الأمن البريطانيين والعرب وعن مصرع أحد

عناصر الأرجون ، وفي الوقت نفسه نفذت مجموعة من ليحي عملية استهدفت الحصول على الأسلحة وتمكنت من مفاجأة البريطانيين في معسكر صغير يقع بالقرب من تل أبيب واستولت على كميات كبيرة من الأسلحة بعد أن أصيب عدد من أفرادها بجراح ولقي ضابط بريطاني مصرعه ..

التدويل .. والتقسيم

في أواسط فبراير ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا عن اعتزامها إحالة القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة ، وبالفعل تقدمت بطلب للجمعية العامة في أوائل مارس لعقد جلسة طارئة بغية انتخاب لجنة خاصة من بين صفوفها لدراسة القضية الفلسطينية ، .. وبالفعل اجتمعت الجمعية العامة في أبريل ١٩٤٧ في دورة خاصة وقررت تكوين لجنة سميتها اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة ، وفي أغسطس انتهت اللجنة من دراستها للوضع في فلسطين ، ونشرت تقريرها في ١٩٤٧/٨/٣١ ..

وفي التقرير تم صياغة توصيتين : الأولى عرفت بتوصية الأغلبية وتضمنت إنشاء دولة عربية وأخرى يهودية مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها عامان في سبتمبر ١٩٤٧ ، أما توصية الأقلية فاقترحت إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية مستقلة بعد نهاية فترة لا تزيد على ثلاث سنوات ..

وفي ٢١ نوفمبر ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية العامة ، وخلال الاجتماع للتصويت على اقتراح التقسيم تمت الموافقة عليه بأغلبية ٣٢ صوتاً بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ..

وفي الفترة التي شهدت حضور اللجنة التابعة للأمم المتحدة لدراسة الوضع في فلسطين كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية تقوم بأعمالها الوحشية على قدم وساق مستهدفة السكان العرب بالأساس وطردتهم من أراضيهم ، وكانت الماجاناة تركز أعمالها على عمليات الاستيطان ولا سيما في المناطق القليلة الوجود اليهودي مثل صحراء النقب ومناطق الخليل والسهل الساحلي الفلسطيني وفي الجليل دون أن تواجه بأية مقاومة من قبل سلطات الانتداب وذلك على الرغم من احتجاج العرب ..

* * *

وقد واجهت إحدى المستوطنات مقاومة من القرويين العرب الذين هبوا للدفاع عن أرضهم وقد حدث ذلك عندما استفاق أهالي قرية الزاوية القريبة من الحولة في ٣ نوفمبر ١٩٤٦ على مستوطنة جديدة نبتت فوق أرضهم تحمل اسم « فؤوت مردخاي معززة

بحراسات يهودية مسلحة تحسباً لأية مقاومة من جانب أهل القرية ، بينما كانت الجراررات تقوم بتمهيد أراض تخص القرويين لصالح الواقع الجديد ، ولم يجد الأهالي من وسيلة للدفاع سوى مهاجمة الجراررات بالعصي ، إلا أن الحراس اليهود ردوهم على أعقابهم ثم عاود العرب ، وبالعصي محاولتهم للمرة الثانية منع الإستيلاء على أراضيهم وصدوا ثانية بواسطة الحراسات اليهودية التي قامت هذه المرة باقتحام القرية بأسلحتها النارية ، الأمر الذي دفع القرويين العرب في المناطق المجاورة لنجدة القرية بالسلاح وحدث اشتباك مع حراس اليهود أسفر - قبل تدفق قوات الأمن البريطانية - عن مصرع مستوطن وإصابة أحد عشر آخرين بجراح واستشهد ثلاثة من أبناء القرية ..

* * *

كان من بين الأهداف التي ركزت عليها الأرجون وليحي محطات السكة الحديد وخطوطها وخطوط الهاتف والتلغراف والمكاتب الحكومية ومحطات الشرطة والسيارات العسكرية ، وقد تعرضت محطات السكة الحديد - التي تقع في مناطق عربية - وخطوطها لهجمات عدة عن طريق غرس مواد متفجرة فيها ، وكانت محطة حيفا أول هدف شهد هذا النوع من النشاطات وذلك حين وضعت مجموعة من الأرجون مواد متفجرة بالقرب من شباك التذاكر ، لتبلغ الشرطة بعد ذلك هاتفياً عن وجودها ، بيد أنها انفجرت قبل التمكن من إزالتها وأحدثت أضراراً في الممتلكات ، وتعرضت محطة السكة الحديد في رأس العين في ١٠ نوفمبر، للعمل نفسه ، كما تعرضت السكة الحديد في القدس لعملية مشابهة حين وضعت مجموعة من الأرجون حقائب ناسفة داخل المحطة أسفر انفجارها عن مصرع ضابط بريطاني حاول إزالة الحقائق عقب تحذير هاتفي ..

إلى جانب المحطات تعرضت خطوط السكة الحديد وفي أماكن مختلفة لأعمال تخريبية متعددة أسفر عنها حدوث أضرار كبيرة في الخطوط وفي عدد من العربات أدى إلى مصرع ضابطين بريطانيين وإصابة عدد آخر بجراح وإحداث خلل في حركة المواصلات .. وفي مطلع مارس ١٩٤٧ هاجمت الأرجون أهدافاً متعددة في أماكن مختلفة من المدن الفلسطينية بغية أحداث خسائر في الممتلكات والأرواح معاً ومن أبرز الأهداف التي تعرضت هجماتها رد للضباط بالقدس ، تمكن عدد من أفراد المنظمة من دخوله متكرين في زي رجال الأمن وخلفوا وراءهم دون أن يوجهوا أي تحذير داخل الغرف مواد ناسفة أسفر انفجارها عن مصرع اثني عشر شخصاً من بينهم خمسة عسكريون أما الآخرون فكانوا من الموظفين ..

ونفذت ليحي في حيفا عملية استهدفت معامل تكرير البترول حيث استمرت ألسنة الملهب مشتعلة لفترة طويلة ، كما واصلت الأرجون نشاطها وقامت بعدة عمليات ، من بينها عملية استهدفت نصف مكاتب الاتصال العامة في القدس في أوائل أغسطس ذهب ضحيتها ٣ من أفراد الشرطة .. وأخرى في حيفا في أوائل سبتمبر استهدفت مقر الشرطة هناك وأسفر انفجار السيارة المملوغة التي وضعت بالقرب منه عن مصرع ١٣ شخصاً من بينهم تسعة من أفراد الشرطة وعن إصابة ٥٣ آخرين بجراح ..

بعد صدور قرار القسم أعلنت بريطانيا أنها ستسحب من فلسطين في أقصر وقت ممكن ، أعلنت ذلك وهي تعلم تماماً مدى قوة التنظيم اليهودي في فلسطين وما وصل إليه من رسوخ بفضل مساعداتها ومعانتها . وكان للصهاينة القوة السياسية والعسكرية للانقضاض على الأرض العربية أما العرب فلم يكن من المسموح لهم أن يمارسوا أي نشاط مماثل أو يقيموا أي تنظيم سياسي أو يحملوا السلاح للدفاع عن أنفسهم وحقوقهم !!

وقد أخذت الصهيونية وبجهد متواصل تعبيء صفوفها العسكرية وجميع قوى منظماتها الإرهابية وتنسق بين أنشطتها ، ووضع الخطط للقضاء على عروبة فلسطين وتحدد لخططاتها هذه اتجاهاً استراتيجياً معيناً هدفه إجبار العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وإرغامهم على النزوح من فلسطين ، واتخذ هذا الالتجاء الاستراتيجي شكل حرب الإبادة والإرهاب كوسيلة للاستيلاء على الأرض والتخلص من الشعب العربي في فلسطين في نفس الوقت ، ثم الادعاء بعدئذ بأن العرب هم الذين غادروا البلاد بمحض إرادتهم ولم يجبرهم أحد على ذلك ، حتى قبل أن يبدأ القتال الفعلي بل وقبل إعلان الدولة اليهودية ، وشهدت أرض فلسطين والقرى العربية الآمنة أكبر وأقسى حرب إبادة للفلسطينيين سواء عن طريق القتل أو عن طريق الحرب أو عن طريق الإرهاب بكل وسائله لإجبار العرب على النزوح ..

* * *

ولقد اتخذت أشكال الإرهاب الصهيوني في مرحلة قبل قيام الدولة مباشرة عدة أشكال^٢

- تكثيف العيوات الناسفة في أماكن تجمع العرب كالأسواق ..
- اغتيال المارة العرب ..
- هدم المنازل العربية ..
- الاعتداء على النساء العربيات ، وإشاعة هذا على نطاق واسع مع التهويل في ذلك ، لعلمهم بمدى حرص العرب على أعراضهم ، وهذا سيؤدي إلى نزوح أكبر عدد من

القرويين الفلسطينيين ، ورغم أن حوادث الاعتداء على الأعراس لم تكن كثيرة ، إلا أن اليهود أنفسهم ، قد أشاعوا وسط القرى العربية قصصاً دامية لم تحدث ، وقد أدى هذا إلى ترويع وإرهاب سكان القرى في النزوح الأول من فلسطين .

● الإغارة على القرى العربية عسكرياً ، وإقامة المذابح البربرية للأطفال والشيوخ والنساء ، والتمثيل بأجسادهم ، وبقر بطون الحوامل ، المهم أن تسمع المجزرة بكل قسماتها إلى بقية القرى ، حتى يمكن إشاعة الرعب .. والإرهاب في نفوس بقية القرى ، والإسراع بالخروج قبل أن تصل فرق الرعب والإرهاب الصهيونية ..

عشية صدور قرارات التقسيم ومن احتمال تعرض المجتمع اليهودي إلى حرب أهلية ، وجدت الهاجاناة أن خير وسيلة لإطفاء الحريق في الوسط اليهودي تتمثل في اشتعال حرائق في الوسط العربي على شكل جرائم بشعة اقترفتها بحق عدد من العائلات العربية .. وقد تمثلت هذه المهمة بالعمل على ترسيخ الخوف من « الخطر المترقب » المتمثل بالعرب في أذهان الأعضاء والأنصار وتضخيمه والتحويل من شأنه وقد وجدت الهاجاناة في سقوط عدد من اليهود قتلى نتيجة حوادث فردية مع عناصر عربية تعود في معظمها لأسباب غير سياسية - كأعمال السطو التي يمكن أن يذهب ضحيتها غرب أو يهود - ضالتها لتحريك الصراع العربي الصهيوني من ركوده وتسعيه بهدف إطفاء الحرائق في الوسط اليهودي ..

* * *

ففي ٢٠ مايو ١٩٤٧ هاجمت مجموعة تابعة لها مقهى بلدة فجة العربية بالقنابل التي أسفر انفجارها عن مصرع ثلاثة من العرب الذين ردوا على النار وتمكنوا من قتل رئيس المجموعة . وتابعت الهاجاناة أعمالها باقتحام المنازل العربية داخل بساتين البيارات عنوة تحت جنح الليل بحثاً عن العرب وقد قتلت بهذه الطريقة شخصين على دفعتين بعد أن اقتادتهما من منزلهما ، وتوجت أسلوبها هذا في منتصف أغسطس بجريمة فاقت في بشاعتها جرائم الأرجون في بيرعديس ، وذلك حين أقدمت مجموعة من عناصرها بعد منتصف الليل على تطويق بيت لعائلة عربية داخل بيارة أبو لبن الواقعة في ضواحي يافا والقرب من مستوطنة بني براك بحجة أن البيت يستخدم كوكبر للعصابات العربية علماً بأنه لم يكن فيه سوى الأم وصغارها الستة الذين لقوا مصرعهم جميعاً بعد نسف البيت على من فيه ..

* * *

لم توقف الهاجاناة هذا الخط من النشاط فقد أعدت خطة انتقامية كبيرة ضد بلدة الشيخ موسى، كلفت بتنفيذها قوات من البالماخ ولكنها ألغيت لأسباب سياسية ..

وفي أوائل أكتوبر ١٩٤٧ انفردت مجموعة من البالماخ بأحد البيوت العربية بالقرب من رأس العين انتقاماً لمصرع يهوديين ، وقتلت بداخله ثلاثة أشخاص من بينهم امرأة أصيب طفلهما بجراح ، كما جرت في الشهر نفسه عمليات إرهابية متفرقة مشابهة في مناطق مختلفة من بينها منطقة النقب حين تعرض عدد من أصحاب الأراضي العربية بسبب خلافاتهم مع الوكالة اليهودية حول مرور أنابيب المياه إلى المستوطنات المقامة حديثاً في أراضيهم إلى اعتداءات قوات البالماخ التي أصابت عدداً منهم بجراح ..

الحرب العربية الإسرائيلية

يمكن تقسيم الفترة الأولى من الحرب العربية الإسرائيلية الممتدة بين صدور قرار التقسيم وقيام الدولة اليهودية إلى مرحلتين ، الأولى وتمتد من بدء الاشتباكات عقب صدور قرار التقسيم وحتى أبريل ١٩٤٨ ، وقد اتسمت بشكل عام برجحان كفة القتال لصالح العرب الذين سيطروا على معظم طرق المواصلات وكانت التجمعات اليهودية في هذه المرحلة بمثابة جيوب بعضها محاصرة .. أما الثانية فتبدأ في أبريل على أثر سقوط القسطل ومجزرة دير ياسين وقد اتسمت بانعطاف في مسار الحرب حيث أخذت تميل كفة الميزان بشكل واضح لصالح الطرف الصهيوني ..

وعلى امتداد هذه الفترة كانت القوات البريطانية المرابطة في فلسطين تقوم بدور فك الاشتباكات بين الفريقين وتحاول منع حدوث احتلالات ، وقد نجحت في كثير من الأحيان في منع العرب من تحقيق احتلالات في الفترة الأولى ، وفشلت أو لم تبذل جهداً في المرحلة الثانية في منع اليهود من تحقيق احتلالات هذا فضلاً عن مساعدتها للقوافل اليهودية في الوصول إلى المناطق النائية أو المحاصرة ..

وقد أخضعت الهاجاناة نشاطها العسكري في المرحلة الأولى في الحرب لخدمة تنفيذ قرار التقسيم بينما هدف التنظيمان الآخران في نشاطهما العسكري إلى توسيع حدود الدولة اليهودية المقترحة ، وبناء على ذلك وضعت الأرجون خطة استراتيجية تعتمد على احتلال مناطق عربية خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة والمناطق التي تشملها الخطة هي القدس ، يافا ، اللد والرملة والمثلث العربي يشمل نابلس - جنين - طولكرم .. ومن بين ماقامت به اتسل في مثر هذه الفترة على سبيل المثال دخول عناصرها في ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ القدس العربية وإلقاؤهم مواد متفجرة وسط التجمعات العربية أودت بحياة عشرة من العرب وألحقت إصابات بالعشرات ، ودخول عدد من العناصر يافا بزي عربي

والقائهم قبلة في أحد المقاهي تسببت في مصرع ستة أشخاص وإصابة عدد كبير بجراح ، وفي حيفا أُلقت مجموعة من عناصرها قبلة على حشد عمالي عند معامل تكرير البترول في المدينة أسفر انفجارها عن مصرع ستة عمال عرب وإصابة عدد منهم بجراح ..

* * *

وفي هذا الوقت قامت ليحي بعملیات مشابهة لعمليات الأرجون ، وأبرز عملياتها في هذا المجال نسفها لمبنى « السرايا » في يافا في ٤ يناير ١٩٤٨ بوضعها بالقرب من المبنى سيارة مليئة بالمواد المتفجرة أسفر انفجارها عن مصرع ستة وعشرين عربياً وإصابة عدد آخر بجراح .. كذلك نفذت الهاجاناة عمليات مماثلة مستخدمة أسلوب نسف البيوت وحرقها ، ومن أمثلة ذلك في ٩ يناير ١٩٤٧ أُلقت سيارة تابعة للأرجون قنابل داخل قرية يازور العربية أسفر انفجارها عن نسف المبنى وعن إصابة عدد كبير من رواده الأمر الذي دفع سكان القرية للتعرض للسيارات اليهودية المارة داخل قريتهم وقتل عدد من ركابها ، وقبل تفاقم الوضع كانت الهاجاناة قد أعدت عملية انتقامية تستهدف خطوط المواصلات العربية والمسافرين العرب ، وقد وقع عدد من الركاب العرب ضحية هذه الخطوة ..

وفي الثاني من فبراير تعرضت بلدة يازور لعملية انتقامية حين اقتحمت وحدات من الهاجاناة أطراف البلدة ونسفت بيتاً وأشعلت حرائق في عدد من البيوت وقتلت عدداً من الركاب ، وفي منتصف فبراير نفذت سرية من البالماخ عملية انتقامية ضد قرية سعسع في الجليل الأعلى بغرض بث الرعب بين صفوف القرويين العرب إذ كان الهدف وفق التعليمات نسف عشرين بيتاً وإصابة أكبر عدد ممكن من المقاتلين بقدر المستطاع .. وتحت جناح الليل اقتحمت القوة البلدة وهدمت عدداً من البيوت وسط إشعال حرائق هنا وهناك ، وقتلت عشرات من العرب وقد استغرقت عملية التنفيذ ثمانين دقائق فقط ، وبعد مضي يوم واحد نفذت الهاجاناة عملية ضد فندق سميراميس في القدس أسفرت عن مصرع ١٤ عربياً إلى جانب مصرع مساعد القنصل الأسباني ..

* * *

وفي هذه الفترة نفذت الهاجاناة مذبحه ضد أهالي قرية بلد الشيخ في منطقة حيفا وبلغت حصيلة المذبحه أكثر من ٦٠ شهيداً عربياً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ، وكان من نتائج هذه المجزرة إلى جانب أعمال مشابهة حدثت في مدينة حيفا أن بدأت أعداد كبيرة من السكان العرب في حيفا تقدر بالآلاف تغادر المدينة خشية الوقوع ضحية اعتداءات يهودية مشابهة ..

وهكذا مضت الصهيونية في تنفيذ مخططاتها المرسوم ، فأصدر بن جوريون في ٢٥ مارس ١٩٤٨ أمراً للهاجانة بتعبئة أكبر مجموعة ممكنة من القوات لاحتلال القدس ، وكان ذلك بمثابة أول تحول للهاجانة إلى الهجوم الشامل ، ولذلك استدعى بن جوريون القادة المكلفين بالعملية وأعطاهم تعليماته الشخصية ، ويعتبر الهجوم على القدس في هذه المرحلة نقطة تحول هامة في الاستراتيجية الصهيونية وبداية لتنفيذ المخطط الكبير للاستيلاء على فلسطين ..

* * *

وفي نفس الوقت أعلنت الحكومة البريطانية عن عزمها على الإسراع في إنهاء الإنتداب وسحب قواتها المسلحة في موعد أقصاه ١٥ مايو ١٩٤٨ رغم قرار الأمم المتحدة الذي حدد أول أغسطس من نفس السنة تاريخاً لانتفاء الإنتداب .. وبينما كان الجدل والنقاش دائراً في مجلس الأمن كانت قيادة الهاجاناة تضع تفاصيل خططها العسكرية للاستيلاء على فلسطين التي أتمتها في أوائل مارس ١٩٤٨ وأطلقت عليها اسم « الخطة دال » وتلخص في :

- ١ - مهمة الهاجاناة : فرض السيطرة على المنطقة المخصصة للدولة اليهودية والدفاع عن حدودها ..
- ٢ - أهداف العمليات الحربية :
 - (أ) الدفاع ضد غزوات القوات النظامية وغير النظامية ..
 - (ب) ضمان حرية المواصلات داخل منطقة الدولة اليهودية وبينها وبين مراكز تجمع السكان خارجها ..
 - (ج) حرمان العدو من استخدام أي قواعد متقدمة باحتلالها مع ممارسة الضغط ضد السكان العرب ..
 - (د) احتلال المراكز الهامة سواء في المناطق الحضرية أو الريفية داخل حدود الدولة اليهودية أو خارجها ..

ويلاحظ أن المهمة والأهداف تنسم جميعاً بالعمل العدواني ، فهي تطالب القوات بالعمل خارج منطقة الدولة بحجة الوصول إلى قواعد القوات المعادية وكان معنى ذلك السماح للهاجانة بالعمل داخل حدود الدولة العربية الفلسطينية بل وداخل حدود الدول العربية المجاورة .. باعتبارها الدول التي تملك قوات نظامية ، ليس ذلك فحسب بل نصت الخطة على ممارسة الضغط على السكان العرب وهو ضغط إرهابي اتبعت خلاله أساليب

الحصار والنسف والتدمير والقتل الجماعي بهدف إجبارهم على ترك أراضيهم والنزوح خارج فلسطين أي تفرغ البلاد من سكانها الأصليين ..

* * *

وهكذا مع أوائل أبريل ١٩٤٨ ، كانت القوات الصهيونية المسلحة ومنظماتها الإرهابية قد أتمت استعدادها لتوجيه الضربة الرامية إلى تفرغ فلسطين من سكانها العرب بأعمال القتل والإرهاب ، ويمكن القول أن الفترة ما بين أول أبريل ومتنصف مايو ١٩٤٨ تعتبر من أخطر مراحل المخطط الصهيوني وأعظمها أثراً رغم كونها لم تزد عن ستة أسابيع .. فقبل هذه الفترة كان العرب يسيطرون على معظم أراضي فلسطين إلا أنه اعتباراً من أوائل أبريل وخلال فترة ستة أسابيع تقريباً تغير الموقف تغيراً كاملاً ، وقد بلغ عدد القرى التي تعرضت لهجوم المنظمات الإرهابية الصهيونية وأعمال النسف والتدمير والقتل حوالي مائة قرية عربية واستولت عليها القوات الصهيونية .. وإليك أكبر عملياتهم الإرهابية قبل أن يعلن بن جوريون في مساء ١٤ مايو قيام دولة إسرائيل ..

* * *

إغتيال اللورد موين في القاهرة

في عام ١٩٨٠ ، أعلن شيمون بيريز زعيم حزب العمل الإسرائيلي عن استنكاره لكل أنواع الإرهاب ، ووصف منظمة التحرير الفلسطينية « بالمنظمة الإرهابية » وفي اليوم التالي ، حضر احتفال توديع بقايا رفات اثنين من الإرهابيين اليهود ، كانت رفاتهما قد وصلت توأ من القاهرة ، على متن طائرة العال الإسرائيلية ، وملفوفة بالعلم الإسرائيلي ، وتم دفن رفات الإرهابيين اليهوديين في حفل كبير برعاية مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت ، وبحضور اسحق شامير زعيم الإرهابيين .

فلقد طلب مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي من الرئيس المصري أنور السادات ، تسليم إسرائيل رفات اثنين من اليهود ، كان قد حكم عليهما بالإعدام في القاهرة ، ونفذ عليهما الحكم في ٢٨ مارس ١٩٤٥ . واستجاب الرئيس المصري أنور السادات لهذا الطلب الإسرائيلي الغريب ، وتم تسليم الرفات في سرية مطلقة حتى تم نقلهما إلى إسرائيل لإقامة هذا الاحتفال الغريب ، وقصة هذين اليهوديين بدأت عام ١٩٤٤ ، أثناء الاحتلال

البريطاني لفلسطين ، فلقد أصدر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت قرارات بالنسبة لليهود في فلسطين :

الأول : قرار بالموافقة على إنشاء اللواء اليهودي ، وهذا اللواء قد لعب دوراً هاماً وأساسياً في طرد السكان العرب من قرى الحدود ، وأصبح لليهود بناء على قرار تشرشل وجود عسكري يهودي شرعي في فلسطين ، في الوقت الذي رفض إقامة جيش فلسطيني ، ذلك أن اليهود قد ضغطوا بشدة على تشرشل لانتزاع هذا القرار في نفس الوقت لم يحاول العرب أن يلعبوا نفس اللعبة اليهودية .

الثاني : إبعاد بعض العناصر الإرهابية اليهودية من فلسطين وخاصة من منظمتي اتسل وليحي ، ونفهم إلى أريتريا ، وكانت هذه العناصر تقوم بسرقة السلاح من مخازن الجيش البريطاني ، ولا مانع من أن تقتل الحراس البريطانيين وكان معظم المنفيين من منظمة ليحي التي يقودها الإرهابي اسحق شامير .

أراد اسحق شامير أن يرد على نفي بعض أفراد جماعته ، فقرر اغتيال الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط ، وهو اللورد موين ، والذي يشرف على تنفيذ تعليمات الحكومة البريطانية ، وهو في نفس الوقت صديق شخصي لونسون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت ..

* * *

كان الوزير البريطاني يقيم في القاهرة ، وأرسل اسحق شامير إلى القاهرة « أفضل عناصر منظمة ليحي » لاغتيال الوزير البريطاني ، وفي ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤ انتظر الإرهابيان اللورد موين على جسر أبو العلا الذي يربط حي الزمالك الأرسطراطي بوسط المدينة ، وأثناء مرور سيارته أطلقا عليه الرصاص ، فقتلاه ، كما قتلا سائقه وركبا دراجة وحاولا الفرار ، إلا أن الكونستابل المصري الأمين محمد عبد الله ، طاردهما .. فأطلقا عليه الرصاص ، ولكن رصاصهما لم يخفه ، وتمكن من الإمساك بهما .. واعترفا بحريتهما ، وأهدافها ، وزعماء المنظمة ..

* * *

وقد حزن ونستون تشرشل حزناً عميقاً على صديقه اللورد موين ، وحاولت الوكالة اليهودية تغطية هذه الجريمة بالإعلان عن شجبتها ، بل وشجب كل « أعمال الإرهاب » التي يقوم بها « العرب » وبعض المتطرفين من اليهود ، إلا أن موشيه سنيه زعيم

المجاناة ، لم يطبق هذا النفاق ، وهذه التغطية الساذجة ، وأعلن صراحة : أن الوقت قد حان للعمل الجدي ، وأنه من الأهمية بمكان تقوية مثل هذه العناصر ..

* * *

وفي القاهرة ، قدم المتهمان « الياهو حكيم والياهو بنسوري » إلى المحكمة ، واعترف المتهمان بأنهما حضرا من فلسطين عاقلين عزمهما على قتل اللورد موين .. وقررا أنهما حضرا من فلسطين تنفيذاً لما أصدرته الجمعية التي ينتميان إليها وهي جماعة شتيرن بالتخلص من اللورد موين . وأنهما قاما بمراجعة مكتب اللورد وارتادا الأماكن المجاورة له ..

وكان المتهمان قد كمنوا للورد موين في الطريق بين بيته ومكتبه وأمرأ من معه في السيارة بالإنبطاح أرضاً ما عدا اللورد موين حيث أطلق الأول ٣ رصاصات عليه .. وحينما حاول السائق الحصول على مسدس المتهم الثاني أطلق عليه المتهم رصاصتين أردته قتيلاً . وركبا دراجتهما وكادا يفلتان لولا أن لحق بهما الكونستابل الأمين محمد عبد الله وتمكن من اعتقالهما . وقد أطلق المتهم الأول النار على الكونستابل بقصد إرهابه حتى لا يطارده .. ووجهت لهما النيابة تهم قتل اللورد موين عمداً مع سبق الإصرار وقتل سائق سيارته ومحاولة قتل الكونستابل عندما أراد القبض عليهما ، وإحراز أسلحة نارية ومفرقات بدون ترخيص ..

وتم تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمتها برئاسة محمود منصور بك وانتدبت المحكمة محامين للمتهمين ومترجماً لترجمة أقوالهما بعد أن أصرا على الإدلاء بأقوالهما باللغة العبرية ، كما رفض المتهمان الإدلاء بأسباب قتلتهما للورد موين وقالوا أنها عقيدة دينية وتعليمات للجمعية التي ينتميان إليها .. وقد أصدرت المحكمة حكمها بإحالة أوراق المتهمين إلى فضيلة المفتي لإبداء رأيه فيها وحددت للنطق بالحكم يوم الإثنين ٢٢ يناير ١٩٤٥ .. وفي الجلسة المحددة تلا رئيس المحكمة الحكم بإعدام المتهمين ومصادر الأسلحة المضبوطة على ذمة القضية ..

وتم تنفيذ الحكم بإعدامهما شنقاً في ٢٨ مارس عام ١٩٤٥ ، وتم الاحتفال برفائهما في إسرائيل عام ١٩٨٠ ..

* * *

نصف فندق الملك داوود

في أبريل عام ١٩٨٦ ، أثناء زيارة مسز مارجريت تاتشر لإسرائيل ، أصرت حكومة شيمون بيريز أن تعقد مسز تاتشر مؤتمرها الصحفي في فندق الملك داوود بالقدس .. وكان إصرار حكومة بيريز على عقد المؤتمر في هذا الفندق بالذات ، هو إعلان بريطاني جديد للصفح عما ارتكبه إسرائيل ضد الجنود البريطانيين في فلسطين ، فترة الانتداب البريطاني ، والغريب في الأمر أن مسز تاتشر تحدثت عن الإرهاب .. وأعلنت أنها ستواجه الإرهاب بشدة وعنف ، وتعني به « الإرهاب الفلسطيني » .

وتجاهلت مسز تاتشر ما حدث في هذا الفندق لجنود بريطانيا على أيدي العصابات الصهيونية ، بل أن منحهم ييجين بطل هذه المذبحة ، كان على صدر القائمة السوداء في المطارات والموانئ البريطانية بغرض حظر دخوله بريطانيا ..

ولكن إسرائيل ، كما استطاعت الحصول على صك البراءة من دم المسيح .. استطاعت أن تحصل لعصابات الإرهابية على صك السماح من مسز تاتشر ، بل وجعلوها تعقد مؤتمرها الصحفي في الموقع الذي شهد قمة الإرهاب اليهودي ضد القوات البريطانية .

* * *

كما سبق أن ذكرنا في مكان سابق ، كانت الوكالة اليهودية هي التي توزع الأدوار ، على المؤسسات الإرهابية في فلسطين وخارجها ، وكانت هذه الوكالة تضم العديد من الوثائق التي تدّينها ، سواء في تلك العمليات الإرهابية التي تحدثت ضد قوات الاحتلال البريطاني ، أو تلك التي تحدثت ضد الفلسطينيين ، بالإضافة إلى الوثائق التي تؤكد علاقة الوكالة بالنازية ، وفي نفس الوقت كثر اغتيال الجنود البريطانيين على أيدي العصابات الإرهابية اليهودية ، وفي نفس - تشجب الوكالة حوادث الاغتيال ، وتدّينها - وهي في نفس الوقت التي خططت لها ، وكلفت إحدى العصابات القيام بها ، لذلك قرر مستر كانينجهام المندوب السامي البريطاني في فلسطين احتلال مبنى الوكالة اليهودية والقبض على قادتها ، والاستيلاء على وثائق الوكالة تمهيداً لتقديم أفرادها إلى المحاكمة .. وفي صباح يوم ٢٩ يونيو عام ١٩٤٦ ، قامت قوة من الجيش البريطاني باحتلال الوكالة ، والقبض على قادتها فيما عدا بن جوربون الذي كان في باريس في ذلك الوقت ، واستولت القوات البريطانية على تلك الوثائق .. وأودعتها في فندق الملك داوود في القدس ..

* * *

وهذا الفندق قد تم افتتاحه في القدس عام ١٩٣٠ ، وكان هذا الفندق من أجل فنادق الشرق الأوسط ، وقد أقام فيه الملوك والرؤساء الذين قاموا بزيارة فلسطين بعد عام ١٩٣٠ ، كالملك عبد الله ، والامبراطور هيلامبلاسي امبراطور الحبشة ، وجورج الخامس ملك بريطانيا ، وأثناء الحرب العالمية الثانية تحول الفندق إلى مقر قيادة القوات البريطانية ، وعندما انتهت الحرب ، ظل الفندق مقراً لهذه القيادة ..

انتقلت وثائق الوكالة اليهودية إلى مقر القيادة في فندق الملك داوود ، وأصدرت الهاجاناة أوامرها إلى الإرهابي مناحم بييجين بنسف الفندق والإستيلاء على الوثائق .. يقول إسرائيل جاليلي^(١) أن أحداث (السبت الأسود)^(٢) قد أدت إلى التخطيط لهذه العملية ، ولكن قرار نسف مقر القيادة البريطانية ، في فندق الملك داوود ، كان قد اتخذ قبل ذلك بأسابيع لأسباب سياسية ، والقول بأن النسف كان بسبب الوثائق ، هو سبب تافه للغاية ، لأن البريطانيين كانوا — بالتأكيد — قد صوروا هذه الوثائق ..

* * *

قام مناحم بييجين بقيادة العملية بنفسه ، وتمكن من إدخال ٣٥٠ كيلوجراماً من المتفجرات داخل الفندق ، وفي مساء ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ دوى الانفجار في الفندق ، وفي لحظات ، تحول جانب كبير من هذا الفندق إلى حطام ، وكان عدد القتلى ٩١ قتيلاً و ٤٦ جريحاً ، منهم ٤١ عربياً ، و ٢٨ بريطانياً و ١٧ يهودياً وخمسة جنسيات أخرى ..

* * *

كان مناحم بييجين قد عرض خطة النسف على الهاجاناة ، ولكنهم خشوا في البداية أن تفشل ، إلا أنه أصر على تنفيذها ، وقام بتعبئة المتفجرات في « سيج أوان للبن الحليب » الذي يتم تزويد الفندق به ، وكانت القيادة البريطانية قد تركت طابقين من الفندق للنزلاء ، ولهم باب خاص ، وأخذ بييجين ومجموعته « فناطيس » اللبن الحليب ، على سيارة نصف نقل ، وارتدى ومجموعته ملابس العرب الذين كانوا يمدون الفندق بالألبان ، واتجه إلى باب خدمات الفندق ، فأراد أحدهم تفتيشه فقتله ودخل الفندق

(١) أحد زعماء حزب العمل ، قدم مشروع جاليلي الذي يقضي برفض العودة إلى حدود ٤ يونيو .

(٢) اليوم الذي قامت فيه القوات البريطانية باحتلال مبنى الوكالة اليهودية والاستيلاء على الوثائق واعتقال قادة الوكالة ..

واحتجز العاملين الإداريين في الطابق الأول ، وأدخل المتفجرات ، وضبط الساعة الزمنية لموعد الانفجار ، وخرج والمجموعة من باب خروج النزلاء ، حيث كانت في انتظار المجموعة التي يقودها بيجين سيارة تاكسي ، وهرب .

وأثناء هروبه دوى الانفجار ، فأطلقت الشرطة العسكرية البريطانية عليهم النيران ، فخرج اثنان مات أحدهما متأثراً بجراحه ..

* * *

أحدثت هذه المجزرة دويًا هائلاً في بريطانيا ، ولكنها في نفس الوقت عجلت بخروج القوات البريطانية من فلسطين ، حتى تتمكن العصابات الإسرائيلية من إعلان الدولة ..
مناحم بيجين لا ينكر دوره الإرهابي في هذه المجزرة ، بل إنه يفخر بها ، ولقد كتب في مذكراته التي أطلق عليها اسم « التمرد » يقول :

« قدمنا خططنا لأول مرة في ربيع عام ١٩٤٦ إلى « قيادة حركة المقاومة » ، أبلغت سينج وجاليلي أننا سوف نتعهد باختراق جناح الحكومة ، في فندق الملك داوود ، والقيام بعملية تخريب واسعة النطاق ، وقد أكدت ، دون أن أتناول التفاصيل ، أن استخدام المتفجرات سيميز بجهاز جديد ، وسوف لا يمكن إزالة الألغام أو إبطال مفعولها ، ذلك لأنها ستنفجر بمجرد التماس ، ومن ناحية أخرى سوف نكون قادرين على تحديد لحظة انفجار هذه الألغام ، بواسطة جهاز زمني ، بعد إدخالها إلى المبنى بنصف ساعة » ..

لم تصادق الهاجاناة على خططنا من فورها ، واعتبرت أن الهجوم على مقر رئاسة الحكم البريطاني عملية طموحة للغاية ، رغم أنهم لم يعارضوا الخطة من حيث المبدأ .. وكانت معارضتهم ، في أن الوقت لم يحن بعد ، لمثل هذا الهجوم الخليل بإثارة البريطانيين إثارة بالغة ، وكان علينا أن ننحني لقرار الهاجاناة ، غير أننا لم نصرف النظر خططنا ، وقدمناه في أحاديثنا الشخصية مع رؤساء الهاجاناة ، وفي رسائلنا .. وكان الاسم الذي أطلقناه على فندق الملك داوود ، « مالتوتشيك » أي « الفندق الصغير » ، إمعاناً في التورية أسميناه « تشيك » ، وفي غضون ذلك كانت « جبهة تحرير إسرائيل » قد أعدت خطة هجوم على مبنى آخر ، كانت تستعمله الحكومة وهو عمارة إخوان داوود .. وقد صدق على هذين المشروعين .. بعد تعليقهما لعدة أشهر ، من قيادة منظمة الهاجاناة ، في يوليو ١٩٤٦ ، أي بعد الهجوم الرئيسي الذي شنّه الجنرال « باركر » على الهاجاناة والبالاخ والوكالة اليهودية يومين ..

وعن القصة الكاملة لعملية نسف فندق الملك داوود ، نشرت صحيفة ידיعوت
أحرونوت بتاريخ ١٩٧٩/٧/٦ القصة التالية :

- بدأت منظمة اتسل العمل في الساعة الخامسة والنصف مستخدمة سارة تاكسي
وشاحنة في تل أبيب ، ونقل السيارتين إلى القدس حيث سرت هناك سيارة أخرى ،
وكانت سيارة بيك آب رقم ٧٠٢٢ .. وتمت تعبئة سبعة أباريق من أباريق الحليب بالمواد
الناسفة .. ووضعت في سيارة البيك آب ، وانجهدت السيارة ، حاملة مجموعة من أفراد
الكوماندوز المسلحين برشاشات ستين وتوميغان ويرتدون الملابس العربية ، وسارت في
الطريق المؤدي إلى باب خدمات الفندق ..

لقد اختارت منظمة اتسل المكان الأقل حراسة في الفندق ، ولم تكن البوابة الرئيسية
للفندق محصنة ، لأن الفندق كان يستخدم كفندق ومطعم ، وكأهم مركز اجتماعي في
القدس ، وكانت هناك حراسة على باب سكرتارية الحكومة ، الواقعة تحت الجناح الجنوبي
الشرقي ، ولكنه كان مفتوحاً للجمهور ، وكثيراً ما كان يؤمه المواطنون في شئون مختلفة ،
ولم تكن هناك حراسة مطلقاً على باب خدمات المطعم ..

وفي الساعة ١١ر٤٥ ، قام ثلاثة من أعضاء اتسل المسلحين ، باحتجاز البواب في أحد
المكاتب بالقوة ، وبعد ذلك احتجزوا جميع العاملين في المطابخ بينما قام عدد آخر من
اتسل .. بإنزال أباريق الحليب من سيارة البيك آب .. ووضعوها تحت مكاتب
السكرتارية .. وبدأ قائد المجموعة بوصل المواد المتفجرة بأجهزة التوقيت وبعد ذلك وضع
لافتات بثلاث لغات على الأباريق « ألغام ممنوع اللمس »
ويقول بيغن :

- وبعد ذلك دارت معركة لأنه كان على جنودنا التوغل إلى الطابق الأرضي ، وهناك
رابط جنود بريطانيون ، ويبدو أنهم شعروا بحركة مريبة ، فبدأوا بإطلاق النار - وقد
دحض شهود عيان بريطانيون ادعاء بيغن هذا ، وقال السكرتير العام للحكومة
البريطانية ، جون شو ، الذي كان يقوم بمهام المندوب السامي .. ان كانتغهام ، أثناء
غيابه : لقد التقى ضابط اتصال بريطاني بأعضاء اتسل وطلب منهم إبراز هوياتهم ، لكنهم
أطلقوا النار عليه وقتلوه ، وكان القتل الوحيد .. ولم تحدث أية معركة ..

أما تقرير الشرطة البريطانية ، الذي يصف الحادث بالتفصيل ، فيوضح بأن الجنود
البريطانيين الوحيدة الذين كانوا في الطابق الأسفل ، أثناء اقتحام أعضاء اتسل ، كن
فتيات عملن في مقسم الهاتف العسكري في البهو ، في مكان قريب من المقهى .. وعند
ساعات الظهر ، جلس الملازم أول ل. ب. تشمبرز والنقيب أ. د. ماكنوتش في قيادة

الاتصال الكائنة في الطابق العلوي ، وقرر ماكتنوش النزول إلى الطابق الأرضي .. لتفقد مقسم الهاتف ، وبعد دقائق ، اتصلت الرقية براون المسئولة عن المقسم بالملازم أول تشميرز ، وأبلغته أن عرباً مسلحين يصارعون ماكتنوش في البهو ، وأفادت فيما بعد ، أن الشجار استمر بضع دقائق ، وحاول اثنان من أعضاء آتسل إدخال ماكتنوش إلى المطبخ ، لكنه تمكن من الوصول إلى الدرج المؤدي إلى قاعة المدخل الرئيسي ، وعندئذ أطلقت عليه النار من مسافة قريبة ، وأصيب في بطنه لكنه نجح في صعود الدرج وهناك التقى بأحد عمال الفندق الذي ساعده في الوصول إلى الطابق السفلي وقام بإبلاغ إدارة الفندق التي قامت بدورها بإبلاغ رجال الأمن بالحادث ..

وفي هذه المرحلة ، علم رجال الأمن بأن ضابطاً قد تعرض للهجوم وأن الطابق الأرضي يضم بعض العرب ، يقومون بتصرفات مشبوهة .. وعلى الفور قام تشميرز برفقة جنديين بتخطي بهو الفندق ، ودخلوا إلى غرفة مقسم الهاتف عبر النافذة ، وقال تشميرز : ألقيت نظرة عبر النافذة المطلة على مطعم ريجنس ، وعلى الفور صوب رجلان يرتديان زي الجنود الأردنيين سلاحهما نحوي ، فتراجعت ..

عاد الرقيب بيتي إلى قاعة الدخول في الفندق ، واتصل هاتفياً بالنيب فاين ، وضابط الأمن النقيب نيقولاس ، وعاد برفقة جندي إلى بهو الطابق الأرضي وتقدم الشيء في البهو ، عندئذ أطلقت النار عليه ويقول : - شاهدت رجلاً يرتدي الملابس العربية ، يقف على الباب ويده رشاش من طراز ستين ، وصرخ : قف .. فقفزت إلى الخلف ولم يطلق النار مرة أخرى .. وعدت إلى الباب ، فشاهدت شاحنة والرجل الذي أطلق النار على ، فعاد وأطلق النار ثانية ، وفي هذه اللحظة .. أي في الساعة ١٢ر١٥ ، بدأ أعضاء آتسل في الانسحاب ، فقام موظف بالضغط على جرس إنذار شرطة القدس ، وعلى الفور اتجهت مجموعة من أفراد الشرطة بقيادة الملازم أول هادينغام إلى فندق الملك داوود ..

وغادرت مجموعة الهجوم التابعة لمنظمة آتسل الإرهابية ، سيارة الشحن التي أطلقت عليها النار ، وانسحبت مشياً على الأقدام ، في حديقة الفندق ، واتجهت نحو سيارة التاكسي التي خصصت لاستخدامها في الفرار ، وكانت تقف على بعد ٢٠٠ متر من الفندق ، في الطريق المؤدي إلى القنصلية الفرنسية ، فشاهد الجندي البريطاني بعض أفراد المجموعة ، وأطلق النار عليهم ، فوقع أحد أفراد المجموعة ، لكنه عاد ووقف واستمر في الركض واتضح فيما بعد أن اثنين قد أصيبا بجراح ، هما : أهارون أبراهامي واسحق شارون ، وصعد ستة من أفراد المجموعة إلى سيارة التاكسي ، واختفوا في المكان ، بينما

ركض الباقون باتجاه الحى اليهودي ، وغثرت الشرطة البريطانية على الجريحين هناك صبيحة اليوم التالي ، وكان أبراهام قد توفي متأثراً بجراحه ..

فيما بين الساعة ١٢ر٢٠ - ١٢ر٢٥ ، انفجرت قنبلة صغيرة ، كانت قد وضعتها مجموعة أخرى تابعة لمنظمة آتسل ، في عربة بائع عربي متجول ، على بعد أمتار من الفندق بالقرب من قاعة لعرض السيارات ..

بعد هذا الانفجار عادت عاملات المقسم لمزاولة أعمالهن ، وفي غضون ذلك غادر بعض الأشخاص المحتجزين في المطبخ المكان بحذر ، وأبلغ بعضهم بأن لإرهابيين يهود اعتدوا عليهم ، وسجنوهم في الطابق السفلي ، ووضعوا أباريق حليب هناك ، فتوجه هادينغهام إلى هناك ، وفجأة دوى انفجار قوي قذفه إلى الخلف حوالي عشرة أمتار ، وكانت الساعة ١٢ر٣٧ تماماً ، لأن الانفجار أوقف جميع الساعات الكهربائية في المبنى .. لقد حول الانفجار الجناح الجنوبي الغربي من الفندق إلى كومة من الركام والغبار ، وانهارت الطوابق الستة المؤلفة من ٢٨ غرفة ، وبدت كأنها قطعت تماماً من جناحها الجنوبي الغربي ..

لقد أدى الانفجار إلى مقتل ٩١ شخصاً ، بينهم ٤١ عربياً و ٣٨ بريطانياً و ١٧ يهودياً وخمسة آخرين . وقال تقرير الشرطة : أن عدد القتلى قد ارتفع بسبب الانفجار الذي جعل الكثير من نزلاء الفندق يتجهون إلى نوافذ الجناح الجنوبي الغربي كما حدث في الشارع ..

* * *

تكثيف الإرهاب

عندما قررت وأعلنت بريطانيا الانسحاب من فلسطين في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ نشطت كل المنظمات الإرهابية اليهودية لتفريغ فلسطين من العرب ، وخلق أمر واقع بحيث يعلن بن جوريون الدولة الإسرائيلية ، وتكون القوات الإرهابية مسيطرة على أكبر جزء من فلسطين ، وفي سبيل ذلك ، لم يعد بن جوريون يتحفظ في إعلان معرفته بالعمليات الإرهابية ، بل إنه كان يشترك في التخطيط لها ، ويتنظر نتائجها ..

ولقد اتخذت هذه العمليات الإرهابية استراتيجية تكاد تكون ثابتة ، وهي الإغارة على القرى ، ذبح الرجال والنساء والأطفال ، ترك من يريد أن يهرب ، احتلال القرية ،

الاستيلاء على الممتلكات الموجودة في البيوت ، استيطان القرية تغيير اسمها العربي ، وإطلاق اسم عبري عليها ، وهذا تصبح القرية العربية مستعمرة يهودية في عدة أيام .. وفيما يلي نماذج من الغارات اليهودية على القرى العربية :

البحث عن سبب في قرية حساس العربية

في عام ١٩٤٧ ، وفي صباح يوم ١٢ من ديسمبر ، توجه خمسة عمال عرب من قرية حساس إلى أعمالهم في الصباح الباكر ، وخرج عليهم قطاع الطرق اليهود من مستعمرة « معيان باروخ » القرية من القرية العربية ، وحدثت مشادة بين اليهود الثلاثة والعرب الخمسة ، أدى إلى قيام أحد العمال العرب بطعن يهودي بسكين مات على الفور ، وفر اليهوديان ، وفر العرب أيضاً ..

وبلغ الحادث قيادة البالماخ ، واعتبر اغتيال يهودي كارثة ، وتقرر الإغارة على قرية حساس .

وتم تشكيل قوتين من البالماخ لمهاجمة القرية ، الأولى بقيادة دافيد شركمكي والثانية بقيادة يعقوب ليفنجر ..

وذهبت القوتان إلى القرية ، ونسفت بعض البيوت ، وقتلت كل من رآته من الرجال والنساء والأطفال ، وأرسلت تقريرها عن نتائج هذه العملية ، فماذا يقول التقرير :

« ان المجموعة لم تتمكن من قتل سوى ١٢ فقط من عرب قرية حساس بينهم عدد من النساء والأطفال واتضح أن الرجال قد غادروا القرية قبل تنفيذ العملية .. وأن جميع قتل العملية من النساء والأطفال ، ولقد كانت هذه العملية كثيفة من حيث نتائجها بسبب عدم التخطيط السليم^(١) ..

* * *

(١) صحيفة معاريف الإسرائيلية - ملحق العدد ١٩٨١/٧/٣١ .

يازور .. الخطيئة والعقاب :

يازور .. هو اسم لقرية عربية عند مدخل مدينة يافا ، والقادم من يافا في طريقه إلى القدس ، لابد أن يمر بيازور .. وكانت السيارات الإسرائيلية تمر بالقرية ، وكان اليهود يلقون على سكانها القنابل اليدوية ، بل قامت منظمة آتسل الإرهابية ، بوضع عبوة ناسفة في مقهى القرية ، أدى انفجارها إلى مقتل العشرات من رواد المقهى العرب ..

وفي يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٤٨ مرت سيارة تحمل سبعة من الحرس الإسرائيلي .. فاصطدمت بلغم عند مدخل القرية ، أدى إلى نسف السيارة ، ومصرع الحراس السبعة .. وكان رد الفعل الإسرائيلي ، وقد أزاح الستار عن رد الفعل هذا الكاتب اليهودي أورلي ميلشتاين في صحيفة دافار الإسرائيلية بتاريخ ٨ مايو عام ١٩٨١ ، تحت عنوان « يازور .. الخطيئة وعقابها » .. يقول ميلشتاين « في نفس اليوم الذي قتل فيه الحراس السبعة ، وجه ضابط عمليات منظمة هاجاناه إنجال يادين أمراً لقائد البلماخ بيجال ألون قال فيه : عليك بالقيام بأسرع وقت ممكن ، وبدون أية أوامر أخرى بعملية ضد قرية يازور ، ويجب أن يكون الهدف لإزعاج^(١) القرية فترة طويلة ، وحتى إشعار آخر .. وذلك عن طريق التسلل لداخلها ونسف وإحراق عدد من المنازل ، .. واغتيال السكان ، ولأني أمنحك صلاحية أسلوب العمل » ..

يقول أورلي ميلشتاين :

« قامت مجموعة تابعة للبلماخ ، بمهاجمة سيارة باص عربية بين يازور ومكفة إسرائيل ، وقد أصيب نتيجة لذلك سائق سيارة الباص ، وعدد من الركاب العرب .. وفي نفس اليوم أيضاً ، هاجمت مجموعة إرهابية أخرى سيارة باص عربية ثانية ، ووقع عدد من المصابين بين ركابها .. لقد استمرت الهجمات اليهودية ، التي قامت بها وحدات البلماخ ولواء جبعاتي ، على قرية يازور والسيارات العربية المتجهة إلى يازور ويافا ، عشرين يوماً متواصلة ، وكانت عناصر البلماخ الإرهابية تتسلل إلى القرية عبر بيارات البرتقال ، وتفجر العبوات الناسفة قرب المنازل ..

وفي ذكرى اليوم الثلاثين لقتل اليهود السبعة ، قررت قيادة الهاجاناة مهاجمة قرية يازور ، ونسف مصنع الثلج وبنائين مجاورتين له ، بحجة وجود حسن سلامة في هاتين البنائين .

(١) يعني لدهاب السكان العرب في القرية .

وقد أسندت مهمة التخطيط لهذه العملية إلى ضابط عمليات البالمخ اسحق راين .. وكانت هذه أول عملية تشترك فيها وحدة إسناد تابعة لشعبة التدريب ، وكان مسئول شعبة التدريب هو العميد إسرائيل طال ، وتقرر البدء بالهجوم مع بزوغ الفجر ..

وفي الليل تجمع الأشخاص الذين تقرر اشتراكهم في العملية ، في مستوطنة مكفة إسرائيل ، ووصلت من كيرتس خلدا مجموعة بقيادة يهوشاع بنو ، ووصل إسرائيل طال ومعه رشاش براونفغ ، وطاقم مؤلف من ستة أفراد ، ووصل امنون جنسكي مع مجموعة من خبراء المتفجرات العاملين في قيادة البالمخ .. وتم إحضار الأسلحة والذخيرة من أماكن مختلفة .. وبعد عملية استعداد طويلة ، انطلقت القوات إلى القرية عبر بيارات البرتقال ، وقامت مجموعة الرشاش المتوسط بقيادة طال ، بإطلاق النار على مصنع الثلج وقامت المجموعات الأمامية بالهجوم ، وقام المقاتلون بإطلاق النار والقنابل اليدوية على البيوت والمنازل .. وقامت مجموعة يهوشاع بنو بتفجير بوابة مبنى اسكندروني .. وأحضرت عبوتين ناسفتين ، زنة الواحدة ٢٥ كيلو غراماً ، وتم نسف مبنى اسكندروني ومبنى معمل الثلج ، وأسفرت العملية عن مقتل ١٥ عربياً من سكان يازور قتل معظمهم في فراش النوم ..

* * *

فرحة اليهود بمقتل ٧٠ عربياً مرة واحدة

هذه العملية الإرهابية الكبرى حدثت في يافا عام ١٩٤٨ في الثامن من يناير ، حيث كانت اللجنة القومية العربية ليافا ، تجتمع في عمارة أطلق عليها « السرايا العربية » ، وكان هدف البالمخ نسف هذه العمارة ، وقتل أكبر عدد ممكن من قيادات اللجنة ، وكلف بن جوريون « الصاعقة اليهودية »^(١) بتنفيذ العملية ، وسوف نسرّد تفاصيلها

(١) الصاعقة ، وهي القوة المضاربة لمنظمة الدفاع اليهودية (هاجاناه) وقد أقيمت عام ١٩٤١ ، وقد شاركت البالمخ البريطانية ضد قوات حكومة نيش في كل من سوريا ولبنان ، وقد شاركت في تأمين وصول اليهود إلى فلسطين ، كما قامت بمواجهة القوات العربية في القدس وسبّاء والحليل الأعلى ، وهي أساس حزب المابام اليساري ، ومن نجوم البالمخ اسحق راين وإيجال ألون وكان يشرف على البالمخ بن جوريون ..

على لسان الإرهابي الإسرائيلي رحاميم هكمبوب الذي اشترك في تنفيذ العملية ، وقد نشر اعترافه في مجلة الجيش الإسرائيلي بتاريخ الرابع من يناير عام ١٩٧٨ ..

وقبل سرد الوقائع عن لسان هذا الإرهابي ، لابد من توضيح أمر هام ، وهو أن اليهود لا يخجلون من الاعتراف بعملياتهم الإرهابية ، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ العرب ، بل إن هذا محل فخرهم ، والأكثر شجاعة وفخراً هو الأكثر قتلاً للأبرياء العرب ، وقد شهدت الصحف الإسرائيلية - بعد عام ١٩٦٧ - تنافساً بين الإرهابيين لنشر مذكراتهم .. وفيها يعترفون بكل صراحة عن قتل العرب ليلاً .. والقاء العبوات الناسفة في أماكن تجمعهم ، لأن قتل العرب - حتى لو كانوا أطفالاً أو نساء - لا يخجلهم ، بل هو مصدر فخر واعتزاز ..

نعود إلى اعتراف الإرهابي الإسرائيلي هكمبوب ، يقول :

- عندما قررت قيادتنا نفس هذه العمارة ، والتي كانت مقر اللجنة القومية العربية في يافا ، كانت قيادتنا تهدف إلى قتل أكبر عدد ممكن من العرب ، وذلك للتأثير عليهم نفسياً ، وقد سبق عملية التنفيذ قيام رجال مخبراتنا بجمع المعلومات الضرورية عن العمارة والطرق المؤدية إليها ، أما أنا فقد كنت أسكن في « رشون لتصيون » فقممت بالتجول في يافا جولات استطلاعية ، وكنت أرثدي الزي العربي ، وأحمل هوية عربية مزيفة ، باسم محمود سالم البحري .. وبعد عمليات الاستطلاع ، جرت عملية التنفيذ ، حيث قادت سيارة ، تحمل ٥٠٠ كيلوغرام من المواد المتفجرة ، وللتصويه وضعنا فوق المتفجرات كمية من برتقال يافا ، وقد نجحت في عبور ثلاثة حواجز للتفتيش الأولي في أبو كبير وكان بريطانياً ، والثاني كان عربياً بالقرب من مدخل يافا .. أما الثالث فكان عربياً أيضاً ، ويقع بالقرب من مركز يافا ، ونجحت في الوصول إلى الهدف .. غير أن الشبهة دارت حولي وأخذوا يراقبونني ويلاحقونني ، لكنني تمكنت من الإفلات ، تحت وابل من الرصاص والصباح الذي كان يصل أذني .. هذا يهودي ، وعدت إلى تل أبيب مع السيارة ..

وبعد ذلك وبالتحديد في الرابع من ديسمبر ١٩٤٨ أمرت بتنفيذ العملية واشترك معي شاب اسمه الإشع عمره ٢٣ سنة .. وكان يوم أحد وكان الطقس ممطراً وبعد أن نجحنا في اجتياز الحواجز والوصول إلى يافا ، كان كل شيء مغلقاً باستثناء صالون للحلاقة يقع بجانب السرايا ، وكان أحد مداخلها مغلقاً ببوابة ضخمة من الحديد ، تعود إلى العهد التركي ، غير أن الشبهة دارت حولنا ، قبل أن تتمكن من إيقاف السيارة .. فتوجه إلينا

أحد العرب ، وفتح باب السيارة بدون استئذان ، وسألنا عن سبب وجودنا في هذا المكان .. وكان جوابي بأنني أبحث عن « أبو محمد » غير أنه قال أن الوقوف هنا محظور ، فاستأذنت بالوقوف دقيقة واحدة لأذهب إلى المقهى وأعود فوراً ..

وفي الوقت نفسه ، خرج نخونا من صالون الخلافة ، ما يزيد على ١٨ عربياً .. وكان الجو مكهرباً ، غير أن مظهرنا العربي ، ومعرفتي الجيدة بالعربية ، أزالا الشكوك من حولنا ، وفي صندوق خشبي تحت مقعد السائق كان هناك جهازان للتوقيت والتفجير الأول لمدة ساعة ونصف والثاني لمدة ثمانين ثانية - وكان من الواضح أننا لن نستطيع إيقاف السيارة لمدة طويلة ، لذلك علينا استعمال جهاز التوقيت الثاني .

وأعددنا أنفسنا للخروج من السيارة بهدوء ، وشعرنا بأن العرب يطمننون لنا ، وقبل الخروج من السيارة وإقفال نوافذها ، وقتنا جهاز التفجير وأخذنا نعد الثواني في قلوبنا ..

كان الجو رهيباً وأعصابنا متوترة ، وبعد أن ابتعدنا قليلاً عن السيارة ، انتهزنا فرصة هطول الأمطار ، فأخذنا نركض وكأننا نهرب من المطر ، وكنا نحمل بعض القنابل اليدوية التي أخذت تتساقط من جيوبنا .. ولحسن الحظ وبفضل الأمطار لم يشاهدنا أحد .. وعندما وصلنا إلى شارع شذروت أورشليم ، سمعنا الانفجار الهائل الذي هز الأرض والمباني القائمة عليها ، وتطاير زجاج النوافذ في الهواء وحطم واجهات المعارض التجارية .. ولم يبق شيء في مكانه ، أما أنا وزميلي اليشع فقد قطعنا الشارع بسرعة واتجهنا نحو أبو كبير وسمعنا أصوات العيارات النارية ، فقد اعتقد العرب أن منفذي العملية موفٍ ينسحبون بسيارتهم فاغلقوا الشوارع ..

وفي اليوم التالي قرأنا في الصحف أن أكثر من سبعين عربياً قد قتلوا في هذا الانفجار ، إضافة إلى عشرات الجرحى ..

هذه ليست كل جرائم اليهود في فلسطين ، بل هي جزء من جرائم كبيرة .. هم أنفسهم كشفوا عنها ، وهذه الجرائم في حاجة إلى مجلدات ، ولكن نكتفي بهذا القدر من هذه الجرائم ضد القرى العربية في فترة إعلان بن جوريون لقيام الدولة ..

نتائج هذه الجريمة

كان الهدف من الإرهاب اليهودي ضد القرى العربية ، هو إجبارهم على النزوح منها ، وقد نجحت هذه الخطة إلى حد كبير ، بينما فشلت نفس الخطة عام ١٩٦٧ ، حيث استوعب الفلسطينيون الدرس جيداً ، وواجهوا الإرهاب الإسرائيلي دون أن يتركوا الأرض ..

لقد اتخذ الإرهاب خطة مدروسة ، نفذت بعناية وشراسة بعد قرار الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، وكان القرار للدولة العربية ٤٦٪ من أرض فلسطين ، يسكنها ٧٢٥ ألف من العرب وعشرة آلاف من اليهود ، ويعطي للدولة اليهودية ٥٤٪ من أرض فلسطين ، يسكنها ٤٩٨ ألفاً من اليهود . و ٤٠٧ آلاف من العرب ، وجاء في قرار التقسيم ، قرار آخر بتدويل القدس وكان يسكنها ٢٠٠ ألف نسمة نصفهم من العرب ، والنصف الآخر من اليهود ..

ورفض بن جوريون قرار التقسيم ، وبدأ في مخطط السيطرة بالإرهاب على أكبر مساحة من فلسطين ، بحيث يعلن الدولة في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، ويكون قد فرض سيطرته على أكبر مساحة من فلسطين ..

* * *

ويتحدث الكاتب الإسرائيلي أورفي أفنيري عن أهداف الإرهاب في مرحلة ما قبل إعلان الدولة .. يقول :

- « كانت هناك ثلاث مراحل لتهجير الفلسطينيين من وطنهم ..

المرحلة الأولى : بدأت في ٣٠ نوفمبر من عام ١٩٤٧ وبعد مرور ساعات على موافقة الجمعية العامة لطية الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين ، واستمرت حتى نهاية مارس ١٩٤٨ ، وأثناء هذه الحقبة هرب عدد معين من العرب من بيوتهم في الأحياء المدنية والقرى ، التي كانت قرية جداً من مراكز التجمع اليهودية » ..

المرحلة الثانية : استمرت من نهاية مارس وحتى أواسط مايو ١٩٤٨ ، وفي هذه المرحلة بالذات توصل بعض القادة إلى استنتاج يؤكد أن التهجير الجماعي للعرب سيكون عملاً جيداً .. وهكذا ظهرت خطة « داليت » التي وضعت أمام الفصائل اليهودية الصهيونية هدفاً ليس للدفاع فقط عن حدود المنطقة التي تحددت ضمن قرار الأمم المتحدة الخاص

بالدولة اليهودية ، بل وفرض رقابتها على الأحياء اليهودية وسكانها من اليهود في المستوطنات اليهودية والتي تقع خارج تلك الحدود ..

المرحلة الثالثة : لنزوح العرب بدأت بعد إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو من عام ١٩٤٨ : « أعتقد أن تهجير المواطنين العرب أضحى في تلك الفترة هدف دافيد بن جوريون وحكومته .. بعد أن عجزت الأمم المتحدة عن تحقيق مشروع بتقسيم فلسطين وقيام دولة إسرائيل بقوة السلاح غدا من السهولة بمكان عدم الاكتراث بأي قرار تتخذه هذه المنظمة الدولية ، وعندها اختفت قضية العيش بسلام مع العرب .. وفي مثل هذا الوضع سهل على أمثال بن غوريون الاعتقاد بأن احتلال مناطق غير مأهولة كان ضرورياً من وجهة النظر الأمنية ، ومرغوباً فيه من وجهة نظر تجانس الدولة اليهودية الجديدة » ..

وسرعان ما قام الجيش الإسرائيلي الذي تم إنشاؤه على قاعدة « الهاجانا » والذي دخلت في عداوة عصابتها « أرغون تسفي ليومي » و « ليخي » بهجوم هدفه احتلال الأراضي التي كانت وفق قرار هيئة الأمم المتحدة تابعة للدولة العربية الفلسطينية .. فعلى سبيل المثال ، احتلت القوات الإسرائيلية في فترة ما يدعى بهجوم « الأيام العشرة » صيف عام ١٩٤٨ ما يقرب من ألف كيلومتر مربع كانت تقوم عليها ١٤ مدينة و ٣١٢ قرية عربية .. انتهى كلام أوري أفيري ..

* * *

ونقدم شهادة أخرى من الكاتب البريطاني أرسكين تشيلدز .. في كتابه الطريق إلى السويس .. وهو يصف عملية طرد الفلسطينيين مستنداً إلى وثائق إسرائيلية .. يقول تشيلدز :

« ترأس موسى ديان في ١١ يونيو فريقاً من الكوماندوز محمولاً بسيارات « الجيب » واقتحموا اللد شاهرين بنادقهم ورشاشاتهم من نوع « ستين » .. ومدافعهم الرشاشة .. ومر هذا الفريق بشوارع المدينة الرئيسية فاتحاً النار على كل هدف متحرك .. كانت أشلاء الرجال العرب وحتى الأطفال مبعثرة هنا وهناك على امتداد الشوارع بعد هذا الهجوم الذي تقطع مشاهدته نياط القلب .. وفي اليوم التالي احتلوا مدينة مجاورة هي رام الله ، وتم اعتقال جميع الشبان العرب وزج بهم في معتقلات خاصة .. كانت الشاحنات الإسرائيلية المزودة بمكبرات الصوت تجوب الشوارع في المدينة مهددة السكان

بقطع الغذاء والماء ومخدرة العرب بأنهم في مدة ٤٨ ساعة يجب أن يرحلوا إلى منطقة الهلال الخصيب .. ومن ثم بدأ الجنود الإسرائيليون بنهب المدينتين ..

* * *

يقول الكاتب السوفيتي سرجي سيدوف ، في كتابه الصهيونية ونهج الإرهاب لقد قام قادة المنظمات الإرهابية ، والذين أصبحوا قادة الدولة أمثال ديفيد بن جوريون ومناحم بيجين وموشى ديان وإيجال ألون واسحق رابين ، بإرهاب أدى إلى مصرع عشرات الألوف من الفلسطينيين وأصبح أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني في عداد اللاجئين .

لقد احتلت إسرائيل مساحة كبيرة من الأرض كانت مخصصة لإقامة الدولة العربية الفلسطينية بلغت مساحتها على وجه الدقة ٦٧ آلاف كيلومتر مربع .. وما عدا الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والقسم الشرقي لمدينة القدس ، أقيم على كل مساحة فلسطين نظام صهيوني .. لقد حرم الشعب العربي الفلسطيني ليس فقط من حقه في تقرير مصيره ، بل ومن شبر أرض يفتقره وسقف يلتحفه .. لقد حقق الإرهاب مآربه .. كتب هوفارد زاخار البعيد عن التضخيم والمبالغة في كتابه عن تاريخ إسرائيل « وفق كل الإحصاءات حصل اليهود على أرض استولوا عليها يحرثونها ويزرعونها وتزيد مساحتها بأربع مرات على أقل تقدير عما كانت بحوزتهم قبل إقامة دولتهم .. وما عدا الممتلكات الزراعية سلبت من العرب مدن بأكملها من ضمنها حيفا وعكا واللد ورام الله وبيسان والمجدل ، وكذلك ٣٨٨ بلدة وقرية ، ومناطق بأكملها ، و ٩٨ مدينة بين كبيرة وصغيرة كان يقوم فيها ربع جميع البيوت في إسرائيل ، وحوالي ١٠٠ ألف مسكن و ١٠ آلاف متجر ومؤسسة ..

* * *

الغريب في الأمر يامادة ، أن اليهود قد ادعوا أمام العالم ، بأن عرب فلسطين هم الذين تركوا الأرض ، تلبية لنداء الدول العربية ، وأن المسألة ليس فيها إرهاب لم يشهده العالم من قبل .. وصدق العالم الأكذوبة اليهودية ، بل لقد بدأت هذه الأكذوبة اليهودية ، تتسلل - حتى إلى بعض الكتاب العرب - ، ولكن الذين تركوا الديار قبل عام ١٩٤٨ ، تركوها هرباً من الإرهاب الذي لا يملكون رده ، أو رد جانب منه ، ونقدم هنا دليلاً إسرائيلياً على كذب الدعاية اليهودية .. فيقول المؤرخ الإسرائيلي هوفارد زاخار :

- كانت هناك عدة أسباب لنزوح الفلسطينيين من ديارهم ، لكنه لم يكن هناك ما يؤكد على أن الحكومات العربية هي التي دعتهم للهجرة من هناك لكي يفسحوا الطريق

لدخول الجيوش العربية ، هذا الموضوع الذي عادة ماكان يؤكد عليه الإسرائيليون بعد الحرب ، لكنه لم يكن هناك ما يؤكد على أن الحكومات العربية هي التي دعته للهجرة من هناك لكي يفسحوا الطريق لدخول الجيوش العربية ، هذا الموضوع الذي عادة ماكان يؤكد عليه الإسرائيليون بعد الحرب ، لكنه لم يكن هناك أي أمر يدعو للجلاء في جميع بيانات جامعة الدول العربية .. أو في أي من البيانات العسكرية لتلك الفترة ، بل كانت بلاغات وبيانات الصحافة والإذاعة العربية لتلك الحقبة من الزمن على العكس تماماً من ذلك ، كانت جامعة الدول العربية تدعو الفلسطينيين إلى البقاء حيثما وجدوا والتمسك بالأرض وعدم الخروج منها .

* * *

ثم نقدم شهادة أخرى ، عندما قال إيجال لون قائد الهاجاناة ، والذي قاد عملية احتلال الجليل ، قال :

- جمعت كل العمد اليهود الذين كانت لهم اتصالات بالعرب في مختلف القرى وطلبت منهم أن يهمسوا في آذان بعض العرب عن وصول تعزيزات يهودية كبيرة إلى الجليل بنيتها حرق كل القرى هناك ، وعليهم أن يقدموا النصيح الودي للعرب للنجاة مادام الوقت لا يزال يسمح بذلك ، وانتشر في المنطقة كلها نبأ وصول التعزيزات اليهودية وحلول الأوان للهرب والنجاة بالنفس .. وبلغ عدد الهاجرين آلاف مؤلفة .

* * *

ولم تنته العمليات الإرهابية ضد السكان العرب .. بل كان هناك في مخططهم الكثير والكثير من العمليات الإرهابية .. وكانت أكبر مجازرهم هي مذبحة دير ياسين .. أبشع مذبحة في التاريخ .. وعار إسرائيل الأبدي .

« كانت العلاقة بيننا وبين سكان قرية دير ياسين ممتازة ، وكان
بيننا اتفاق موقع من قبل ضابط الشرطة ناحوم بوشني باسم الوكالة
اليهودية ومختار الحفي اليهودي يري يريد مان ، وأنا .. حيث كنت
أشغل آنذاك منصب قائد المنطقة ، ووقع على الاتفاق باسم قرية
دير ياسين المختار ووجهاء القرية ، وقد نص هذا الاتفاق على عدم
مهاجرة أحدنا للآخر ، وقد حافظ سكان دير ياسين على هذا
الاتفاق » ..

* * *

عكيبا أزولاي
نائب رئيس بلدية القدس

دير ياسين

مضى على هذا اللقاء أكثر من عشرين عاماً .. وأستطيع - حتى هذه الساعة - أن أصف كل دقائق هذا اللقاء المثير .. لقد كنت في زيارة إلى الأردن عام ١٩٦٤ بدعوة من الملك حسين ، ملك الأردن ، وكان مرافقي في هذه الرحلة هو مدير المطبوعات صلاح أبو زيد^(١) في الأردن ، وكنا نتحدث عن همومنا العربية .. ثم عن القضية الفلسطينية ، ثم الإرهاب الإسرائيلي ، وعندما نذكر الإرهاب الإسرائيلي تطل على الفور قرية دير ياسين ، القرية من القدس ، وعار إسرائيل والإنسانية كلها .. قال مدير المطبوعات الأردني :

- هل تريد أن تلتقي بضحايا هذه المجزرة ؟

رحبت على الفور ، وذهبت إلى بيت قديم في القدس ، عليه لافتة تقول « مدرسة دير ياسين للأيتام » ، ودخلنا المدرسة ، لنجد عشرات التلاميذ والتلميذات الفلسطينيات ، ومديرة متحمسة تؤدي رسالة وطنية وإنسانية في نفس الوقت ، وعدداً من المدرسات ..

* * *

في البداية جلسنا مع المديرة ، التي شرحت أهداف هذه المدرسة ، أنها تجمع أبناء شهداء الإرهاب الإسرائيلي وتقوم بتعليمهم ، وأن هذه المدرسة قائمة على تبرعات المواطنين من الضفة الغربية بالإضافة إلى دعم من الحكومة الأردنية ، قالت ان القوات الإسرائيلية كثيراً ما تعتدي على قرى الحدود ، وتقتل الأسرة بكاملها إلا طفلاً صغيراً ، حتى يحكي هذا الطفل ما شاهده من إرهاب لتخويف بقية الناس ، ولكننا نأخذ الطفل ونلحقه بهذه المدرسة ، حتى يحصل على شهادة إتمام الدراسة الإعدادية .. ثم نرسله إلى المدارس الثانوية .. وبعد ذلك إلى الجامعة ..

قلت : سديني .. أريد أن التقي بضحايا دير ياسين ..

قالت : إنهم هنا ..

قلت : وكيف جاءوا ؟

قالت : لقد كانوا ثمانية عشر طفلاً صغيراً .. هم كل بقايا القرية .. شاهدوا الرعب كله .. ثم جمعوهم في سيارة للقمامة .. وألقوا بهم على مشارف القدس الشرقية ..

(١) أصبح فيما بعد وزيراً للإعلام ثم وزيراً للخارجية وسفيراً للأردن في بريطانيا ..

وجرى الأطفال إلى القدس الشرقية .. كان بيتي هو أقرب بيت لهم .. أو قل كان باب بيتي هو المفتوح في تلك الأيام السوداء .. فدخلوا البيت .. وهم في غاية من الرعب والخوف .. بكوا .. وبكوا .. وشابت شعورهم وهم يحكون .. وقضوا الليلة في بيتي .. ولم يكن هناك مفر من تحويل البيت إلى مدرسة .. بعد أن عاشوا معي عدة أسابيع .. وكبر الأطفال .. بعضهم في الرابعة والعشرين وأصغرهم في الثامنة عشرة ..

قلت : لقد مضى على مجزرة دير ياسين حوالي ستة عشر عاماً .. أي أن طفلة عمرها عامين كانت من بين شهداء المجزرة ..

قالت : وأقل من ذلك .. ولكن لا تدري أين ذهبوا .. أو ماذا فعل بهم اليهود ..

* * *

ضحايا دير ياسين يعملون مدرسين في تلك المدرسة نبيلة الأهداف ، لقد تعلموا فيها ، وظلوا بها يعلمون الأجيال القادمة من أبناء الشهداء ، طلبت المديرة منهم الحضور ، وجاءوا ، وجلسنا يوماً كاملاً ، قاسياً ومرعباً ، ونحن نعيد هؤلاء الشباب والفتيات بذاكرتهم إلى أسوأ أيام ممكن أن تمر في حياة إنسان ، إلى يوم المذبحة الكبرى في فلسطين ، إلى يوم دخول قوات مناحم بيجين هذه القرية البوديعة ..

* * *

قرية دير ياسين ، قرية صغيرة ، تعتبر ضاحية من ضواحي مدينة القدس ، فهي لا تبعد عنها أكثر من أربعة كيلو مترات ، يسكنها قوم طيبون ، يعملون بالزراعة في الأراضي والبساتين المحيطة بالقرية .. الحرب العربية الإسرائيلية الأولى تدور رحاها على أرض فلسطين ، وشباب القرية لم يتدرب على القتال ، ولكن بعضهم حمل السلاح دفاعاً عن القرية في حالة أي هجوم يهودي عليهم ..

* * *

أطفال القرية نيام ، وكذلك الشيوخ والنساء .. وفي فجر يوم ٩ أبريل عام ١٩٤٨ ، استيقظ كل سكان القرية على صوت إطلاق النيران ، فلقد جاءت العصابات الصهيونية إلى القرية وقام بعض الشباب الذين يملكون سلاحاً بإطلاق الرصاص على هؤلاء الغزاة ، واستمر تبادل إطلاق الرصاص طويلاً ، وهذه الأمور مازالت في البيوت .. ثم سكت قليلاً صوت الرصاص ، وبدأت مكبرات الصوت تطلب من كل السكان التجمع في الشارع

الرئيسي للقرية ، في هذا الوقت استطاع البعض أن يهرب إلى التلال القريبة .. وبقي في القرية عدد قليل معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ ..

تجمع السكان في الشارع الرئيسي بالقرية الصغيرة وكان الجنود - القتلة - الإسرائيليون ، يتسمون بهستيرية ، وهم يحملون مدافعهم الرشاشة ، وكان الطابور الذي وقف أمام هؤلاء الجنود طويلاً ، لا يقل عن ٣٠٠ من سكان القرية ، لكن معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ ، حيث لم يتمكن هؤلاء من الهروب ، واختار القتلة حوالي ٢٥ شاباً من الشباب الذين وقفوا في الطابور ، وأرغموهم على ركوب سيارة شحن ، بعد أن ضربوهم بكعوب البنادق والمدافع الرشاشة ، وخرجوا من القرية .. وهم يطلقون الرصاص في الهواء ، وبقي بقية السكان في الطابور في حراسة بقية القتلة .. وبعد قليل عاد القتلة والشباب الفلسطينيين ، وأنزلوهم بنفس القسوة من سيارة النقل هذه ، وأمرهم بالوقوف طابوراً ووجوههم للحائط ، ووقف الشباب ، ثم بدأت المجزرة .. الضحكات المستيرية مستمرة ، ثم تحدثوا بالعبرية ، ثم بدأ إطلاق الرصاص ، فسقط خمسة قتلى ، ثم توقفوا قليلاً ، وتحدثوا .. وضحكوا .. بينما بقية السكان في رعب قاتل .. فإن مشهد القتل يحدث أمامهم .. في الجهة المقابلة .. ثم قتلوا دفعة أخرى من هؤلاء الشباب .. وثالثة .. حتى سقط كل الشباب على الأرض .. بجوار الحائط قتلى ..

وعندما توقف القتل قليلاً .. أصيبت سيدة حامل في شهرها الثامن على الأقل بذعر شديد .. بل قل بهستيريا .. فخرجت عن طابور الخوف .. وحاولت أن تهرب .. فأمسك بها سفاك يهودي .. وبقر بطنها بالسنكي أمام الجميع .. وأخرج الطفل الذي لم يكتمل بعد من بطنها .. وسقطت المرأة .. ميتة ..

وسقط من سقط مغشياً عليه من هول ما رأى .. استراح .. فلقد أطلقوا عليه الرصاص دون عذاب .. استمرت حملة الإرهاب والدم أكثر من ثلاث ساعات بين بقر بطون النساء .. وبين تعذيب الشيوخ .. وإرهاب الأطفال .. حتى وصل عدد القتلى إلى ما لا يقل عن ٢٥٠ قتيلاً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ..

ماذا بقي من السكان ؟

لم يبق غير ثمانية عشر طفلاً وطفلة .. أمرهم بركوب سيارة لجمع القمامة .. وجاءوا بهم عند بوابة مندليوم التي تفصل القدس الشرقية عن القدس الغربية .. وألقوا بالأطفال ..

انتهت رواية فتيات وفتيان مدرسة دير ياسين للأيتام ، لقد عشت أياماً سوداء بعد سماعي
هذه الرواية ، من أفواه الضحايا ..

* * *

علم الصليب الأحمر الدولي بما حدث في قرية دير ياسين ، وطلب من اليهود دخولها ،
ورفض طلبهم ، لأنهم في هذه الأثناء كانوا يحاولون إخفاء جريمتهم عن عيون العالم .. ثم
سمحوا لبعثة من الصليب الأحمر الدولي بدخول القرية ، وبدأوا في البحث عن الجثث ،
والتي كانت تملأ الشارع الرئيسي للقرية ، وأخيراً عمروا على ١٥٠ جثة في بئر قريب من
مدخل القرية ، وعثروا على مائة جثة أخرى في مقبرة جماعية حفرها اليهود لضحايا الدم
والإرهاب والوحشية ..

* * *

مناحم بييجين لا يتفجل من هذه المذبحة ، إنه يذكرها بكل فخر في كتابه
« التحدي » .. ويقول لولا ما حدث في دير ياسين ، لكان الوضع العسكري لليهود
أسوأ ، وأن دير ياسين كانت بمثابة لواء إسرائيلي كامل أضيف إلى القوات الإسرائيلية في
وقت حرج ، لأن سكان القرى العربية قد هجروها دون إطلاق رصاصة واحدة خوفاً
من أن يحدث لهم ما حدث في دير ياسين ..

* * *

والآن .. نعود إلى شهادة الإسرائيليين أنفسهم عن أيشع مذبحه في التاريخ .. أو إلى عار
إسرائيل .. في الرابع من أبريل عام ١٩٧٢ نشرت الصحيفة الإسرائيلية اليومية يديعوت
أحرونوت نص تقرير كتبه محارب صهيوني يدعى مثير فيلبسكي .. وعرف فيما بعد
باسم مثير باعيل ، ووصفته الصحيفة بأنه شاهد العيان الوحيد من خارج صفوف
منظمتي ليحي وآتسل ، الذي شارك في ارتكاب المجزرة ، ودون ما شاهدته وسمعه ..
يقول مثير باعيل في تقريره :

- « خلال نيسان - آيار عام ١٩٤٨ ، دارت أكثر المعارك حسماً حول مدينة
القدس ، ومالت فيها دماء كثيرة من قوات الهاجاناة والبالاخ ، في معركة القسطل ، وفي
ذروة المعارك في منطقة القدس ، انسحبت منظمتا ليحي وآتسل من المعركة إلى قرية دير
ياسين .. وكان هناك في رأيي ، شيء غامض وراء هذا الانسحاب .. ولربما كانت هناك

رغبة في تصفية حسابات قديمة ، مع القرية العربية منذ أحداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، التي وقعت في حي غفعات شاؤول ..

وفي ليلة ٨ - ٩ نيسان ١٩٤٨ ، عندما كانت وحدات البالماخ تقاتل في معركة القسطل ، اقتربت وحدات من آتسل وليحي من قرية دير ياسين وخرجت قوات آتسل من حي بين هكيرم ، وهاجمت القرية من الجنوب الشرقي ، في حين هاجمتها قوات ليحي من الشمال الشرقي ، وعند الفجر وصلت القوات إلى ضاحية القرية ، وأرسلت وحدة ليحي في اتجاه القرية ، سيارة مصفحة تحمل مكبرات للصوت تدعو السكان إلى الاستسلام ..

واكتشف سكان قرية دير ياسين ، تغلغل مقاتلي ليحي وآتسل في قريتهم واقتحم المهاجمون القرية ، وهرب معظم السكان بأسلحتهم ، وبقي في القرية عدد قليل من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال ..

كان الوقت ظهراً ، عندما انتهت المعركة وتوقف لإطلاق النار ، وغادر محاربو آتسل وليحي الأماكن التي اختبأوا فيها ، وبدأوا ينفذون عملية تطهير لمنازل القرية ، وأطلقوا النار على كل من شاهده في الطرقات والمنازل ، وحدثت مجزرة مخجلة بين السكان الرجال والشيوخ والنساء والأطفال دون تمييز بتوقيف السكان بجانب الجدران والزوايا وإطلاق النار عليهم ولم يحاول القادة منع أعمال القتل المخجلة ..

ويقول :

لقد توسلت ، أنا وعدد من سكان القدس ، إلى قادة آتسل ، كي يصدروا تعليماتهم إلى جنودهم بوقف إطلاق النار على السكان ، لكن عبثاً حاولنا ، وفي هذه الأثناء أخرج من داخل المنازل نحو خمسة وعشرين رجلاً ، نقلوا في سيارة شحن ، واقتيدوا في جولة انتصار ، في حي محانية يهودا وزخرون يوسف ، وفي نهاية الجولة ، .. أحضروا إلى مقلع للحجارة يقع بين غفعات شاؤول ودير ياسين ، وأطأت عليهم الرصاص بدم بارد ، ثم أجبر محاربو آتسل وليحي النساء والأطفال ، الذين استطاعوا البقاء على قيد الحياة ، على الصعود إلى سيارة شحن ونقلوهم إلى بوابة مندليوم .. ورفض قادة لحي وآتسل الطلب الذي وجه إليهم ، بأن يدفن محاربوهم ٢٥٤ ضحية عربية كانت مبعثرة في شوارع وأزقة وداخل منازل القرية » ..

وفي أعقاب ردود الفعل المثيرة التي أحدثتها المجزرة^(١)، طلبت الهيئات الدولية من الصليب الأحمر ، أن يطلع على الحقيقة ، فطلب المسيو جاك ديجينيز ممثل الصليب الأحمر في القدس ، من الوكالة اليهودية أن تسمح له بزيارة مكان المجزرة .. فحيل بينه وبين ذلك ، ولم يسمح له بزيارة القرية ، إلا بعد يوم كامل حاول خلاله المجرمون أن يخفوا آثار جريمتهم ، فجمعوا ما استطاعوا جمعه من أشلاء الضحايا .. وألقوها في بئر وأقفلوا باب البئر ، وحاولوا تغيير معالم المكان .. حتى لا يعثر عليه مندوب الصليب الأحمر ، ولكنه استطاع معرفة مكان البئر ووجد فيه مائة وخمسين جثة مشوهة ، لنساء وأطفال وشيوخ ، فضلاً عن الجثث التي وجدت في البئر ، دفنت عشرات الجثث في قبور جماعية ، في حين بقيت عشرات أخرى مبعثرة في زوايا الطرقات وخرائب البيوت ..

وبعد ٣٥ عاماً على تنفيذ مجزرة دير ياسين نشرت جريدة عل هشممار الصادرة في ١٩٨٣/٤/٨ مقالاً بقلم شوقي بن عامي يكشف فيه معلومات جديدة وهامة حول المجزرة ، واكتسبت هذه المعلومات أهميتها من كونها شهادات لأشخاص شاركوا في العملية ، واطلعوا على أدق تفاصيلها ، ومما أوردته جريدة عل هشممار :

في صبيحة يوم الجمعة ١٩٤٨/٤/٩ ، احتلت منظمتنا آتسل وليحي قرية دير ياسين العربية الواقعة في المشارف الغربية لمدينة القدس ، حيث قتل أثناء احتلالها ٢٠٠ مواطن من سكانها ، ووفقاً لبيان مشترك ، صدر عن قيادة منظمتي آتسل وليحي فقد قامت المنظمتان بالسيطرة على القرية لمدة ٤٨ ساعة ، على أن تقوما بتسليمهما لمنظمة الهاجاناة بعد ذلك ..

وجاء في البيان الذي أصدرته منظمة آتسل يوم ١٩٤٨/٤/٩ ، « أن جنود المنظمة العسكرية القومية ، ومقاتلي إسرائيل » احتلوا قرية دير ياسين .. التي تقع إلى الغرب من مدينة القدس ، بعد هجوم خاطف ، ابتداء من الساعة الرابعة والنصف صباحاً ، وقد تم تفجير التحصينات الموجودة في القرية ، ودفن تحتها عشرات المقاتلين العرب » ..

وفي الساعة السابعة من مساء يوم ١٩٤٨/٤/٩ ، وصل بيان آخر عن سير المعركة في دير ياسين ، جاء فيه : « أن قرية دير ياسين قد احتلت بأكملها .. وهي الآن تحت أيدينا ، وقد تم حتى الآن إحصاء ٢٤٠ قتيلاً عربياً ، بعد أن دارت المعارك من بيت إلى

(١) من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين إعداد غازي السعدي - دار الجليل للنشر عمان .

آخر ، كما وقع في أيدينا أسرى عرب ، وذكر البيان أن منظمتي آتسل وليحي ستسلمان قرية دير ياسين إلى منظمة الهاجاناة بعد ٤٨ ساعة .

وعن العلاقات بين مواطني دير ياسين وجيرانهم اليهود ، يتحدث عكيا أزولاي ، قائد منطقة غفعات شاؤول آنذاك ، ونائب رئيس بلدية القدس فيما بعد وهو الآن محال على التقاعد فيقول : « كانت العلاقات بيننا وبين سكان قرية دير ياسين ممتازة ، وكان بيننا اتفاق موقع من قبل ضابط الشرطة ناحوم بوشمي ، باشم الوكالة اليهودية ، ومختار الحي اليهودي بري بريدمان وأنا حيث كنت أشغل آنذاك منصب نائب قائد المنطقة ، ووقع على الاتفاق باسم قرية دير ياسين المختار ووجهاء القرية ، وقد نص هذا الاتفاق على الالتزام بعدم مهاجمة أحدنا للآخر ..

ويضيف عكيا أزولاي ، بأن سكان دير ياسين قد حافظوا على الاتفاق .. وفي اعتقادي لم تكن في قرية دير ياسين آنذاك عصابات ، ولا حتى قوات عراقية .. وكان الاتصال يتم بين سكان غفعات شاؤول ودير ياسين ، بواسطة موشيه عباديا أزولاي .. وكان أزولاي يزور دير ياسين يومياً ، ومن خلاله عرفنا بالضبط كميات السلاح الموجودة بمحوزة سكان دير ياسين ، فقد كان هناك رشاش برن واحد .. وثلاثة رشاشات ستن ، وسبع بنادق انكليزية ، وكميات قليلة من الطلقات والقنابل ..

ويتابع عكيا أزولاي ، بأن سكان دير ياسين ، لم يكونوا خطراً من سكان أي قرية عربية اليوم ، ولو أراد سكان غفعات شاؤول طردهم لكان بالإمكان طردهم .. كما حصل مع سكان لفنا وغيرها من القرى العربية ، وكانت هناك مربية بيت يهودية من سكان غفعات شاؤول ، اعتادت شراء البيض والخضراوات من عرب دير ياسين ، وكانت تقول بأنها لم تكن تخافهم لأنهم لم يكونوا خطرين ، كما وصفهم بذلك رجال ليحي وآتسل ..

وتحدث أزولاي عن ليلة الهجوم على دير ياسين ، فقال : أن رجال منظمة ليحي احتشدوا في مصنع للبيرة ، كما احتشد رجال منظمة آتسل في بيت كارم . ودخلت قوات ليحي وآتسل القرية في الساعة الرابعة صباحاً ، واستناداً إلى بيان منظمة آتسل ، فقد تم تحذير المواطنين العرب في دير ياسين بمكبرات الصوت ، لكن المواطن د. أ. من سكان غفعات شاؤول ، فند هذا الزعم بسخرية وقال : صحيح أن جنود الآتسل استخدموا مكبرات الصوت لتحذير السكان العرب في دير ياسين لكن هذا لم يتم إلا بعد أن تمت

المذبحة ، ونحن مكان غفعات شاول لم نسمع مكبرات الصوت إلا في ساعات نهار يوم الجمعة ، بعد أن تم احتلال القرية وحدث ما حدث ..

وفي مساء يوم الجمعة ، غادر قسم من قوات آتسل وليحي دير ياسين وبتاريخ ١٩٤٨/٤/١٢ وصلت إلى القرية قوة من الهاجاناة ، يبلغ قوامها مائة جندي .. وقال نيسان هريز ، الذي كان ضمن قوة الهاجاناة التي وصلت إلى القرية ، عندما دخلنا قرية دير ياسين ، كانت رائحة الجثث المحروقة تملأ أجواء القرية ، ولم نعر في القرية على أحياء ، حيث كانت مهجورة تماماً ، وآلاف الحفائب مبعثرة هنا وهناك وعند المساء صدر الأمر لقسم من القوة بجمع ودفن الضحايا ، وخلال عملية جمع الضحايا تكشف لنا حجم عمليات القتل التي جرت في القرية ، فقد عثر على عشرات الجثث لرجال ونساء وشيوخ وأطفال داخل البيوت .. وقد قتل كثير منهم في أسرهم ، .. وكانت تبدو آثار إطلاق النيران على الجدران ، وفي عدد كبير من البيوت وجدنا عائلات كاملة مقتولة ، وجثث الأطفال ملقاة على الأرض هنا وهناك ..

ويضيف هريز قائلاً : وعند الفجر أبلغونا بأن الصليب الأحمر سيصل إلى القرية في وقت قصير ، وعلينا أن نخفي آثار المجزرة ، فقمنا بجمع العشرات من الجثث ، ووضعناها في بناية ، ثم قام خبراء المتفجرات بتفجيرها على من فيها من جثث ..

كذلك فإن عمليات السلب والنهب كانت بارزة في كل مكان ، وعلى كل شيء كما يقول ي. أ. ، وهو مدرس في القدس طلب عدم الكشف عن اسمه . ويضيف قائلاً : وجدنا كل الخزائن في بيوت القرية مقلوبة وخالية من محتوياتها ، كما أن البطانيات والفرشات كانت ممزقة ، مما يدل على أنه جرى تفتيش جذري ودقيق وأخذت أغراض ثمينة .

وفي مساء يوم الجمعة ، تم نقل الأسرى في شاحنات مفتوحة اجتازت شوارع القدس ، ويقول عضو الكنيست يعقوب جيل : « كنا نسكن في نخلثوت في القدس ، .. عندما وقعت مذبحة دير ياسين ، وبعد أن تم احتلال القرية ، نقل الأسرى في شاحنات مرت عبر حي نخلثوت ، باتجاه معسكر يهودا ، وقام جمهور من اليهود بالبصق على الأسرى وقذفهم بالحجارة ، ووجهت إلى الأسرى أقذع الشتائم ..

ومما تجدر ملاحظته ، أن الإرهامي مناحم ييجين يقيم منذ استقالته من رئاسة الوزارة وبناء على اختياره في منزله الذي يشرف على المستوطنة التي أقيمت على أنقاض قرية دير ياسين - ربما ليتذكر - ما قام به من قتل وإجرام وسفك دماء ، بحق أبناء القرية .. إذ أن

بيغن كان وقت تنفيذ المجزرة ، قائداً للعصابة المسماة .. « المنظمة العسكرية القومية - آتسل - » وربما تعود حالة الاكتئاب النفسي التي يعاني منها بيغن حالياً ، إلى هذه الذكريات^(١).

إغتيال الوسيط الدولي

بعد ازدياد أعمال العنف ، أرسلت الأمم المتحدة إلى فلسطين دبلوماسياً سويدياً هادئاً عادلاً ، هو الكونت فولك برنادوت ، وجاء الرجل إلى المنطقة ، وبدأ دراسة المشكلة على الطبيعة ، واستمع إلى كافة الأطراف ، وكان الرجل قد جاء متأثراً بالدعاية الصهيونية في أوروبا وأمريكا ، إلا أن تعامله مع الواقع في الشرق الأوسط قد وضع له الكثير من الحقائق ، ثم أصدر عدة توصيات لتخفيف حدة التوتر والنزاع في المنطقة ، ومن هذه التوصيات :

- تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
- توحيد الجزء العربي في فلسطين مع الأردن .
- تدويل القدس .

وقامت الدنيا ولم تقعد بين الزعماء اليهود ، واعتبروا أن هذه التوصيات هي القضاء على قيام إسرائيل ، وأوصت الوكالة اليهودية بضرورة اغتيال الوسيط الدولي .. وعهد بأمر اغتياله إلى إحدى المنظمات الإرهابية اليهودية ..

وفي ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨ ، تمكن الإرهابيون اليهود من اغتيال الكونت برنادوت في القدس .. وظل اسم القتلة لغزاً ، ونشرت روايات كثيرة حول القتل حتى كانت يوم ٢١ سبتمبر عام ١٩٨٦ ، عندما نقلت وكالة الأنباء الألمانية تقريراً لها من القدس ، كشف أسماء القتلة ، قالت الوكالة :

- « بعد ٢٨ عاماً تم حل لغز قضية اغتيال الكونت فولك برنادوت ، وسيط الأمم المتحدة السويدي في الشرق الأوسط وتحديد من قام باغتياله » .

وأكد المؤلف الإسرائيلي ميشيل بارسوهار كاتب سيرة ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي أكد في تل أبيب اليوم (١٩٨٦/٩/٢١) أن هيو شوا كوهين الذي كان

(١) المصدر السابق .

ينتمي إلى منظمة ليحي اليهودية السرية قد اعترف خلال حديث خاص منذ عدة سنوات بأن الرصاصات التي أطلقها قد قتلت ممثل الأمم المتحدة في سبتمبر عام ١٩٤٨ ..

وقال بارسوهار لمراسل وكالة الأنباء الألمانية الغربية أن كوهين الذي توفي في كيبوتز « سديه بوكر » منذ ستة أسابيع قد ألح عليه بعدم نشر هذه المعلومات إلا بعد وفاته .. وكان المؤلف قد اكتشف إشارة إلى احتمال تورط كوهين في حادث الاغتيال الغامض منذ عدة سنوات في يوميات بن جوربون ..

وتحدث المؤلف إلى كوهين بشأن هذه الإشارة التي يبدو أن بن جوربون نفسه قد نسبها بعد أن دوتها ..

وتذكر بارسوهار قول كوهين له أن برنادوت كان يعارض بشدة وجودنا .. وقضيتنا .. وأراد أن يفصل الأجزاء الأكثر أهمية بالنسبة لدولة إسرائيل الجديدة وباختصار فإنه كان يريد بعد عملية الإبادة الجماعية لليهود في أوروبا أن ينزل بنا كارثة جديدة .. وقد عارض بن جوربون نفسه جميع المنظمات السرية اليهودية وأمر بحلها بعد أن أصبح وزيراً للدفاع ورئيساً للحكومة في عام ١٩٤٨ ..

وعندما التقى بن جوربون بكوهين في « سديه بوكر » حيث أقام أبو الدولة منذ عام ١٩٥٩ والذي تقاعد عن عمله كرئيس للوزراء في عام ١٩٦٣ واعتزل الحياة السياسية النشطة في عام ١٩٧٠ فلم يكن يعرف بتورط كوهين في منظمة ليحي ، وأصبح كوهين في وقت لاحق الحارس الشخصي لبن جوربون في الكيبوتز .. وتردد أن كوهين قد كشف عن دوره في حادث اغتيال برنادوت خلال نزهة سراً على الأقدام مع رجل الدولة العجوز .

وتضيف الوكالة الألمانية الغربية :

- « ومن بين الشخصيات البارزة الأخرى في منظمة ليحي اسحق شامير وكان شامير قد اتهم في الماضي بتورطه في قضية برنادوت ، وقد أشارت السيرة الذاتية لبن جوربون التي نشرت في وقت سابق إلى أن كوهين قد « تنصل » من معتقداته السابقة وأيد إيجاد تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي » ..

* * *

قبل تقرير الوكالة الألمانية في سبتمبر عام ١٩٨٦ ، ظلت هوية قاتل برنادوت شبه مجهولة ، لكن لم ينكر أحد أن الإرهابيين الذين قتلوا الوسيط الدولي هم من يهود العصابات ، فقد ذكر جوشوا زلنجر أحد الزعماء السابقين في منظمة شتيرن الصهيونية الإرهابية أن ٤ من أعضاء هذه المنظمة هم الذين اغتالوا الكونت برنادوت في فلسطين عام ١٩٤٨ .. وقال جوشوا زلنجر في حديث له مع صحيفة ידיעות أحرونوت الإسرائيلية أن الأربعة قاموا ببناء على تعليمات من صحفي أجنبي بارتداء ملابس جنود الجيش البريطاني وأقاموا إحدى نقاط التفتيش على الطريق الذي كان من المفروض أن تمر فيه سيارة برنادوت .. وعندما وصلت السيارة وقفت أمام نقطة التفتيش أطلق أحدهم الرصاص على برنادوت حيث مات بعد ذلك بوضع دقائق وتمكن الأربعة من الفرار ..

وكشف باروخ ناديل الرئيس السابق لمجموعة شتيرن الإرهابية الإسرائيلية تفاصيل حادث اغتيال برنادوت .. اعترف بأنه اشترك في التدبير للحادث وأن المجموعة استغلت أحد الضباط الفرنسيين في قوات الأمم المتحدة وهو الكولونيل سيروت والذي كان مرافقاً لبرنادوت في الحادث ..

وأضاف أن فريد مان بيلين واليعازر نيسكي والدكتور شاؤول قادة اللجنة المركزية لمجموعة شتيرن أصدروا أمراً في أغسطس ١٩٤٨ باغتيال برنادوت لأنه كان يضطهد إسرائيل باستمرار .. وقال ناديل : أننا اكتشفنا أن الكولونيل سيروت كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية الفرنسية في وقت واحد فبدأنا في ابتزازه .. وأنه هو الذي أعطانا موعد وصول برنادوت إلى إسرائيل يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ وخطط سيره مما أتاح الفرصة لنجاح عملية اغتياله .

وأضاف أن برنادوت كان قد أمر بتغيير موكب سيره في آخر لحظة وأمر بأن يسير الموكب في طريق كاتامون .. وسارع الضابط بإبلاغنا بالتعديل .. وتم نصب الكمين وما أن وصل الموكب إلى منطقة بيرمان هاوس .. حتى سد الطريق أمام سيارته واقترب أحد رجال الجماعة وأطلق مدفعه الرشاش على سيارته ..

وأصاب الطلقات الأولى الكولونيل سيروت بطريق الخطأ .. وأصيب برنادوت نفسه بثلاث رصاصات ..

وقال ناديل أن اليعازر نيسكي وشاؤول يعيشان في إسرائيل وغيرا اسميهما إلى اليعازر شامير ود. هالداء . ويعمل ناديل عضواً في هيئة تحرير صحيفة ידיעות أحرونوت المسائية في إسرائيل ..

وقال ناديل أن شتيرن تؤمن بأن برنادوت كان معادياً لليهود ومؤيداً للعرب .. وأنه إذا لم يوقف عند حده سيدمر إسرائيل بمشروع القدس الذي قدمه ضمن تقريره عن تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين وقالت أن كوفمان التي ترجمت كتاب ناديل أن المتطرفين الإسرائيليين كانوا يرون اغتيال برنادوت الذي أوصى بتقسيم إسرائيل إلى شطرين والحد من حدودها - نوع من حرب البقاء بالنسبة لإسرائيل ..

وقد نشر الصحفي الإسرائيلي ميشيل بارزوهار كتاباً عن حياة دافيد بن جوريون كشف فيه أن بن جوريون ذكر له بأنه يعرف قاتل برنادوت وأن القاتل اعترف لبن جوريون باغتيال الوسيط الدولي .. وأن القاتل كان صديقاً لبن جوريون ..



وأخيراً .. وبعد مرور ٢٨ سنة أعلن عن القاتل ، والذي كان الصديق والحارس لبن جوريون ، زعيم حزب العمل والذي استنكر اغتيال الوسيط الدولي ..

ولد برنادوت في ستوكهولم سنة ١٨٩٥ ، وانضم لفرقة الكشاف السويدي وهو صبي صغير .. وعندما أتم دراسته العالية قرر أن يدخل المدرسة العسكرية ، ثم استقال من وظيفته العسكرية عام ١٩٢٥ وسافر إلى أمريكا ليدرس أعمال البنوك والشركات وقد انضم إلى جمعية الصليب الأحمر السويدية ..

عينته حكومة السويد مديراً عاماً لإدارة الاتصال بالبعثات عام ١٩٣٩ ثم أصبح رئيساً لها عام ١٩٤٦ ، واستطاع من خلال عمله في الصليب الأحمر ، حتى قبل أن يصبح رئيساً لتنظيم عملية تبادل الأسرى والجرحى بين ألمانيا النازية والحلفاء .. كما تفاوض مع هيملر ، وأمكن إنقاذ ٤٠٠ يهودي دائمكي من أيدي النازيين ، كما تمكن من إطلاق سراح عدة آلاف من النساء اليهوديات من معسكرات الاعتقال النازية ..

وكان رجال العصابات الإرهابية يعرفون ذلك جيداً ولكن رغم ذلك اغتالوه ..

الفصل الثالث
إرهاب الدولة

« خلال الثلاثينات كما نكبت المشاعر الثائرة ، وكما نرى الجمهور على أن يرى في الثأر دافعاً ذا ملية مطلقة ، والآن يجري العكس ، أنا نبرر نظام العمليات الثائرة من منطلقات براجماتية ، ولقد حطمتنا الحواجز والضوابط المعنوية والعقلية التي كانت تضغط على هذه الغريزة ، فأصبح من الممكن اعتبار الثأر قيمة معنوية ، وهذا المفهوم يبناه قسم كبير من الرأي العام ، وبخاصة أوساط الشباب ، غير أنه تبلور إلى أن بلغ مقام المبدأ المقدس في كتية شارون التي أصبحت أداة الدولة للثأر » ..

* * *
موسى شاريت
من مذكراته

إرهاب الدولة

بعد قيام دولة « إسرائيل » ، وبعد أن انتهت من حروبها مع العرب ، وبعد أن عقدت مع الدولة العربية اتفاقيات هدنة ، لم تتمكن من تغيير جلدها من عصابات إرهابية ، إلى دولة يفقدها متحضرين ، بل أنشأت عدة مؤسسات عسكرية ، مهمتها ممارسة إرهاب الدولة ، قال بن جوريون إن حدود إسرائيل سوف يحددها الجندي الإسرائيلي ..

وكان أول ما فعله بن جوريون - زعيم الإرهابيين - إقامة مهمته إرهاب الدول العربية ، « جيران » الدولة الجديدة ، وكان هذا اللواء :

• اللواء ١٠١ :

يبدو أن بن جوريون ، مؤسس الدولة الإسرائيلية ، كان يعلم أنه يقود عصابات ، أقام بها دولة ، وكان لابد أن ينظم عمل هذه العصابات ، أو على الأقل « ضم قيادات هذه العصابات في مؤسسة إرهابية واحدة تسيطر عليها الدولة وتعمل ضمن تخطيطها » ، تلك هي الفكرة المتصورة لإقامة اللواء ١٠١ الإسرائيلي .. والذي قام بعشرات العمليات الإرهابية ضد القرى العربية بعد قيام إسرائيل .. ولقد قاد هذا اللواء الإرهابي الصهيوني أرييل شارون ، وضم من القيادات الإرهابية شلوميوم ، ومائير هارتسون وبنيامين جفلي .. وكان هذا اللواء الذي يقوده الإرهابي أرييل شارون ، يأخذ أوامره من بن جوريون شخصياً ، ولهذا .. فلقد قام بمجازر لا تعد ولا تحصى ضد القرى العربية ، ورغم ما أعلن أنه تم حل هذا اللواء بعد مجزرة قرية قبية ، إلا أن الحقيقة يبدو أنها غير ذلك ، لأنه بعد هذه المجزرة ، قامت القوات الإسرائيلية بعمليات مماثلة ضد قرى الحدود العربية بلغت عدة آلاف ..

والسؤال .. لماذا تشكيل لواء إرهابي ؟

ثم .. لماذا الاعتداء الدائم على قرى الحدود ؟

لقد تم تشكيل هذا اللواء من العناصر المتعطشة دائماً للدماء ، والتي لا تروى دماء كل الأمة العربية ، حتى تكون أفعالها خالية تماماً من الإنسانية والشفقة ، ثم إن الاعتداء الإسرائيلي الدائم على قرى الحدود العربية ، يضعفها .. حتى إذا أرادت إسرائيل تنفيذ خططها التوسعية ، لا تجد مقاومة تذكر ، فلقد كان هدف هذه الوحدة هو الحيلولة دون تشكيل قوات مقاومة داخل القرى الحدودية .. بالإضافة إلى أن ضعف الحدود دائماً ، يضعف بالتالي محاولة اتخاذ هذه القرى نقطة انطلاق داخل الأرض المحتلة ..

وهذه أشهر العمليات التي قام بها أريل شارون أثناء قيادته للواء ١٠١ .

اختار بن جوريون قرية قبية ، لتكون أول تجربة لتلك القوة التي شكلها من الإرهابيين تحت اسم اللواء ١٠١ ، واختار ليلة ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٣ موعداً لتنفيذ تلك المجزرة ، وذهبت القوة بقيادة الإرهابي أريل شارون ، واقتحمت القرية بعد منتصف الليل ، وقامت بنسف ٤١ بيتاً ومدرسة ، وأخذت ٤٢ رجلاً وامرأة وطفلاً وقتلتهم أمام سكان القرية بصورة لا إنسانية ، أشنع مما تتصورون .. وعادت بعد أن وصل عدد الضحايا ٦٩ قتيلاً فلسطينياً ..

* * *

أحدثت المجزرة الجديدة دويماً هائلاً وقد كتب موسى شاريت في مذكراته في تلك الليلة^(١):

- قلت للافون ان هذا الهجوم سيكون خطأ فادحاً وذكرته .. مستنداً إلى سوابق عديدة ، بأنه لم يثبت أبداً أن العمليات العقابية تخدم هدفها المعلن .. اتسم لافون .. ولم يعدل رأيه .. وقال ان بن جوريون لا يشاطرنى الرأي ..

وكتب بعد يومين : « يجب أن أؤكد أنه عندما عارضت العملية لم يكن لدي أية فكرة أنني كنت أعارض حمام دم كهذا .. ظننت أنني أعارض عملية من بين تلك التي أصبحت في الماضي روتينية .. والآن يريد الجيش أن يعلم كيف سنبرر المسألة .. في اجتماع مشترك ضم المسؤولين في وزارة الخارجية والجيش ، اقترح شمويل بندور أن تقول ان الجيش لم يشارك أبداً في العملية بل ان سكان القرى الحدودية أغضبهم الأحداث السابقة ، فأرادوا أن يثأروا لها وتصرفوا من وحيم الخاص ، مثل هذه الرواية ستجعلنا محطاً للسخرية ، أي طفل يستطيع أن يلاحظ أن هذه عملية عسكرية » ..

(١) إعلان هاليفي : إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر اللؤلؤة ..

في اليوم التالي اضطر شاريت لمواجهة المزاج السيء للممثلين الدبلوماسيين الأمريكيين ، وألقى بخطاب لم يكن يؤمن به ، وكتب في ذلك اليوم أن الملحق العسكري الإسرائيلي كاتريل شالمون تقدم بفكرة عملية للتمويه ، ستظل مسألة قبية مركزاً للانتباه طالما بقينا غير قادرين على اختلاق منعطف مأساوي آخر .. وكتب بتاريخ ١٨ تشرين الأول / أكتوبر ، مدوناً ماقيل في اجتماع مجلس الوزراء : استنكرت عملية قبية التي أظهرتنا أمام العالم كله كزمرة من مصاصي الدماء ، مستعدة للقيام بمجازر واسعة النطاق دون أن تهتم ، على ما يبدو ، بأن تعرف إن كانت أفعالها ستؤدي إلى الحرب (...) تقرر نشر بيان عن قبية وكلف بن غوريون بكتابته .. أصريت على إضافة جملة آسفة ، وأصر بن غوريون على استبعاد أية مسؤولية للجيش ، غضب المدنيون القاطنون في المناطق الحدودية لتكرار الجرائم ضدهم ، فقرروا تطبيق القانون بأنفسهم ..

على كل حال فإن المستعمرات الحدودية مدججة بالأسلحة .. والمستوطنون كانوا جنوداً في الماضي .. قلت ان أحداً لن يصدق مثل هذه الرواية وأنا بهذه الطريقة نقيم الدليل على أنفسنا بأننا كاذبون .. إلا أنه يواصل « لكنني لم أتمكن من المطالبة الجدية بأن يؤكد البيان بوضوح مسؤولية الجيش ، لأن ذلك كان سيجعل من المستحيل استنكار العملية ، وكنا سنجد أنفسنا موافقين على حمام الدم المريب هذا » ..

وشددت ليفيا روكاش على معنى هذا الاستفزاز الذي لم تكن المجزرة إلا وسيلة لتحقيقه ، كتبت : « لا يمكن لأي شيء أن يعرض أمن السكان الإسرائيليين في المناطق الحدودية للخطر مثلما عرضه إلقاء المسؤولية عليهم بالتسبب بحمام الدم الذي وقع في قبية » ..

• الإرهاب للقضاء على السلام :

في إسرائيل ، كان يحلم بن غوريون باحتلال سيناء ، وقبل قيام الجيش المصري بعملية تسليم كبيرة بعد قيام ثورة يوليو ، وفي يناير عام ١٩٥٤ ، اقترح ديان القيام باختراق الحصار المصري حول مضائق تيران ، وذلك عن طريق تمرير باخرة تحمل العلم الإسرائيلي في الخليج ، فإن قصفها المصريون ، يقوم الطيران بقصف القاعدة المصرية وتقوم القوات البرية بالاستيلاء على رأس النقب ..

وفي الوقت الذي كانت إسرائيل تفكر فيه في الحرب ، كانت القيادة المصرية تفكر في إقامة صلح مع إسرائيل وتبدأ بمفاوضات سرية ومباشرة بين الحكومة المصرية والحكومة

الإسرائيلية ، ولكن إسرائيل أسرع بإجهاض هذه المحاولة ، لأنها لم تكن ترغب في السلام ..

يقول إيلان هاليفي في كتابه : « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة : أن المفاوضات التفاوضية التي أبدأها ناصر أمام محدثيه الأمركان في شهر يناير ١٩٥٥ ، والاقتراحات الجديدة للقيام باتصالات مباشرة وسرية بين المصريين والإسرائيليين دفعت أنصار الحرب إلى الإسراع بتحركاتهم وإلى تشديد الضغط على شاريت الذي بدأت تحفظاته تزعجهم وكذلك جموده ..

وبتاريخ ١٧ شباط / فبراير ١٩٥٥ ، طلب شاريت من بن جوريون أن يعود إلى الحكومة .. كوزير للدفاع .. بعد عشرة أيام اقترح بن جوريون ، وأجاز شاريت القيام بعملية ضد قاعدة عسكرية مصرية في قطاع غزة .. وكتب شاريت : « شدد بن جوريون على أن المطلوب ليس قتل بل تدمير المنشآت . فإن هرب المصريون خلال الغارة ، قد لا نحصل إراقة للدماء » ، بعد أربعة أيام من وقوع الهجوم كتب شاريت : « أنا مصلوم . فإن عدد الضحايا (٣٩ قتيلاً و ٣٠ جريحاً بينهم طفل سنة ٧ سنين) لم يغير أبعاد العملية فحسب بل أيضاً مضمونها (...) لقد قدم الناطق العسكري معلومات خاطئة للصحافة وذلك وفقاً للأوامر التي تلقاها من وزارة الدفاع : لقد زعم أن إحدى وحدتنا هوجمت داخل أراضيها وأنها ردت على الهجوم مما أدى إلى معركة تطورت بعد ذلك إلى ما تطورت إليه ، من يصدقنا ؟ » .

ويكتب شاريت بتاريخ ١٢ مارس ١٩٥٥ أن الممثل المصري في اللجنة المشتركة للهدنة ، صلاح جوهر قد أبلغ الممثل الإسرائيلي جوزيف تكواع بما قاله له ناصر عن أنه أجرى في وقت سابق اتصالاً شخصياً مع رئيس الوزراء الإسرائيلي وأنه رأى فرصة للتوصل إلى اتفاق ، إلا أنه الآن ، بعد الغارة التي حصلت على غزة لم يعد أي شيء ممكن .. وكذلك بدأت الحركة التي كان من شأنها أن تؤدي إلى العدوان على مصر في عام ١٩٥٦ ..

فبتاريخ ٢٦ آيار / مايو ١٩٥٥ ، نقل شاريت في يومياته أقوال موشيه دايان البربرية عن رفض الاقتراحات الأمريكية وهي الأقوال التي أدلى بها أمام السفراء الإسرائيليين في واشنطن ولندن وباريس : « إن المعاهدة الدفاعية لا يمكن إلا أن تكبلنا ونحرماننا من حرية التحرك .. والعمليات العقابية التي ستقضي المعاهدة .. الدفاعية بأن تتخلى عنها هي رثتنا الحوية » .. ويمضي شاريت ساخراً : « خلاصة خطاب دايان واضحة : هذه الدولة لا

تعرض لخطر دولي وليس لديها مشاكل اقتصادية .. قضية السلام غير موجودة (...)
يجب على الدولة اعتبار السلاح الأداة الأساسية بل والوحيدة للحفاظ على الاستنفار
المعنوي ، نستطيع - بل لا يجب عليها - أن تحتلق الأخطار ، ولذلك تبني منهج
الاستفزاز - الثأر .. وبالأخص ، تمنى أن تحصل حرب جديدة مع العرب لتتقدنا نهائياً
من مشاكلنا وتمنحنا فرصة اكتساب أرضنا .

ويضيف شاريت : « يا لزللة اللسان هذه : لقد قال بن جوريون بنفسه ان الأمر
يستحق أن تدفع مليون ليرة لشخص عربي ثناً مقابل أن يعلن الحرب علينا » ..

• العدل في احصاء الدم :

يعتبر شهر نوفمبر عام ١٩٥٦ هو عام « العدل في احصاء الإسرائيليين للدم
العربي » ، ففي خلال هذا الشهر احتسى جنود إسرائيل دماء الفلسطينيين في قلقيلية وكفر
قاسم ، ودماء الفلسطينيين والمصريين في غزة وسيناء ..

ففي ليلة العاشر من أكتوبر قامت القوات الإسرائيلية بأكبر عملية ثأرية ضد القرية
العربية « قلقيلية » ، يقول مجرم الحرب موشى دايان في مذكراته عن هذه العملية :
« أن العملية الإنتقامية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في قلقيلية ، كانت من أكبر
العمليات الإنتقامية وقد بلغت خلالها خسائر الجيش الإسرائيلي ١٨ قتيلاً وخمسين
جريحاً » .. وقال دايان في مذكراته : « ان قلقيلية كانت محصنة جيداً .. وأنها كانت
تسيطر على المنطقة ، وعلى الطريق المؤدي إلى عزون ، وقلب السامرة ومدينة نابلس »
وأضاف دايان : « أن القوات الإسرائيلية قد حشدت استعداداً للعملية في منطقة كفر
سابا ويادياهو وإيال ، وفي الليل تحركت القوات الإسرائيلية لتنفيذ مهمتها وتوجهت
القوة (أ) والقوة (ب) إلى مبنى مركز الشرطة في المدينة ، أما قوة الحماية فقد تقدمت
خلف قلقيلية لإقامة حاجز على الطريق بالقرب من قرية عزون ، حيث يوجد معسكر
للجيش الأردني » ..

• مجزرة السموع :

ليلة ١٣ نوفمبر عام ١٩٦٦ ، اصطدمت دورية إسرائيلية في وادي عربة بلغم أرضي ،
أسفر عن مقتل ثلاثة من لواء المظلات الإسرائيلي ، وسرعان ما أرسلت المؤسسة العسكرية
اللواء المظلي - امتداد اللواء ١٠١ إلى القرية واحتلالها ، .. وإقامة مجزرة فيها ، وقال مشان
فيلني ، أحد الذين اشتركوا في المجزرة :

« في اللحظة التي سمعت بها بانفجار اللغم في وادي عربة أدركت بأن القوات الإسرائيلية ستقوم بعملية إنتقامية .. وكان هدف العملية في هذه المرة قرية السموع الأردنية التي تبعد حوالي خمسة كيلومترات من تل عراد ، وكان الفدائيون يحصلون في هذه القرى كما هو الحال في قرى أردنية أخرى في منطقة جبال الخليل على الدعم والحماية ..

لقد تم إعداد القوة بسرعة وفي مساء يوم السبت توجه المظليون إلى قاعدة الإنطلاق بالقرب من بحر السبع وكان معظمهم قد عادوا بمحض إرادتهم من أجازة يوم السبت ، كان لديهم شعورٍ بقرب وقوع العملية ..

ووصف أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المجزرة الإسرائيلية في قرية السموع أمام مجلس الدفاع العربي المشترك ، الذي عقد بالقاهرة عقب هذه المجزرة ، قال الشقيري^(١) :

« وأفاق الأردن صبيحة ١٣ نوفمبر ، وإذا بالقوات الإسرائيلية قوات ضخمة من الدبابات والمدفعية ومن أسراب الجو ، وقوات المشاة المسنودة والمدعمة بكل الأسلحة .. في الساعة السادسة والنصف انتقلت من المنطقة المحتلة ، واخترقت خطوط الهدنة ، واتجهت نحو المنطقة جنوب الخليل ، وهي المعروفة بالسموع ، وسائر القرى المحيطة بها ، ثم تبدأ بالقصف الجوي والتدمير بالمدفعية ومن الدبابات ، وتزحف القوات الآلية والمشاة صوب قرية السموع وما جاورها من القرى فيهرب الاهلون من منازلهم ، لا خوفاً ولا فرعاً ولا جبناً ، ولكن لأنهم لا يملكون السلاح للدفاع عن أرواحهم ومنازلهم وقراهم ، فهربوا إلى الكهوف وإلى المغاور ، حتى خلت القرية وما حوفا من سكانها ، وخلت المنطقة من الآمنين من السكان ، إلا نفر من الشجعان من ضباط وجنود الجيش الأردني الباسل الذين ظلوا يقاتلون بالأسلحة الخفيفة التي بين أيديهم ، دون أن تستطيع أن تقف أمام القوات الآلية الضخمة التي قامت إسرائيل بحشدتها في تلك المنطقة ، وتظل المراكز الأمامية باللاسلكي وبكل الوسائل التي تملكها ، تنذر ماوراءها في عمان ، بهذه الغارة الآتية المجرمة وتصرخ طالبة النجدة ، وتدخل القوات الإسرائيلية إلى المنازل ومعها الديناميت في الصناديق التي تفتح بالدم البارد ، وفي الوقت الهاديء كأنما يدخلون أرضاً ليس فيها أحد .. ويضربون المنازل بيتاً بيتاً .. يضعون صناديق المتفجرات فيها ، منزلاً منزلاً ..

ولذلك أنا أحب هنا .. أن أضع أمامكم الملاحظة بأن المنازل التي دمرت لم تدمر من الجو ولا بالمدفعية ، وبعض هذه الأماكن دمرت من الجو وقصفاً بالمدفعية ومن جعلتها المتذنة التي أصيبت إصابة مباشرة في أعلى المنارة .. ولكن معظم التدمير كان بالنسف بالديناميت .. تدخل وحدات التدمير إلى كل منزل ، شعوراً منا بالإطمئنان التام ، بأنها تستطيع أن تفعل ما تفعل ، ضمن خطتها المرسومة ، غير عابئة بأي قوة تقف أمامها أو تصدها .. واستمرت هذه الغارة ثلاث ساعات استبسل فيها الجيش الأردني في المراكز الأمامية الباسلة ، وسقط بعضهم شهداء ، والبعض جرحى لا يملكون من وسائل النجدة أو الدفاع شيئاً ..

وقيل أن تنتهي الغارة بوضع دقائق ، وصلت نجات من جيشنا الأردني الباسل ، .. أقول جاءت النجدة قبيل انتهاء الغارة بدقائق بسيارات أشبه بأن تكون عادية .. لم تكن هناك المصفحات ولا الدبابات ولا المدرعات وإنما سيارات خفيفة ، ومن غير أن أدخل في التفاصيل التي هي مفعمة لنا جميعاً موجعة لقلوبنا .. هؤلاء الضباط والجنود معظمهم سقطوا شهداء احتراقاً ، أحرقتهم القنابل المحرقة الإسرائيلية التي وجهت إلى سياراتهم غير المصفحة ، غير المدرعة ، غير المسلحة وبهذا انضم إلى قافلة شهداء الأمة العربية وإخواننا شهداء الأردن العربية ، .. وشهدائنا في الأردن بلدنا ، هؤلاء الأعزة من إخواننا الذين لقوا حتفهم ، وقد احترقوا احتراقاً ما قتلوا بالنار ولا بالمتفجرات ، ولكنهم في سياراتهم احترقوا .. وبعض الزوار من الوفود التي ذهبت إلى المنطقة بعد الحادث ، وجنوهم وهم في احتراق كامل من الرأس إلى القدم ..

وانتهت الغارة ، وعاد المغرورون وهم ينشدون ويرقصون ، وما هذا بتعبير شعري ، وما هي بمجازات وكنايات أقولها لكم .. هذه وقائع ثابتة .. عاد المغرورون الإسرائيليون وهم ينشدون ويرقصون ، وقد أخذوا معهم بعض جرحانا وأخذوا كذلك بعض الأسلحة وبعض السيارات وجروها إلى المنطقة المحتلة ..

وأخيراً ..

كانت حصيلة المجزرة نسف ١٢٥ منزلاً ، ومصرع ١٨ شخصاً ، وإصابة ١٣٠ آخرين جميعهم من المدنيين ، وقد أدان مجلس الأمن هذه المجزرة بالقرار رقم ٢٨٨ الصادر في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٦ ..

ولكن .. ما أكثر القرارات التي تدين لإسرائيل ..

والآن .. هل هذه كل المجازر الإسرائيلية ، والتي قام بها أريل شارون وقدامى الإرهابيين والذين أصبحوا قادة « لجيش إسرائيل » .. مسلسل الإرهاب على القرى لا ينتهي .. وهذه لقطات سريعة من هذا المسلسل^(١).

• في ٢٨ - ٢٩ / ٣ / ١٩٥٤ هاجمت قوة إسرائيلية قرية نحالين فقتلت تسعة أشخاص ، وجرحت تسعة عشر آخرين ..

• في ٣٠ / ٨ / ١٩٥٤ هاجمت القوات الإسرائيلية بقيادة مردخاي غور قرية خربة السكة وأطلقت النار على سكانها ، وعلى أفراد الجيش الأردني في تلك المنطقة ..

• في ١ / ٩ / ١٩٥٤ ، قامت القوات الإسرائيلية بالهجوم على قرية بيت لقيا ونصبت كميناً للقوات الأردنية ، وأوقعت بها عدداً من الإصابات ..

• في ٣٠ / ٨ / ١٩٥٥ ، هاجمت القوات الإسرائيلية قيادة اللواء المصري ، وسرية الحماية المراقبة في شرطة خانيونس ، ودمرت محطة بنزين ومحطة للباصات ..

• في ١١ / ١٢ / ١٩٥٥ ، هاجمت قوات من لواء جعباتي والناحال مواقع القوات السورية ، على الضفة الشرقية من بحيرة طبريا ، فقتلت ١٢ مدنياً بينهم ثلاث نساء وهدمت عدداً من البيوت السكنية ..

• في ١١ - ١٢ / ٩ / ١٩٥٦ ، نسفت قوة إسرائيلية مركز شرطة ومدرسة في الرهوة ، وقتلت ١٥ شخصاً ، ونسفت مدرسة جديدة كانت الأونروا قد أتمت بناءها حديثاً ..

• بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٥٦ ، دمرت قوة إسرائيلية مركز شرطة ومدرسة في غرنذل ، فقتلت تسعة من رجال الشرطة ، وعدداً من السكان المدنيين ..

• بتاريخ ٢٥ / ٩ / ١٩٥٦ ، نسفت قوة إسرائيلية مركز شرطة قرب قرية حوسان ، فقتلت ٢٩ شخصاً ودمرت مدرسة قرب قرية وادي فوكين في الضفة الغربية ..

• في ٥ / ٤ / ١٩٥٦ ، قصف الإسرائيليون مدينة غزة بمدافع الهاون فقتلت ٥٦ مدنياً ، وجرحت ١٠٣ آخرين ..

(١) مجازر وممارسات - غازي السعدي - دار الجليل - عمان .

● ليلة ١٠ — ١١ / ١٠ / ١٩٥٦ ، تعرضت مدينة قلقيلية بالضفة الغربية لهجوم إسرائيلي ثالث ، كما هوجمت في نفس الليلة قرى عزون والنبي الياس وخان صوفين في منطقة قلقيلية ، وأسفر الهجوم عن نسف عدة منازل واستشهاد ٤٨ شخصاً ، وجرح ٢١ آخرين ..

● في ٤ / ٢ / ١٩٥٩ ، عبرت دورية إسرائيلية الحدود المصرية جنوب رفح ، فقتلت امرأة وطفلاً وجرحت امرأة أخرى ..

● في ١٧ / ٢ / ١٩٥٩ ، كمنت دورية إسرائيلية لأربعة أشخاص داخل الأراضي المصرية ، فقتلت شخصين وجرحت ثالثاً ..

● في ١٦ / ٣ / ١٩٦٢ ، هاجمت المدافع والطائرات الإسرائيلية قرية النقب السورية ، وقتلت ٣٠ شخصاً ..

● في ٢٧ / ٥ / ١٩٦٥ ، هاجمت قوات إسرائيل بيوتاً ومعملاً ومحطة بنزين في جنين وقلقيلية والمنشية ، فقتلت أربعة أشخاص وجرحت سبعة آخرين ..

● بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٦٦ ، نسفت قوة إسرائيلية ١٩ بيتاً في رافات ، وأربعة بيوت في منطقة الشيخ حسين ، في الأردن فقتلت ثمانية مدنيين ..

● في ١٤ / ٧ / ١٩٦٦ ، قصفت الطائرات الإسرائيلية قرية سورية ، فقتلت امرأة وجرحت تسعة مدنيين ..

ولكن كان أعظم مهرجان للإرهاب ، وأعتى به إرهاب الدولة ، هو مهرجان الدم في كفر قاسم :

مذبحة كفر قاسم

اليوم .. انتهت اللمسات الأخيرة لأكبر مهرجان لسفك الدماء في كل تاريخ إسرائيل .. اليوم استعد كل جندي للارتواء بدم العرب حتى الثمالة .. اليوم سيرتوي كل العطشى في إسرائيل بالدم العربي .. فلا شيء يروي ظمأ الإسرائيلي غير الدم .. اليوم سوف يشهد المصريون والفلسطينيون تفريغ كل الأحقاد الإسرائيلية والمذابح ضدهم في كل التاريخ .. اليوم سوف تتوجه القوات الإسرائيلية العطشى لتحصد جنود مصر في سيناء بغطاء جوي فرنسي ..

كل قائد يجتمع بجنوده ليعطي لهم أوامر القتال .. وكانت الأوامر : اقتلوهم بلا رحمة ولا شفقة ..

* * *

قائد المنطقة الوسطى تسفي تسور^(١) يعطي الأوامر لقادة الكتائب التي كلفت بحماية حدود إسرائيل مع الأردن ، ومن بين قادة الكتائب الكولونيل شدمي :

شدمي : هل يمكن فرض حظر التجول في المناطق العربية ؟
تسور : ممكن هذا .. بل وينفذ بشكل صارم جداً ، حتى يمكن تأمين الجبهة الجنوبية .
وبدأ الحديث عن مسؤولية كل كتيبة لإحدى مناطق الحدود مع الأردن .

* * *

بدأ تعزيز قوات المنطقة الوسطى بأفواج من قوات حرس الحدود الإسرائيلية .. وعززت كل كتيبة بفوج من هذه القوات .. كتيبة الكولونيل شدمي عززت بفوج بقيادة الرائد ملنكي ، واجتمع الكولونيل بقيادة الفصائل ، يعطي لهم أوامر الانتشار على طول الجبهة ، وحدد لكل فصيلة منطقة .. قال شدمي :

- الماجور ملنكي مسئول عن تأمين قرى كفر قاسم ، وكفر باره ، جلجوليا ، والطيرة ، والطيبة ، وقلنسوة ، وبير السكة ، وأبطن .

ملنكي : سيدي .. هذه مناطق يسكنها عرب .
شدمي : أعلم ذلك .

ملنكي : إنها في حاجة إلى إجراءات خاصة .
شدمي : يمكنك فرض حظر التجول في هذه القرى . على أن ينفذ بصرامة شديدة ، فأنا لا أريد المواطنين^(٢) .

ملنكي : ومن يخالف حظر التجول ؟
شدمي : عليه الرحمة .. فلأن يكون هناك عدد من القتلى خير من التورط في الاعتقالات .

(١) أصبح فيما بعد رئيس أركان القوات المسلحة الإسرائيلية .

(٢) الفصل ١٧ من الصفحة رقم ١٠١ من جلسات المحكمة المركزية .

وخرج ملنكي وقد دون في مفكرته الأوامر التي صدرت إليه من الكولونيل شدمي :

أولاً : فرض حظر التجول من الظلام حتى الصباح ..

ثانياً : من يغادر منزله يطلق عليه الرصاص .

ثالثاً : لا اعتقالات .. بل قتل .

خرج المايجور ملنكي سعيداً بأوامر القتل ، لا أوامر الاعتقالات ، خرج سعيداً ، فإن الليلة ستكون وليمة على الدماء العربية في تلك القرى .. اجتمع ملنكي مع ضباطه وجنوده وأخبرهم بأن الحرب قد بدأت ، وأن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي قد اندفعت من المنطقة الجنوبية ، وسوف تفرض حظر التجول ، وكل من يخالف منع التجول يطلق عليه الرصاص حتى الموت ، فأنا لا أريد الاعتقالات .

ثم قال المايجور الإسرائيلي : بل لابد من قتل هذه الليلة فإن هذا الأمر سوف يخفف من عبء الحفاظ على منع التجول في الليالي القادمة^(١) ..

وبدأت أسئلة الجنود والضباط إذا كان هناك مصابون أو جرحى عرب .

ملنكي : لا يجب أن يكون هناك جرحى .

الضابط مانشيش أريه : ما العمل بصدد النساء والأطفال ؟

ملنكي : لا مجال للمواطف .. الحكم فيها كالحكم في الجميع ، فمنع التجول مفروض على الجميع ..

منشيش : وما العمل بصدد العائدين إلى مساكنهم بعد حظر التجول ، وهم لا يعلمون به .

ملنكي : الله يرحمهم .

ذهبت قوة إلى كفر قاسم بقيادة الضابط الإسرائيلي وهان ، وكانت القوة المسلحة بمدافع رشاشة من طراز برن ، وبالرشاشات والبنادق ، وفي القرية انقسموا إلى مجموعات ، كل مجموعة صغيرة لها قائد ، وكل قائد لديه أوامر القتل التي جاءت من الكولونيل شدمي إلى المايجور ملنكي إلى وهان .. إلى أصغر جندي ...

(١) النص من محاضر جلسات المحكمة المركزية الإسرائيلية - ص ١٠٢ .

الناس في القرية أصابهم الدهشة لوجود هؤلاء الجنود المتحفزين ، واتجه دهان إلى بيت أحمد صرصور ، مختار القرية ، وكانت الساعة قد اقتربت من الرابعة والنصف من ظهر يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وقال دهان لمختار القرية :

- أخطر السكان بفرض حظر التجول من الخامسة مساء وحتى السادسة صباحاً ، ومن يخالف هذا سيعرض حياته للخطر .

صرصور : نصف ساعة غير كافية لأخطار الناس .

دهسان : هذه أوامر .
صرصور : ولكن هناك ٤٠٠ من أبناء القرية موجودين في خارجها ، وقسم منهم في ضواحي القرية ، أو في الكيبوتز يعملون ، وقسم آخر في أماكن بعيدة ، في بتاح تكفا واللد ويافا ، وهؤلاء لا يعلمون شيئاً عن حظر التجول .

وسأل صرصور : ما هو مصيرهم ؟

بعد مناقشات .. وعد دهان بأنه سينقلهم إلى بيوتهم حتى لو جاءوا بعد حظر التجول .

* * *

أسرع المختار أحمد صرصور إلى سكان القرية ، وأبلغهم بحظر التجول وبخطورة مخالفة هذا الخطر ، ووضعت الأمهات أيديهن على قلوبهن خوفاً على أبنائهن الذين يعملون خارج القرية ولم يعودوا ، وعاش كل سكان القرية في حالة شديدة من القلق على الأبناء والآباء والأخوة الذين يعملون في المستعمرات الإسرائيلية خارج القرية .. وماذا سيكون مصيرهم ؟

* * *

في نفس الوقت كانت القوة الإسرائيلية تمن أسنانها لتنهش بها أول ضحايا هذه الليلة السوداء ، ليلة حفل الدم الإسرائيلي ، ليلة تنفيس الكبت الدموي عبر السنين .

* * *

في هذا الوقت أنهى أربعة عمال من سكان القرية أعمالهم في مستعمرتي بتاح تكفا ورأس العين ، هما أحمد محمد فريج ، وشقيقه الأصغر محمود محمد فريج وعلى عثمان طه وعبد الله سمير بدير ، وركبوا دراجتهم البخارية في طريقهم إلى قرية كفر قاسم ، ووصلوا

إلى المدخل الغربي من القرية ، وفجأة أطلق عليهم الرصاص من كل جانب ، فمات أحمد فرج ، وسقطت دراجته البخارية على شقيقه فحمته من وابل الرصاص الذي أطلق عليهم ، وسقط قتيلاً أيضاً على عثمان طه ، فظاهر عبد الله بدير بأنه مات ، وظل في مكانه لا يتحرك رغم وابل الرصاص ، وعندما توقف إطلاق الرصاص لحظة ، بدأ محمود يزحف على الأرض بعيداً عن الطريق ، فأطلقوا عليه الرصاص مرة أخرى ، فظاهر بالموت ، وسقط في مكانه .

وبعد فترة من الزمن تقدر بأكثر من ساعة ، انشغل الجنود الإسرائيليون بمذبحة أخرى ، فوقف محمود إلى قطع من الماعز ، وعندما دخل إلى القطيع وجد صاحبه مقتولاً ، وبدأ القطيع يتحرك داخل القرية ، وهو يسير على يديه ورجليه داخل القطيع داخل القرية ، وذهب إلى أسرته يخبرهم بوفاة شقيقه أحمد . وذهب عبد الله بدير - زحفاً - إلى جذع شجرة زيتون قرية ، جلس يصرخ بلا صوت ، ويكي بلا دموع على رفاق العمل والمأسة والقرية . وفي الصباح وبعد انتهاء حظر التجول دخل كالجئون إلى القرية ، يصف لسكانها الانتصار الإسرائيلي في مجزرة الأمس ..

* * *

بعد هذه المجزرة بدقائق .. شاهد الجنود الإسرائيليون بقيادة دهان ، عربية ذات عجلتين يجرها بغل ، وعليها إسماعيل محمود بدير ، وابنته وعمرها ٨ سنوات ، ويسير بجوار العربية غازي محمود درويش عيسى (٢٠ سنة) ومحمد عبد الرحمن عاصي وطفل اسمه محمد عبد الرحيم عيسى .

* * *

يا للشجاعة .. صيد جديد قد وصل .
وأمر دهان رجاله بإحاطة العربية التي يجرها بغل .
وأحاطوا بالعربة .
وأمر الضابط الإسرائيلي راكب العربية أن ينزل ويترك ابنته .
ونزل الرجل وهو في دهشة .
وأمر الطفل أن يركب العربية ..
وركب الطفل ..

وبالإنسانية .. أمر الطفل أن يقود العرب ومعه الطفلة إلى داخل القرية .. وضرب
البغل بكعب مدفعه فانطلقت العرب إلى القرية ، والطفلة تصرخ صراخاً عنيفاً وكأنها تعلم
ما سوف يحدث لأبيها ..

وبالرجولة .. طلب من الرجال الثلاثة الوقوف صفاً واحداً .. ووقفوا .. ثم أصدر
الأوامر بإطلاق الرصاص .. واشترك معهم .. وسقط الثلاثة .. واستمر إطلاق
الرصاص بعد أن سقطوا ..

لم يكن يعلم الضابط الإسرائيلي أن أحدهم لم يمت .. هو إسماعيل محمود بدير .. لقد
اخترقت عشرات الرصاصات جسده .. ولكنها لم تأت في مقتل .. بل إن الرصاص لأنه
من مسافة قريبة اخترق جسده ولم يستقر فيه .. وظل إسماعيل بدير (والد الطفلة) حياً
ميتاً .. حتى الصباح .. وأمكن لسكان القرية إنقاذه عندما وجدوا الروح لم تفارق
جسده ..

* * *

حفلة الدم لم ينته بعد ..

فإن دماء العالم لن تشبع عطشهم ..

قطيع من الأغنام في طريقه إلى القرية .. يرعاه رجل اسمه عثمان عيد عبد الله عيسى
(٣٠ سنة) وابنه الصغير فتحي (١٢ سنة) ، لا علاقة لهما بما يحدث حولهما ، كل
همهما هو رعاية الأغنام ، الأب يغني مواويل حزينة ، هكذا علمته الحياة ، والابن يعيد
النغمة الشاردة لتنضم إلى القطيع واقتراب الثلاثة من القرية ، القطيع ، والأب ، والابن ..
ويبدو أن الجنود الإسرائيليين ، قد أرهقهم توقيف الناس ، وسؤاؤهم فأطلقوا الرصاص على
راعي الغنم وابنه ، فسقط الاثنان قتيلين ومعهما بعض الأغنام ..

* * *

حفلات الدم مستمرة ..

وكفر قاسم هي المصيدة .. والعائدون إليها هم صيد حفلة الدم الكبرى في إسرائيل ..

اقتربت من المصيدة سيارة نقل صغيرة ، بداخلها صيد ثمين هذه المرة بها سائق وبنجاره
آخر ، وطفل ، وفي صندوق السيارة جلس ثلاثة أفراد ، أي أن الصيد هذه المرة ستة
أفراد ..

وعندما اقتربوا من قرية كفر قاسم ، شاهد الرجل الذي يجلس بجوار السائق جندياً إسرائيلياً يقتل مواطناً عربياً بالنار ، فطلب من السائق أن يقف فوقف ، وسرعان ما جاء لهم جندي إسرائيلي ، وطلب منهم عدم التوقف ..

وأدار السائق السيارة مرة أخرى ، وبدأ ينطلق في الطريق إلى القرية وإذا بالجنود الإسرائيليين يطلقون الرصاص على السيارة من كل جانب ، والسائق يسرع ، فربما كتبت له النجاة ، حتى استطاع أن يصل إلى منزل خلف مدرسة القرية وعندما توقف وجد قتيلاً واحداً ..

كان ركاب السيارة عمر محمود عودة (٥٧ سنة) تاجر ومزارع ، وابنه وعاملان زراعيان يعملان في مستعمرة بتاح تكفا ، وشريكه الذي قتل هو شريك عودة واسمه محمود عبد الجاسر ريان .

ولكن .. يبدو أن الجنود الإسرائيليين ، كانوا يريدون القتل بالإثارة - أي أن ينفجر بنزين السيارة ، فيحدث ناراً ولهباً وانفجاراً وأشلاء القتلى ، وعندما استطاع سائق السيارة أن يهرب دون حدوث هذا المشهد السينمائي المثير ، قرروا عدم العودة إلى ذلك .. حفلة الدم مستمرة ..

لاحت من بعيد عربة ذات أربع عجلات يجرها بغل ، وعليها صاحبها واسمه إسماعيل عقاب بدير ، وتوقفت العربة ليركب بها ابن عمه توفيق إبراهيم بدير بدلاً من أن يسير على قدميه ، وهما يعملان في المستعمرة الإسرائيلية بتاح تكفا ، وعند مدخل القرية توجه أحد الجنود الإسرائيليين وأوقف العربة ، إلا أنه وجد أن الصيد ليس ثميناً هذه المرة ، فتركهما في الطريق بعد أن أمرهما بعدم التحرك ..

ثم لاحظت من بعيد أعضاء دراجات بخارية تبدو كثيرة ، وما أن وصلت هذه الدراجات حتى أحاطها جنود إسرائيل ، وطلبوا من ركبها وضع الدراجات عند العربة والوقوف صفاً واحداً ، وطلبوا من راكبي العربة النزول والوقوف صفاً واحداً مع ركاب الدراجات النارية ..

آه .. هذا صيد ثمين .. طابور به ثلاثة عشر فلسطينياً ..

وسأل الجندي الإسرائيلي : إلى أين ؟

قالوا : نحن من كفر قاسم .. وكنا نعمل في المستعمرات الإسرائيلية ، ونحن في الطريق إلى ديارنا .

وفجأة .. صاح قائد المجموعة الإسرائيلية : احصلوهم .

وبدأ إطلاق النار من المدافع الرشاشة التي يحملها الجنود الإسرائيليون وسقطوا جميعاً على الأرض ، ورغم ذلك استمروا في إطلاق الرصاص عليهم حتى تأكدوا أنهم جميعاً قد ماتوا ..

لقد سقطوا متفرقين في وسط الطريق ، وهذا قد يعوق مراسم عرس الدم في كفر قاسم ، فحملوهم من وسط الطريق ، وألقوا بهم فوق بعضهم على جانب الطريق على شكل هرم من جثث الفلسطينيين .

أثناء حفل الدم هذا .. استطاع أحدهم أن يهرب ولم تلحقه رصاصات يهود إسرائيل ، واسمه مصطفى .

ولم يكن هذا الهرم الآدمي كله من الجثث ، بل كان بعضهم من أصيب إصابات بالغة ولكنه لم يموت ..

مثلاً .. إسماعيل (٢٠ سنة) أصيب بجراح في رجله اليمنى ، وبعد أن غادر الجنود المكان ، خرج من تحت الجثث ، وزحف إلى أقرب شجرة ، واستطاع أن يتسلقها ، وظل فوق الشجرة يومين كاملين ، ثم شاهده أهل القرية - بعد ذلك - وأخلوه إلى المستشفى ، وقد قرر الأطباء بتر رجله خوفاً من إصابته بالغرغرينا .. ولقد حضر المحاكمة لمأساة كفر قاسم كشاهد ..

• صلاح (١٩ سنة) .. ظل ينزف تحت الجثث حتى الصباح ، وأنقذه أهل القرية ..

• توفيق (٢٥ سنة) .. استطاع أن يخرج جريحاً من تحت الجثث ويظل تحت شجرة حتى جاء أهل القرية ونقلوه إلى المستشفى ..

• أسعد عيسى (٢٦ سنة) أصيب في فخذه الأيمن ، وظل حياً ، فأطلقوا عليه النيران مرة أخرى فأصيب في فخذه الأيسر فتظاهر بالموت .. ونقلوه مع الجثث .. واستطاع أن ينجو ..

كانت حصيلة هذا الفصل من المجزرة ستة قتلى هم :

محمود عبد الرازق صرصور (١٨ سنة) ، على نمر فرج (١٧ سنة) صلاح محمد أحمد عامر ، سليم أحمد بشير بدير (٥٠ سنة) ، عبد الله عبد الجاسر بدير (٢٥ سنة) ، عيد سليم صلاح عيسى (٢٠ سنة) ..

* * *

كل هذه الدماء لم تكف لارتواء جنود إسرائيل .
والأوامر الصادرة بضرورة استمرار الحفل .

* * *

عندما أعلن مختار القرية فرض حظر التجول على كفر قاسم ، خشيت سيدة فلسطينية على زوجها الذي يعمل في إحدى المستعمرات القريبة ، فأرسلت له ابنتها الصغير يحظره بأن حظر التجول قد فرض في القرية ، وعليه أن يعود فوراً ، وجرى الابن مسرعاً إلى أبيه وأخطره برسالة أمه . إليه ، فصاح الرجل في العمال الذين يعملون أن يتركوا العمل ويعودوا إلى كفر قاسم ، حيث حظر التجول ، وهرول العمال ، وركبوا السيارة - سيارة نقل صغيرة - وبلغ عددهم تسعة عشر رجلاً والطفل الذي جاء جرياً من القرية ، وعلى أبواب كفر قاسم أوقف الجنود الإسرائيليون ، السيارة وطلبوا من ركبها النزول ، فنزلوا ووقفوا صفاً واحداً أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل . لم يبق في صندوق القرية غير الطفل الصغير الذي ذهب إلى والده برسالة والدته .

عندما شاهد الطفل هذا الحشد ، طلب من والده أن ينزله من الصندوق ، واستمع الوالد الجندي الإسرائيلي فوافق ، وأنزل الوالد طفله ، وطلب منه أن يعود إلى البيت ، إلا أن الطفل أصر أن يقف في الطابور أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل - أي والله ، هذا ما حدث - وهذا ما قاله الشهود أمام المحكمة المركزية وهذا ماجاء في الفصل ١٧ بالصفحة ١١٥ من محاضر هذه المحاكمة المثيرة .

وقف الفلسطينيون أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل ، ثم سادت فترة صمت فتقدم أحد الفلسطينيين إلى الجندي يسأله عن سبب احتجازه ، في هذه اللحظة ، صرخ القائد الإسرائيلي : احصلوهم .

وانطلقت النيران من كل المدافع ، وسقطوا قتلى ، أو أن الأحياء تظاهروا بأنهم من القتل .. وكان حصاد هذا المشهد من المأساة عشرة قتلى هم :

عطا يعقوب صرصور (٢٢ سنة) ، رياض رجا حمدان داوود (٨ سنوات) ، جمال سليم محمد طه (١١ سنة) ، جمعة محمد عيد صرصور (٢٠ سنة) ، مرسي دياب عيد مزرع وعبد السلام محمد فريج (١٤ سنة) ، صلاح مصطفى أحمد عيسى (١٧ سنة) ، عبد الرحيم محمد بدير (٢٥ سنة) ، أحمد محمد جوده عامر (١٧ سنة) ، جمعة توفيق أحمد جبريل .

لقد مات الطفل رياض رجا حمدان داوود ، ونجا والده ، الذي بكاه سنوات طويلة .
وكان هناك طفل آخر اسمه جمال (١١ سنة) لقي حتفه ..

وكان هناك غلام اسمه عيسى (١٣ سنة) لم يصب ، ولكنه أصيب بفقد الذاكرة من هول ما شاهده .

* * *

بين هذا المشهد المثير .. والمشهد الذي يليه .. كانت هناك استراحة .. لقد جاءت شاحنة بها اثنان فقط ، وهما محمود خضر جابر صرصور (٢٧ سنة) ويوسف محمد إسماعيل صرصور .

وكانت السيارة محملة بالصوب ، لذلك لم يكن هناك من يركبها غير السائق وقرية ، اقتربت السيارة من القرية ، وعلى جانبي الطريق أكوام من جثث المشاهد السابقة ، وطلب الجندي الإسرائيلي منهما النزول ، فنزلا ، وسألهما من أي قرية .. قالوا : من كفر قاسم .

وهنا أصدر قائد المجزرة الإسرائيلية أمره بإطلاق الرصاص على الرجلين ، وسقط الإثنان قتيلين ..

في كتابة التراجيديا ، يكون المشهد الأخير ، هو أعنف المشاهد وأقواها ، فكان هذا المشهد الأخير من مأساة كفر قاسم ..

بعد الأحداث السابقة ، وصلت إلى مشارف القرية سيارة نقل عليها ٤ رجال و ١٤ امرأة ، وطلب أحد الجنود من السيارة أن تتوقف ، إلا أن السائق سار في الطريق إلى القرية ، خوفاً من اعتداء الجندي على إحدى السيدات ، هكذا تصور ..

ولكن الجندي صرخ وطلب من السائق أن يقف .

وظهر أمام السائق عدد آخر من الجنود .. فتوقف .

وأحيطت السيارة بعدد من الجنود ، وطلب قائدهم من السائق أن ينزل ويأمر الركاب بالنزول بما في ذلك الأطفال والنساء .. ونزل السائق ووضع سلباً خلف السيارة لينزل الأطفال والنساء ، وقال لهم :

- يا اخوتي .. لا تخشوا شيئا .. كل واحدة منكن .. تخرج بقاتها (الهوية) ، ونزلت النساء ، وطلب جنود إسرائيل من الجميع أن يقفوا رجالاً وأطفالاً ونساء صفاً واحداً .. وبكت النساء وصرخ الأطفال ، وطلبوا من هؤلاء الجنود الرحمة ، فلقد شاهدوا الجثث ملقاة أكواماً على جانبي الطريق ..

وأوقف صوت الرصاص بكاء الأطفال وصراخ النساء وتوسلات الرجال وظلوا يطلقون الرصاص حتى سقطوا جميعاً على الأرض ، وحملوهم ليشكلوا أكبر هرم من الجثث ، لقد مات سبعة عشر فلسطينياً بين امرأة ورجل وطفل ، ونجت فتاة فلسطينية واحدة هي حنا سليم عامر (١٦ سنة) ، التي روت للمحكمة هذه القصة ومات : محمود محمد صارودة (١٥ سنة) ، محمد دياب عيد صرصور ، محمد سليم خضر صرصور (١٥ سنة) ، عبد الله محمد عيد صرصور ، صفا محمد عيسى صرصور (٤٥ سنة) وفاطمة صالح أحمد صرصور (١٤ سنة) وآمنة قاسم سعيد طه (٥٠ سنة) وخمسة فرج محمد عامر (٥٠ سنة) ، زغلولة أحمد بشير عيسى (٤٥ سنة) ، حلوى محمد عودة بدير (٦٠ سنة) ، فاطمة داوود محمد صرصور (٣٠ سنة) ورشيدة فايق إبراهيم بدير (١٢ سنة) ، زينب عبد الرحمن طه (٤٥ سنة) ، فاطمة محمد سليمان بدير (٤٠ سنة) فاطمة محمد عيسى (١٧ سنة) ، لطيفة داوود محمد عيسى (١٢ سنة) ، زهدية محمد إسماعيل طه (١٤ سنة) ..

* * *

أثناء وقوع أشنع جريمة في التاريخ ، لم تأخذ من اهتمام الإعلام العربي ، بل ولا العالمي الشيء الكثير ، فلقد جاءت عشية العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وكان العالم كله مشغول بهذه الحرب ، وبعد أن انتهت الحرب بدأت أخبار المأساة تصل إلى الإعلام العربي ، إلا أن الصورة لم تكن واضحة ، ثم تسربت إلى بعض من الصحف الإسرائيلية ، وطلب أعضاء الكنيست محاكمة هؤلاء ، وفعلاً تم تقديم هؤلاء القتلة إلى المحاكمة ، وانقسم الإعلام الإسرائيلي بين من يعتبر هؤلاء أبطالاً تاريخيين ، قتلوا من لا قيمة لهم ، وبين من اعتبر هذا عاراً على إسرائيل ..

وفعلاً .. تم تقديمهم إلى المحاكمة ، وجاعوا بالشهود الذين كتب الله لهم الحياة .

وبعد عامين .. أصدرت المحكمة العسكرية المركزية حكمها في مأساة كفر قاسم بتاريخ ١٠ أكتوبر عام ١٩٥٨ هذه الأحكام :

• الماجور شمريثيل ملنكي : اشترك مع جيرثيل دهان بقتل ٤٣ مواطناً (من عرب إسرائيل) ، بالسجن ١٧ سنة .

• جيرثيل دهان اشترك مع ملنكي بقتل ٤٣ وحكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ عاماً ..

• شالوم عوفير السجن ١٥ عاماً .

• خلوف مريس بالسجن ٨ سنوات .

• إبراهيم الياهوور بالسجن ٨ سنوات .

• جيرثيل عولليل بالسجن ٨ سنوات .

• اليرت ميخا السجن ٨ سنوات .

• ادموزر نغماني ٨ سنوات .

• عبد الرحمن إسماعيل (جندي) براءة .

• سعيد زكريا شعبان (جندي) براءة .

• سميتش دانيال (جندي) براءة .

كما حكمت المحكمة بتجريد من ادينوا في هذه المذبحة من الرتب العسكرية .

بعد صدور هذا الحكم ، خشي العرب في الأرض المحتلة أن تتكرر المأساة مرة أخرى ، بعد هذا الحكم الخفيف المحتمل ، وفي نفس الوقت قامت الأحزاب الإسرائيلية خاصة اليمينية ، بحملة ضارية ضد حكم المحكمة العسكرية ، بقيادة الصحيفتين (حيروت) و (يديعوت أحرونوت) ، وطالبت بالعفو عن هؤلاء ..

تم استئناف الحكم ، وزاد سخط الجماهير العربية في الأرض المحتلة ، وصراخ الإسرائيليين بضرورة الإفراج عن القتلة ، وصدر حكم الاستئناف بالتخفيف :

- ملينكي السجن ١٤ سنة .

- دهان ١٠ سنوات .

- عوفير ٩ سنوات .

وباقى الأحكام كما هي .

إلا أن مناقصة تخفيض الأحكام ظلت مستمرة ، فقرر رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي بتخفيض العقوبة إلى :

- ميلنكي ١٠ سنوات .

- دهان ٨ سنوات .

وبالباقي ٤ سنوات لكل منهم .

المناقصة مستمرة ، ومن حق رئيس الدولة أن يدخلها هو الآخر ، بل أن هذا حقه الدستوري ، فقرر تخفيض عقوبة ميلنكي ودهان إلى خمس سنوات .

المناقصة مستمرة .. بل ان في إسرائيل لجنة اسمها لجنة العفو أمرت بإنقاص العقوبة بعد تخفيض رئيس الدولة إلى ثلثها ..

كان قد انقضى ثلاث سنوات على مجزرة كفر قاسم .. فخرج القتلة ، وهم الآن من كبار المسؤولين في دولة إسرائيل ..

* * *

كفر قاسم وحدها لم تعش الإرهاب كله ، بل عاشته أيضاً عشرات القرى التي سمعت بأحقر مجزرة في التاريخ ..

إن مجزرة كفر قاسم .. واحدة من الصور المتعددة للإرهاب الإسرائيلي ..

* * *

الفصل الرابع
الجدور الإرهابية للموساد

« إلا أن هذه الموهبة الإرهابية لم تكشف عن وجهها لعلياً ، كما
كان متوقفاً ، إلا بعد إنشاء الدولة وتوحيد « الشبكات السرية » في
إطار المؤسسات العسكرية الجديدة ، ولم تبرز كتيار أو اتجاه أو ميل ،
بل بوصفها الظليمة الرائدة للمجتمع الرسمي بكامله ، علينا أن نتابع
خطوة خطوة الصعود الجاهل لهذا الجهاز » ..

* * *

إيلان هاليفي
كاتب يودي

الجدور الإرهابية للموساد

قد لا يوجد مؤسسة إسرائيلية ، إلا وتجلس على قمة تاريخ إرهابي عريق ، كما لا توجد مؤسسة إسرائيلية إلا وترى أن « الحل الإرهابي » هو الطريق الوحيد لحل أي مشكلة ، فجدور الإرهاب عميقة في ضمائر وفكر إسرائيل ، وتختلف حدة الإرهاب من مؤسسة إلى أخرى حسب طبيعة نشاطها ، لذلك ، فإن أكثر المؤسسات الإسرائيلية جنوباً وممارسة لإرهاب الدولة ، هي مؤسسة « جيش الدفاع الإسرائيلي » والموساد ، أو جهاز المخابرات الإسرائيلي .

وبما لا شك فيه أن اليهود - بصفة خاصة - لهم تاريخ عريق في التجسس .. ويمتد تاريخهم إلى ما عرف بيهود البلاط^(١) .. حيث كان التجسس من بعض مهامهم للتقرب إلى الملوك .. ولكن لم يعرف جهاز منظم للتجسس عند اليهود إلا عام ١٩٠٧ .. عندما اكتشفت السلطات العثمانية شبكة تجسس كل أفرادها من اليهود ، تتجسس على الامبراطورية العثمانية لحساب الامبراطورية البريطانية ، وكانت شبكات التجسس اليهودية تعمل في دولة لحساب دولة أخرى ، ولذلك نشطت الدول لتجنيد اليهود في الدول الأخرى ..

ولكن بعد عام ١٩٢٠ ، تم تنفيذ مقررات بازل وبدافع من وعد بلفور .. وأقيمت الوكالة اليهودية ، وأول ما فعلته أن أسندت للجاسوس البريطاني اليهودي الكولونيل كيس بتنظيم شبكات التجسس ، واستطاع الجاسوس أن يقيم عدة شبكات في الكثير من عواصم العالم تحت مسميات اجتماعية ..

وفي عام ١٩٣٤ تولى بن جوريون رئاسة الوكالة اليهودية ، وأول عمل اهتم به ، هو تنظيم المؤسسة العسكرية الصهيونية « الهاجاناة » ومؤسسة التجسس .. وأسمائها « شيروت بديعوت » أي خدمة المعلومات واختصر الاسم إلى « الشاي » .

(١) تراجع الفصل الأول من هذا الكتاب ..

وقام بن جوريون بتنظيم « الشاي » وتم تحويلها إلى عدة قطاعات كل قطاع يكاد يكون منفصلاً عن الآخر ، وكل هذه القطاعات تتبع رئيس الوكالة شخصياً « بن جوريون » ، ومن هذه القطاعات :

١ - القطاع العربي : ومهمته التجسس على الدول العربية ، وجمع كافة المعلومات العسكرية والاقتصادية عن الدول العربية ، والقيام بالعمليات الإرهابية ضد هذه الدول إذا احتاج الأمر ، وتولى قيادة هذا القطاع موسى شاريت الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء إسرائيل ..

٢ - القطاع السياسي : ومهمته جمع المعلومات السياسية ، سواء داخل فلسطين أو خارجها ..

٣ - القطاع العسكري : ومهمته تقديم تقرير لرئيس الوكالة عن الموقف العسكري الصهيوني ، والموقف العسكري في العالم العربي ، بل وفي دول العالم .. حيث قيل ان منظمة « الشاي » للتجسس كانت مركزاً لتجارة المعلومات العسكرية بين الدول ، وأنها حققت أرباحاً طائلة ببيعها المعلومات العسكرية لكل الدول بدون تمييز ، بل قيل ان الوكالة اليهودية قد باعت معلومات عسكرية عن الحلفاء لألمانيا النازية مقابل الإفراج عن اليهود ..

* * *

في عام ١٩٣٧ ، أقام بن جوريون جهازاً خاصاً بمهمته العمل على زيادة هجرة اليهود الشرعية إلى فلسطين وهي « منظمة الهجرة غير الشرعية » وبالعبارة « موساد لعالياه بت » ، وكان تابعا لاتحاد العمال ، ومهمته جمع اليهود في قبرص سراً ، وتهجيرهم إلى فلسطين سراً أيضاً بالإضافة إلى سرقة الأسلحة من الجيش البريطاني ، وشراء الأسلحة من الخارج ، وتهريبها داخل فلسطين .. وبعد تشكيل هذا الجهاز ، ترك بن جوريون للجهاز السابق « الشاي » المهمات الإرهابية ضد الفلسطينيين والبريطانيين والعرب الآخرين ..

وعندما أعلنت « دولة إسرائيل » في مايو عام ١٩٤٨ ، قرر بن جوريون توسيع « الأجهزة الأمنية » وزيادة تنظيمها ، كما طلب بن جوريون من المنظمات الإرهابية السرية ، حل خلاياها والانخراط في أجهزة الدولة ، ونظراً للممارسة الإرهابية السرية لهذه العصابات ، فلقد استهواها العمل في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية^(٢٢) حيث يتيح لها هذا

العمل^١ القيام بعمليات إرهابية في حماية الدولة^٢ ونظراً لعدم الرقابة الشديدة^٣ وتداخل الاختصاصات بين أجهزة الأمن الإسرائيلية ، فلقد قامت بعمليات إرهابية ، دون معرفة الجهاز الذي قام بتلك العمليات ، أو من الذي أصدر أوامر الإرهاب .. وظل الأمر على ما هو عليه ، حتى عام ١٩٥٤ ، عندما أرسلت أجهزة الأمن عصاية إلى القاهرة للقيام بعمليات انفجارات وحرائق في المؤسسات البريطانية والأمريكية في المدن العربية ، والتي عرفت بفضيحة « لافون » ، وظلت هذه الفضيحة^(١) تلاحق لافون ، حتى تم أخيراً معرفة أن لافون هذا لم يكن يعلم بهذه العملية . منذ ذلك التاريخ وأعيد تنظيم أجهزة الأمن الإسرائيلية ، وأصبح هناك جهاز الأمن الخارجي « الموساد » وهو المنوط به الأعمال الإرهابية في الخارج .. والتجسس على الدول ، والقيام بالعمليات النفسية على الدول العربية ، ومحاولة اختراق صفوف المقاومة الفلسطينية ، ومحاولة تجنيد العملاء الأجانب ، ويتبع هذا الجهاز رئيس وزراء إسرائيل ووزير الدفاع مباشرة ..

١ - جهاز المهام الخاصة ، وهو جهاز لا يعلم عن نشاطه أحد غير رئيس الوزراء ، ومهمته إرهابية محضة ، ويكلف من رئيس الوزراء مباشرة ، ويقوم بالأعمال التي يمكن أن يطلق عليها « الأعمال القذرة » ، والمعلومات عن هذا الجهاز ضئيلة .

٢ - جهاز « شن بيت » ، أو جهاز الأمن الداخلي ، ومهمته التجسس على العرب في إسرائيل ، وعلى الأجانب والأحزاب الإسرائيلية ..

٣ - قسم البحوث في وزارة الخارجية ، ولهذا القسم مندوب أو أكثر في كل سفارة إسرائيلية في الخارج ومهمته جمع المعلومات والتجسس على الدول الأخرى وأعضاء الهيئات الدبلوماسية في الخارج ..

٤ - الوكالة اليهودية بمكاتبها في الخارج ، تعمل حتى الآن في جمع المعلومات وتقديمها إلى مندوبي أجهزة الأمن الإسرائيلية في الدول الموجود بها هذه المكاتب ..

٥ - المعابد اليهودية في أنحاء العالم ، حيث تعمل معظم الجاليات اليهودية في جمع المعلومات وتقديمها إلى حاخام المعبد أو إلى مندوب معروف لديها لكي تصل إلى إسرائيل ..

وقبل أن نقدم في الصفحات التالية أهم العمليات الإرهابية التي قام بها جهاز الموساد بصفة خاصة ، نرغب في توضيح أمر هام وحيوي ، أنه بالرغم من الهوية الإرهابية لهذا الجهاز ، وأنه بالرغم من تعدد مصادره ، والإعلام القوي الذي رفعه إلى ما يشبه

(١) انظر قضية لافون (ص ١٥٣) .

الأسطورة ، وعن ما يقال أنه واحد من أربع أجهزة مخبرات في العالم إلا أنه أخفق كثيراً ، وفشل كثيراً في كثير من عملياته الإرهابية ، وقبض على عشرات من أعضائه ، وأعدم أو سجن العشرات بعد كشف أمرهم والقبض عليهم . فإن الجهاز قد أخفق في القاهرة عام ١٩٥٤ ، وهز كشف عصاة التخريب الإسرائيلية الحكومة الإسرائيلية لبن جوربون في ذلك الوقت ، كما أخفق بمعرفة محاولة مصر لصناعة الصواريخ بواسطة الألمان ، إلا بعد أن « كشفت مصر » هذه الصناعة كنوع من الدعاية للنظام السياسي في ذلك الوقت ، أنها فشلت أكثر من مرة في محاولة اغتيال الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ، كما أخفقت تماماً في معركة الكرامة في مارس عام ١٩٦٨ ، حيث لم تعرف حجم المقاومة الفلسطينية في أغوار الأردن ، ولا طبيعة المقاتل الفلسطيني .. ولا حتى الخارج - السرايب - التي أقامها الفدائيون ، مما أدى إلى ارتفاع خسائر إسرائيل في هذه المعركة ، كما لم يتمكن هذا الجهاز من معرفة موعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ولا حجم القوات ، ولا خطة مصر في هذه الحرب ..

والآن .. تقدم شهادة إسرائيلية عن جهاز الموساد الإسرائيلي .. وهذه الشهادة كما جاءت في كتاب « ايلان هاليفي » إسرائيلي من الإرهاب إلى مجازر الدولة يقول :

● إن الأساليب الإرهابية المكتسبة ، والتي اكتملت في القتال ضد السكان الفلسطينيين كانت ستجد - بعد أن قدمت اتفاقيات رودس في شهر يناير ١٩٤٩ مكانة دولية للدولة الجديدة ، وجعلتها تنضم إلى الأمم المتحدة مرفوعة الرأس - أو ميدان للتطبيق العملي لها خارج الحدود الجديدة العهد . بينما كان الجيش المسمى بـ « جيش الدفاع الإسرائيلي » ينشئ ستار النار والموت بين اللاجئين وبين ديارهم ، وبينما كانت تتواصل عملية الطرد وتدمير القرى التي لم تمسها الحرب « على البارد » ، عمل بن جوربون على إعادة توحيد العملية بين التصحيحين والعمالين في إطار المؤسسات الوطنية الجديدة وبالأخص على صعيد الأجهزة العسكرية والأمنية .. حينئذ كون ، انطلاقاً من الأدوات السابقة للحرب ، بنية سياسية - عسكرية - بوليسية قوية ، سرية (رغم شرعيتها) وحررة من أية رقابة نيابية ووزارية .

هذه بداية « الموساد » (للخارج) و « الشين بت » - وهي الحروف الأولى لـ « أجهزة الأمن » أو « بشروتي بتاهون » - (للدخل) .

والموساد هي المؤسسة المزدوجة التي لا تخضع ، إلا لسلطة رئيس الوزراء ، وهي بالفعل تعمل خارج أي ضغط أو اعتبار للشرعية ، وسط علاقة ارتباطية وتنسيقية واختراقية معقدة مع أجهزة مخبرات الجيش التابعة لوزارة الدفاع : لأن بن جوربون جمع الوظائف لفترة طويلة .

فالمؤسسة ، كما يسمونها ، تدخل وتحتل تحت سلطة رئيس الدولة ، جميع الأجهزة العسكرية . وهي التعبير المركز لفلسفة بن جوريون « الدولة » : إذ تدمج في بنية وتحت قيادة وحيدة « كفاءات » المهاجرات والأرجون ، الباماخ وشترين . والبنية « المختلطة » التي يقترحها بن جوريون كتوليفة بين « الاشتراكية » و « الرأسمالية » ، يقابلها في مجال الأمن ظهور تلك المؤسسة الجديدة ، السرية والجبارة ، التي توفق بين الخبرة العمالية في مجال الخطب القابلة للتصدير ، وبين عزم التصحيحين على المضي في خط « الدفاع الفعلي » : أي إعطاء الأفضلية - وبالذات لأسباب سياسية - للعمل العنيف بدلاً من المفاوضات .

وبالطبع فإن ، نشاط مجموعات كاملة من الحركات العمالية - الصهيونية - التي لم يكن عند منافسها « السريين » وفي الجمن المتطرف شيء لا يوجد عندها - يؤكد أن عمال صهيون تمكنوا في فترة الانتداب البريطاني من إفراز مطبقي ومنظري الإرهاب ، ويكفي على سبيل المثال أن ننظر إلى شخص قائدهم . إلا أن هذه الموهبة الإرهابية لم تكشف عن وجهها فعلياً كما كان متوقفاً ، إلا بعد إنشاء الدولة وتوحيد « الشبكات السرية » في إطار المؤسسات العسكرية الجديدة ، ولم تعد تبرز كتيار ، أو اتجاه ، أو ميل ، بل بوصفها الطليعة الرائدة للمجتمع الرسمي بكامله ، علينا أن نتابع خطوة خطوة الصعود الجامع لهذا الجهاز الذي استطاع بفضل بن جوريون وخلفاؤه ليس فقط تحقيق مطامعهم لكسب الأراضي وتقسيم وإضعاف أعدائهم من عرب وفلسطينيين ، بل أيضاً خداع حلفائهم والعبث بلعبة السياسة الديمقراطية في إسرائيل .

انتهت كلمة هاليفي .. وإليك في الصفحات التالية مجازر بن جوريون وديان وييجين وبريز وشامير ..

* * *

جريمة في يهود بغداد

قبل الحديث عن عمليات إرهابية قد لا يصدقها عقل ، حدثت في بغداد لا بد من تقديم سريع للجالية اليهودية العراقية ، أثناء وبعد قيام إسرائيل ..

لل يهود في العراق تاريخ طويل ، منذ هدم الهيكل الثاني عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، حيث هرب اليهود إلى العراق ، وعاشوا بين العراقيين في سلام ، وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث نجد التالي :

• أن أكبر جالية يهودية في العالم العربي كانت في بغداد ، بلغت عام ١٨٥٦ - ٢٠ ألف يهودي ، وفي عام ١٩٥٠ أكثر من ١٥٠ ألف يهودي ..

• أن أول مدرسة عبيرة حديثة أقيمت في بغداد عام ١٨٦٥ ، وأول مدرسة للبنات اليهوديات أقيمت في بغداد -- أيضاً - عام ١٩٠٣ .

• أول صحيفة عبرية في العالم العربي صدرت في بغداد عام ١٨٦٣ وكان عنوانها « همجيد » .

• كان اليهود يشاركون في كافة أنشطة العراق ، وكان من بينهم وزير في الحكومة ..

• ان من شدة التسامح الديني في العراق ، فكر تيودور هرتسل إقامة الوطن القومي لليهود لاتساع الأرض الزراعية في العراق ووفرة المياه وقلة السكان ولكن السلطان عبد الحميد رفض ذلك ..

لذلك اعتبر اليهود أنفسهم عراقيين ، واعتبروا اليهودية ديانة وليست قومية .. ورغم أنهم في الأوقات الحرجة ، كانوا يقفون ضد أماني الشعب العراقي وينضمون إلى الأجني ، كما حدث أثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني ، ضد الإنجليز حيث انضم يهود العراق إلى الإنجليز ضد ثورة الشعب العراقي ، إلا أن العراقيين كانوا كرماء معهم ، بل حتى عندما أقيمت إسرائيل على أنقاض فلسطين ، قامت المظاهرات في بغداد وظلت الجالية اليهودية الكبيرة تمارس نشاطها دون الإساءة إليها ..

* * *

كانت مشكلة بن جوريون بعد إعلانه قيام دولة إسرائيل ، أن يأتي لها بالمهاجرين من كل أنحاء الدنيا ، وإلا فشل مشروع « الدولة الإسرائيلية » ، وكان اضطهاد اليهود في كثير من دول العالم . هو الدافع للهجرة إلى إسرائيل ..

ولكن يهود العراق في حالة استقرار يمارسون أنشطتهم ، ولا يجدون مبرراً للهجرة إلى إسرائيل مجهولة المستقبل .. وكان عددهم يسيل لعاب بن جوريون .

* * *

وقامت بريطانيا بترتيب موعد للقاء بن جوريون ونوري السعيد في النمسا .. وتم في هذا اللقاء الاتفاق على تهجير يهود العراق إلى إسرائيل ، وذلك عن طريق خطة إرهابية : تفتح العراق باب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، مع إسقاط الجنسية عن كل مهاجر ، حتى

لا يعود بعد أن يصل إلى إسرائيل .. وقدم المشروع إلى البرلمان العراقي الذي أقره ، ولكن لم يتقدم الكثير للهجرة إلى إسرائيل ..

وهنا بدأت الموساد في دورها في إجبار الجالية اليهودية في العراق على الهجرة إلى إسرائيل ، بالأساليب الإرهابية ..

بدأت بغداد تشهد سلسلة من الانفجارات وإلقاء القنابل على تجمع اليهود العراقيين : ففي أبريل عام ١٩٥٠ انفجرت قنبلة في شارع « أبو نواس » بالقرب من مقهى كان يتجمع به بعض شباب اليهود ، وقد أسفر هذا الانفجار عن وقوع عدد من الإصابات بين اليهود ..

وفي ١٤ يناير عام ١٩٥١ انفجرت قنبلة في مركز العلاقات الثقافية الأمريكية في بغداد ، وكان هذا المركز يتردد عليه الكثير من اليهود ، وقد أصيب عدد منهم .
وفي ١٠ مايو انفجرت عبوة ناسفة في شركة بيت لاوي التجارية للسيارات ، وهي شركة يهودية ..

وفي ٥ يونيو عام ١٩٥١ انفجرت قنبلة في شركة ستانلي شمعون التجارية اليهودية .. لم يكن الإرهاب قد دخل بغداد ، ولم يعرف العراقيون هذا النوع من الإرهاب ، إلا أن منشورات قد وزعت في العراق تطالب اليهود بالهجرة إلى إسرائيل .. وأنه لم يعد لهم مكان في العراق ، في نفس الوقت ، تصور الشارع السياسي العراقي أن هذه الانفجارات من فعل الشيوعيين العراقيين ، بل إن إسرائيل قد شنت حملة على العراق على أساس أنها تحاول قتل الجالية اليهودية لديها ، والأغرب أنها كانت تطالب - على المستوى الإعلامي - حكومة العراق بالتحقيق في أمر هذه الانفجارات التي تستهدف الجالية اليهودية ..

* * *

ورغم سلسلة الانفجارات هذه ، فإن عشرة آلاف يهودي عراقي فقط ، تنازلوا عن الجنسية العراقية ، وهاجروا إلى إسرائيل ..

* * *

هذا الرقم لم يكن يشبع بن جويون ، فقرر زيادة الإرهاب في العراق ضد اليهود ، فانفجرت قنبلة داخل المعبد اليهودي الرئيسي في بغداد ، مما أدى إلى مصرع البعض وإصابة

العشرات ، وهنا بدأت الهجرة - هجرة يهود العراق إلى إسرائيل ، وهاجر مالا يقل عن ١٥٠ ألف يهودي عراقي إلى إسرائيل ، شكلوا وقتها ١٧ في المائة من يهود إسرائيل .

وهنا استعين بشهادة اليهودي هاليفي في كتابه « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة » يقول :

وأريد بالعمليات المنفذة في العراق أن يتعمق هذا الاتجاه ، غير أن غياب العداوة العربية جعل أجهزة المخابرات الإسرائيلية تنفذ بنفسها تلك الاعتداءات ضد اليهود الهادفة إلى « تشجيع » الهجرة التي كانت مقصورة في ذلك الوقت على بضع مئات من الشبان ولم تتأثر بها فعلياً الجالية اليهودية ذات الجذور العميقة ، الفخورة بجذورها « البابلية » ، المندمجة وسط الطبقات المالكة والحاكمة في العراق .. وكذلك وسط مختلف حركات المعارضة الديمقراطية أو الاشتراكية ..

وكتب كوخافي شمس أن الهجرة غير الشرعية أدت إلى « بعض الصدمات بين الشرطة العراقية ومرشدي القوافل في الجبال » . ويبدو أن هذه الأحداث قد سببت ارتباكاً للسلطات العراقية التي أوصت بعد ذلك بالإجراءات الكفيلة بتسهيل الهجرة الشرعية .. ويضيف شمس أنه في شهر مارس ١٩٥٠ ، في يوم العيد اليهودي بوريم شددت الصحف العراقية على أن « اليهود يحتفلون اليوم بمناسبتين : عيد اليوريم .. والضمانة بإمكانية الهجرة إلى إسرائيل ، كما أضاف أن الصحافة الرسمية قررت هذه الإجراءات شارحة أن الصدمات بين الشرطة ومجموعات من المهاجرين أوضحت أن بعض اليهود العراقيين لا يريدون العيش في هذا البلد ، وقرارهم يسيء لسمعة العراق لا مكان هنا لمن يريد العيش بيننا ، ليرحلوا » ..

لكن ، رغم التسهيلات المتوافرة في أجواء المعاملات الرسمية من أجل الهجرة ، لم يكن هناك رد فعل قوي ، إذ لم يبد اليهود العراقيون في غالبيتهم أي حماس للانحاق بالدولة الجديدة ، ولم يلجأ إلى سبل الهجرة الشرعية الجديدة إلا بضع مئات من الأشخاص ، ويرى شمس أن الحملة الإعلامية التي انطلقت حول هذه الإجراءات عن حسن المعاملة والتعاون بين المخابرات والشرطة أثارت الخشية من وجود خدعة ما .. وفي كل الأحوال ، عندما رفعت الحواجز الشرعية أمام هجرة المائة ألف يهودي عراقي ، لم يتشكك أي تحرك واسع باتجاه إسرائيل داخل هذه الجالية التي لم تتصور لنفسها مستقبلاً خارج الأرض التي عاشت عليها دائماً ، لا سيما وأن شبانها كان يعتبر نفسه متضامناً - لدرجة تحمل السجن والتعذيب - مع الشبيبة العراقية بكاملها ..

في نفس الفترة ، وفي اليوم الأخير من عيد الفصح اليهودي في عام ١٩٥٠ أُلقيت القنابل المتفجرة على الجالسين في مقهى « دار البدع » . أسرع الذعر الناجم عن الاعتداء بحركة الهجرة ، ولكن لفترة قصيرة - كتب شمش : « أن اليهود كانوا مقتنعين بأن إرهابيين عراقيين حاولوا قتل أشخاص من اليهود ، وفي النهاية ، كان عدد القادمين إلى اللد عن طريق قبرص لا يزيد عن ١٥٠ يهودياً بعد هذه العملية » التي لم تسفر عن ضحايا .. انفجرت إذن قنبلة ثانية في المركز الثقافي الأميركي ، وراجت الإشاعة وسط الجالية اليهودية أن العملية استهدفت اليهود إذ أن الكثيرين منهم كانوا مترددين على مكتبة المركز .. ولكن في هذه المرة أيضاً ، لم يدفع الخوف والذعر إلا عدداً قليلاً جداً من اليهود للتخلي عن مواظبتهم العراقية وعن بلدهم .. وكتب شمش : « العالم ١٩٥٠ كان قد انتهى ، واضطرب شهر آذار / مارس موعد انتهاء التسجيل ، حيث أُلقيت القنبلة الدموية على المعبد اليهودي فعم الذعر هذه المرة الجالية كلها ، ولم يبق مكان للشك في قلوب اليهود هذه المرة ، كانت منظمة مناصرة لليهود تتآثر ضدهم ، ورأوا من الأفضل مغادرة العراق قبل فوات الأوان .. عادت الطواوير لتشكّل من جديد .. ودفع اليهود في آخر ليلة قبل الموعد النهائي للتسجيل مبالغ وصلت إلى ١٥٠ و ٢٠٠ دينار حتى تدون أسماءهم على القائمة قبل منتصف الليل وعندما انتهى كل شيء لم يبق إلا خمسة آلاف يهودي عراقي لم يسجلوا أنفسهم للذهاب إلى إسرائيل ..

بعد بضعة أيام منحت حكومة نوري السعيد العراقية لنفسها تعويضاً لمراعاتها الحملة الصهيونية التي كان قد اتفق عليها سراً ، بإعلانها عن المصادرة الفورية لكافة ممتلكات الذين تنازلوا إرادياً عن الجنسية العراقية بوضع أسمائهم على لوائح الرحيل وشدد شمش على أن الخمسة آلاف يهودي الذين تمسكوا بجنسيتهم استعادوا ممتلكاتهم وأشغالهم بلا قيد ولا شرط ..

إلا أن إصرار القضاء والشرطة العراقية أدى إلى اكتشاف ما كان يمكن الاكتفاء بتدوينه في حساب الأرباح والخسائر في تاريخ الشرق الأوسط الحديث وكأنه حلقة بين حلقات أخرى في ما أسماه جورج مارشيه غداة الغزو الإسرائيلي للبنان في شهر آذار / مارس ١٩٧٨ « دوامة العنف » إذ أنه كان من الممكن أن يتصور المرء أن حرب فلسطين أدت إلى نشاط معاد لليهود مما سبب بدوره رحيل الجالية بكاملها . لكن الحادثين وقعنا أظهرتا أنه في هذا الظرف بالتحديد كان الأمر يتعلق بمؤامرة ارتدت وجه التاريخ قناعاً لها ..

يروى كوخافي شمش : « بعد القنبلة الأولى على ملهى « دار البدع » بدأت تروج الشائعات عن مسؤولية محتملة للاشيوعيين عن الحادث ، في اليوم التالي للانفجار ، عند

الساعة الرابعة من بعد الظهر ، كانت المنشورات توزع على المصلين في المعبد ، وجاء فيها تشديد على الأخطاء المهدقة ونصائح للناس كي تذهب إلى إسرائيل .. ولقد استغرب سلمان اليات ، وهو قاض للمنطقة الجنوبية من بغداد استغرب هذا الأمر ، وأعلن أن القيام بهذه السرعة بتوزيع منشور بعد الانفجار دليل على أنه كاتبه كانوا على علم بالحدث قبل وقوعه .. عندئذ أصدر أوامره للشرطة كي تتحرى بهذا الاتجاه (...) وقد جرى بالفعل توقيف شاين إلا أنه ، ويا للغرابة تدخلت وزارة العدل وتم الإفراج عن الشاين من جراء ذلك .. ثم تم تسليم القضية إلى قاضي المنطقة الشمالية من بغداد ، كمال شاهين ، لم يتابع هذا الأخير التحقيق ، ويضيف شمش أنه كان هناك تواطؤ بين الحكومة والسلطة القضائية وممثلي الصهانية ..

خلال صيف ١٩٥١ تعرف رجل لاجئ من فلسطين ويعمل بائعاً في أحد المحلات التجارية في بغداد ، تعرف على المبعوث الإسرائيلي يهوداً تجار ، وكان قد عرفه في عكا قبل حرب ١٩٤٨ ، وبعد مرور التجارة ثانية على المحل برفقة موردخاي ابن بورات ، رئيس الحركة السرية للمهجر ، وفي ذلك الحين « مراسل » الهاغاتا اتصل الرجل بالشرطة التي أوقفت الرجلين .. والغريب أنه تم الإفراج عن ابن بورات .. بكفالة فتمكن من العودة إلى إسرائيل .. ولكن الشرطة أوقفت شالوم صالح بعد تجار وكان المسئول عن مخاليء الأسلحة للهاغاتا .. الشاب لم يصمد في التحقيق فأرشد رجال الشرطة من معبد إلى معبد ودلهم على مخاليء الأسلحة التي أدخلت سراً بعد الحرب العالمية الثانية .. وقد دفع حياته ثمناً لذلك بعد المحاكمة .. ثم تم توقيف ١٥ شخصاً وصدر حكمان بالإعدام شنقاً على إثنين منهما أما الباقيون فقد حكم عليهم بالسجن لفترات طويلة ..

في عام ١٩٧٧ كتب الصحفي باروخ تادل ، وهو عضو سابق في شتون في الجريدة الإسرائيلية أن موردخاي بن بورات - شخصية سياسية عمالية ورئيس اتحاد اليهود القادمين من البلدان العربية ، وهذه مؤسسة رسمية جداً - كان المنظم المباشر لعمليات التحريض الإرهابية ضد اليهود التي تمت في العراق خلال العامين ١٩٥٠ و ١٩٥١ فرفع عليه بن بورات دعوى للتشهير ، فرد عليه نابل من خلال محكمة عليا ، بلائحة مفصلة فيها ٣٦٥ سؤال حول نشاط بن بورات في بغداد في ذلك الوقت .. بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٧٧ ، جاء في الجريدة نفسها أن بن بورات لم يرد على لائحة أسئلة من ٢٩ صفحة سلمه إياها محامي نابل فلم يبق أمام هذا الأخير إلا أن يطلب من المحكمة إرغامه على ذلك (...) يؤكد نابل في الدفاع أن كل ما قاله هو حقيقي ومن المستحيل اعتبار أن ما قاله قد أساء لسمعة بن بورات لأن تصرفاته كانت قد أثارت سابقاً إشمئزاز العديد من اليهود

(...) ويسأل نابل في لائحته كيف يفسر بن بورات ما فعله المحققون في بغداد إذ أنهم أطلقوا سراحه بعد توقيفه رغم معرفتهم بالمهمة المكلف بها كضابط إسرائيلي لتنظيم الهجرة .. وسأل نابل بن بورات إن كان على علم بما تردد في أوساط الذين نشطوا في سبيل الهجرة على أن موردوك (الاسم الحركي لبن بورانت في العراق) هو الذي ألقى بالقنبلة على معبد شيم توف حيث كان طالبو الهجرة محتشدين مما أسفر عن مقتل ٣ أشخاص وجرح العشرات ..

بدلاً من الرد على هذه اللائحة التي تضمنت أيضاً السؤال عما إذا كان بن بورانت قد استخدم الأجهزة اللاسلكية التابعة للهاغانا في العراق ليرسل إلى إيران تعليماته المتعلقة بمشترياته الخاصة من سجاجيد وأدوات المائدة ، فضل هذا الأخير إلغاء الدعوى بالشهير التي كان قد رفعها ضد نابل كما فضل الاستغناء عن التعويض الذي يطالب به في البداية وقيمتها نصف مليون ليرة ..

إن كنت قد أطلت الحديث حول القضية العراقية التي لم تسفر في النهاية إلا عن مجزرة صغيرة جداً بالمقياس الكمي ، كذلك لأنها تشكل منعطفاً ، يوازي تحول اليشوف إلى دولة ، ليس فقط من ناحية الأساليب المستخدمة بل أيضاً من ناحية الأهداف والرهانات .. ففي السابق كان « للعمليات العقابية » قيمة « النموذج » : وكانت التنظيمات تبناها وتفتخر بها وتستخدمها كوسيلة للضغط والإرهاب إذ أنه رغم طابعها التحريضي ، كانت مثل هذه العمليات تعبر بالدرجة الأولى عن إرادة الثأر والحقد الدموي ضد الضحايا ، لا شيء من هذا القبيل ، وبالعكس ، لقد أصبحت إسرائيل تضرب اليهود العراقيين من أجل إنقاذهم فطبعاً لا يمكنها الاعتراف بمثل هذه الأساليب في الرعاية ، إنها تتخفى خلف قناع العدو وتحتل مكانه ، وتصر على القيام بعمله لو أخفق .. وتقوم تحت اسمه بالدور الذي خصصته له ضمن استراتيجيتها الخاصة .. يجب أن تعمق في التفكير حول هذه « التقاليد » وحول ما يمكن أن تسفر عنه في الظروف الراهنة ..

ويعتبر ولبور ايفلاند الموظف في سفارة الولايات المتحدة في بغداد ، والذي جاء بأقواله مصداقاً لما أعلن في إسرائيل ، أما الاعتداء ضد المركز الثقافي الأمريكي - بعكس الذي حدث ضد المعبد - لم يكن يستهدف يهوداً على وجه الخصوص بل كان موجهاً ضد الحكومة الأمريكية ، واختيار المكان يدعو إلى التأكد من ذلك ، إذا أريد ذلك حسب أقواله تصوير العراقيين كمنافسين للأمريكان وإثارة التناقضات بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة توفيق السويدي ونوري السعيد الموالية للغرب ..

الفصل الخامس

الموساد
واغتيال القيادات الفلسطينية

« اضربوهم ، لا توقفوا عن ضربهم ، عليكم أن تضربوا
- الإرهابين - أينما كانوا . في إسرائيل أو في البلاد العربية أو في
غيرها - وأنا أعرف كيف نفعل ذلك ، فلقد سبق لي أن فعلتها
بيدي ، لا يصح أن تتحركوا بعد أن يقوموا بعملياتهم ، اضربوهم في
كل مكان ، وفي كل يوم ، فإذا كان بعضهم في بلد عربي ، أو في
أوروبا ، فعليكم أن تصلوا إليهم ، لا تفعلوا ذلك في وضح النهار ،
ولكن يجب أن يخفي من نريد اختفائه فجأة ، أو أن نجده ميتاً ، أو
نعثر عليه مطعوناً بسكين في أحد ملاهي أوروبا الليلية » ..

أريل شارون

٢٦ مايو ١٩٧٤

جمعية يديعوت أحرونوت

الموساد واغتيال القيادات الفلسطينية

من أنشط أفرع جهاز المخابرات الإسرائيلي « الموساد » فرع الإغتيالات السياسية ، مهمته الأساسية الحصول على معلومات كاملة عن القيادات الفلسطينية وغيرها من المؤيدين للقضية الفلسطينية ، وعليه أن يستعين بأي جهاز آخر في الحكومة الإسرائيلية لتنفيذ عملياته الغادرة ، وما لاشك فيه أن هذا الرفع قد نجح في اغتيالات الكثير من القيادات الفلسطينية والعربية ، وما زالت قائمة المطلوبين للاغتيال في هذا الجهاز طويلة ، قد تشمل رؤساء دول .. وقد تشمل علماء ، وقد تشمل رجال إعلام .. وهذه نماذج من إرهاب جهاز الموساد ..

غسان كنفاني

من منكم يعرف غسان كنفاني ؟

كان شاباً فلسطينياً رقيقاً ، لا يتعامل إلا بالحوار والقلم ، قد لا يعرف الفرق بين السكين والكلابشنكوف ، في عينيه حزن الدنيا ، فلقد كان ذات صباح صاحب أرض وبيت ووطن ، وأجير وأسرته على الخروج من وطنه ، ووصل عصراً إلى صور .. ومنذ ذلك التاريخ أصبح لاجئاً فلسطينياً في لبنان .. كان غلاماً صغيراً عندما خرج من بافا في مايو ١٩٤٨ ، وعندما وصل إلى صور أصبح مسئولاً عن أسرة بكاملها ، وكافح غسان ، وقرأ ، واشتغل كل الأعمال الدنيا ، ولكنه كان يلتهم الكتب ، حتى صار كاتباً ، وعن من يكتب غسان ؟ .. كان لابد أن يكتب عن قضية وطنه السليب ، وشعبه المظلوم ، وعن ظلم اليهود للشعب الفلسطيني ، فكان أول من قدم للعالم أدب المقاومة في الأرض المحتلة ، وأثارت دراساته في الأرض المحتلة مناقشات في جامعات العالم كله ..

لقد كان لي الشرف أن أكون زميلاً لغسان كنفاني ، حيث عملنا معا ولمدة عام في جريدة الأنوار اللبنانية ، وكان نعم الصديق ..

قال لي ذات مرة .. يبدو أن قدر الإنسان الفلسطيني ألا يرى في الحياة إلا قضية وطنه ، لقد تجمعت في رأسي خيوط رواية عالمية ، لا علاقة لها بالقضية الفلسطينية .. وحاولت أن أسطرها على الورق فلم أتمكن ، فلقد اعتبر قلمي أن الكتابة لغير فلسطين تعتبر خيانة ..

وكان غسان يسارياً ملتزماً ، وأصبح المتحدث الرسمي باسم الجبهة الشعبية ، وقد لعب دوراً كبيراً في محاولة لتوحيد فصائل المقاومة الفلسطينية ، أو على الأقل تقريب وجهات النظر بين هذه الفصائل ، واستطاع بدبلوماسيته أن يمنع أكثر من انفجار بين هذه الفصائل ..

* * *

لأن إسرائيل عاجزة تماماً عن محاصرة كلمات غسان ، ولأن إسرائيل لا تملك الدفاع عن الاتهامات التي كان يوجهها غسان ، ولأن إسرائيل لا تعرف سوى الإرهاب وسيلة للحوار ، فلقد كلفت « الموساد » باغتيال غسان كنفاني في بيروت .

* * *

في صباح ٨ يوليو عام ١٩٧٢ ، خرج غسان مع ابنة شقيقته ليس حسين نجم (١٨ سنة) ، وفي حي الحازمية حيث يقيم في بيروت ، ونزل إلى الجراج في طريقه إلى مكتبه بمجلة الهدف ، وفتح باب السيارة ، ووقفت ليس في انتظار أن يفتح لها الباب الأيمن ، ثم فتح الباب وأدار محرك السيارة ، وفي أقل من ثانية حدث انفجار مروع ، وتحول جسده إلى أشلاء ، وكذلك جسد الصبية ليس ، وتحولت السيارة إلى كتلة من النيران ، وأحدث الانفجار فجوة في الجراج ، وجاء جنود المطافئ وأطفأوا النيران ، وحاولوا تجميع أشلاء الجثتين ..

استشهد غسان كنفاني ، وفقدت القضية واحداً من أكبر المدافعين عنها ..

قال تقرير الخبير العسكري اللبناني الذي عاين الحادث ، ان الانفجار كان من الشدة بحيث حطم السيارة إلى شظايا ، وجثة غسان (٣٦ سنة) قد تناثرت أشلاؤها على مساحة واسعة ، وسقط الجزء الأكبر منها في الحديقة وقد عثر رجال الأمن على إحدى يديه فوق سطح منزل مجاور ..

وقال التقرير : أن الانفجار قد تم بوضع كمية كبيرة من الديناميت تقدر بحوالي خمسة كيلوجرامات ، ووضعت بجانبها قبلة من البلاستيك على ماسورة عادم السيارة بحيث تنفجر السيارة عند إدارة المحرك ..

* * *

لم تنكر إسرائيل مسئوليتها عن اغتيال كنفاني ، قالت الصحف الإسرائيلية : اليس غسان هو الذي أصدر بيان الجبهة الشعبية التي تعلن فيه مسئوليتها عن حادث مطار اللد ؟ وغسان كان متزوجاً من سيدة ديمقراطية تدعى أنا ، وله ولد (فايز) وبنت (ليلي) ..

وغسان فايز كنفاني من مواليد عكا في فلسطين عام ١٩٣٦ ، أجبر على الخروج من فلسطين وهو ابن ١٢ سنة ، ولجأ إلى لبنان عام ١٩٤٨ حيث درس في مدارس صور ، وأنهى دراسته الثانوية وستين جامعتين ، ثم عمل كعامل مطبعة في دمشق ثم مدرساً في مخيمات اللاجئين .. وأقام في بغداد لمدة سنتين ، ثم رحل إلى الكويت ليعمل مدرساً حتى عام ١٩٦٠ ، وعاد إلى بيروت عام ١٩٦٠ وعمل في مجلة الحرية وجريدة الأنوار ثم رأس تحرير صحيفة المحرر وملحقها فلسطين ، كما رأس تحرير ملحق الأنوار ، وكان من أعضاء أسرة دار الصياد ، وفي عام ١٩٦٩ أصدر « الهدف » لسان حال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكان من مناضلي حركة القوميين العرب ، وبعد نشوء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كان غسان من مناضليها ، وكان الناطق الرسمي باسمها ، وعضو المكتب السياسي للجبهة ، وعضو مجلس الإعلام للثورة الفلسطينية .. بالإضافة إلى كونه أديباً من طراز رفيع ، وكان كاتباً سياسياً ورساماً مبدعاً صنع بريشته أكثر من ملصق للجبهة الشعبية ومجلة الهدف .

وقدم للمكتبة العربية عدداً من الأعمال الأدبية القيمة وهي : قصص ومسرحيات : (موت سرير رقم ١٢ - مجموعة قصص) ، (أرض البرتقال الحزين - قصص) ، (رجال في الشمس - رواية) ، (الباب - مسرحية) ، (عالم ليس لنا - مجموعة قصصية) ، (ما تبقى لكم - رواية) ، (عن الرجال والبنادق - قصص) ، (أم سعد - رواية) ، (عائد إلى صيف - رواية) .

● بحوث أدبية : أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ، في الأدب الصهيوني ، الأدب الفلسطيني المقارن ..

● مؤلفات سنوية : المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها ، مجموعة من المقالات تعالج جوانب تاريخ النضال الفلسطيني ..

* * *

● كمال ناصر ..

● كمال عدوان ..

● محمد يوسف النجار ..

كانوا ثلاثة من خيرة قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ..

وكانوا - للأسف - يقيمون في عمارة واحدة في العاصمة اللبنانية ، حتى يسهل حراستهم .

وكانت بيروت في ذلك الوقت مختربة من أي عصابة أو أي جهاز ..

* * *

الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الإثنين ١٠ أبريل عام ١٩٧٣ ، كمال ناصر الكاتب الفلسطيني ، يجلس في شقته وحيداً ، يكتب مقاله الأسبوعي لمجلة فلسطين الثورة ، وربما كان يكتب قصيدة حب ، فلقد كان شاعراً رقيقاً ، ولكن الحقيقة أنه لم يكمل كتابة مقال عن أن القيادات تتغير ، ولكن على الثورة أن تبقى دائماً حتى تحقق أهدافها ..

* * *

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، الزعيم الفلسطيني كمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، وأحد قادتها العسكريين ، والمستول عن قطاع غزة ، كان يجلس مع أسرته في الشقة المجاورة لشفقة الشاعر كمال ناصر بنفس العمارة ..

* * *

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، والمناضل محمد يوسف النجار (أبو يوسف) رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، يجلس مع زوجته يحكي لها اتصالاته الدبلوماسية خلال اليوم ..

* * *

الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الإثنين ١٠ أبريل ، اقتحم مجموعة من الشباب الإسرائيلي المتعطش دوماً إلى الدماء ، العمارة التي يسكن فيها الزعماء الثلاثة ، وكانوا يرتدون ملابس « الكاوبوي » ويحملون المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، وانطلقوا في مجموعات إلى شقق القيادات الفلسطينية الثلاثة ، واقتحموا الأبواب في لحظة واحدة ، وتمكنوا من اغتيال الشاعر كمال ناصر والمناضل كمال عدوان والدبلوماسي محمد يوسف النجار ..

* * *

كان كمال ناصر يكتب في غرفة المائدة .. طرق أحد الأشخاص شقته ، وعندما فتح كمال ناصر الباب عاجله الإسرائيليون بالرصاص فسقط والقلم في يده لقد تعمدوا أن يطلقوا عليه وعلى فمه عشر رصاصات ليسكتوا صوت الناطق الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية .. وكان كمال ناصر يكتب آخر مقال افتتاحي أعده للنشر في مجلة (فلسطين الثورة) الأسبوعية ، وكان مما جاء فيه أن الزعماء يتغيرون والأفراد يرحلون ، لكن القضية تبقى أكبر من الزعماء وأكبر من الأفراد .. كان كمال ناصر وحيداً في شقته بالدور الثالث ، وكان يكتب على مائدة الطعام .. ومن المؤكد أنه دافع عن نفسه إلى النهاية ، إذ عثر في يده على مسدسه خالياً من الرصاص بينما كانت شقته في حالة من الفوضى الشديدة ، وبركة ضخمة من الدماء في غرفة المائدة ، والأوراق مبعثرة ، والجدران مليئة بثقوب الرصاص وسريره محترق والزجاج والطوب متناثر .. وكال ناصر اغتيل وعمره ٤٨ عاماً وهو فلسطيني مسيحي من مواليد بير زيد بقضاء رام الله بالضفة الغربية - دكتور في العلوم السياسية وأديب وشاعر وصدرت له عدة دواوين ..

كان نائباً في البرلمان الأردني حتى عام ١٩٥٧ ، ثم استقال احتجاجاً على مياسة الملك حسين الموالية للغرب ..

كان ياسر عرفات يصفه بضمير الثورة ..

شغل منصب المتحدث الرسمي بلسان منظمة التحرير الفلسطينية منذ عام ١٩٦٨ - عضو باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وهو من العناصر المستقلة ، وشغل منصب رئيس تحرير جريدة الثورة بعد اغتيال غسان كنفاني .

أعزب وله شقيق واحد وثلاث شقيقات ..

* * *

كمال عدوان ..

عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، كان يجلس في غرفة مكتبة عندما فتح الإسرائيليون شقته ، فأسرع إلى مدفعه الرشاش الكلاشينكوف وبدأ يطلق النار على مهاجميه ، فأصاب عدداً منهم حتى سقط قتيلاً أمام زوجته وولديه على باب حجرة نومه .. قالت مها عدوان زوجة كمال عدوان عن كيفية ارتكاب الإسرائيليين لهذه المذبحة البربرية ضد زوجها : انها كانت تتحدث مع زوجها عندما فوجئت بأزيز الرصاص وانفجار القنابل على منزلها ، وكسر باب الشقة واقتحمها الإسرائيليون ، فأخذ عدوان رشاشه وقاوم المهاجمين الذين كانوا في ملابس مدنية وعددهم يتراوح بين خمسة أو ستة أشخاص واستطاع إصابة عدد منهم قبل أن يسقط شهيداً ، وقالت أنها لم تصب هي وولديها بأذى ونجوا بأعجوبة لأن زوجها استطاع مفاجأة المهاجمين وتشتيتهم ..

وقتل عدوان على باب غرفة نومه .. وكانت الدماء تغطي المنزل وسلم العمارة لأسفله .. كما كانت هناك أربع برك من الدماء .. كما لقيت حماة كمال عدوان مصرعها أيضاً ، وقد نسب الإسرائيليون شقة كمال عدوان بعد هجومهم عليها وكمال عدوان استشهد وعمره ٣٧ سنة وهو من مواليد قرية بربرة في غزة .. وهو عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والمستول العسكري والتنظيمي للقطاع الغربي ويشمل الضفة الغربية وقطاع غزة .. وكمال عدوان من أوائل المؤسسين لحركة فتح في الستينات وآخر عمل قام به هو توحيد جميع فصائل حركة المقاومة في قطاع غزة ، وكان من أكثر العناصر الفلسطينية تشدداً داخل دوائر حركة المقاومة .. تخرج في كلية الهندسة جامعة القاهرة ، وكان يعمل مهندساً للبتروك في دولة قطر ومتزوج وله ولد وبنت ..

هاجمت نفس المجموعة من الكوماندوز الإسرائيلية شقة محمد يوسف النجار (أبو يوسف) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس الدائرة السياسية فيها وهي شقة ملاصقة في نفس العمارة التي يسكن فيها كمال ناصر وكمال عدوان ..

وقد حاولت زوجة أبو يوسف حمايته من رصاص الإرهابيين فألقت بنفسها أمامه لتقيه من الرصاص ولكنها استشهدت قبله متأثرة بجراحها .. كما أصيب زيد الحلو أحد الفدائيين الأربعة الذين قتلوا وصفي التل في القاهرة عام ١٩٧١ أثناء الهجوم على شقة أبو يوسف ..

ومحمد أبو يوسف كان الرجل الثاني في منظمة فتح ويقال أنه يرأس جهاز المخابرات التابع لفتح ..

استشهد وعمره ٤٢ سنة .

كان يعمل مديراً للمدرسة الصناعية في قطر حتى بدأ تأسيس منظمة فتح فانضم إليها وكان من أبرز مؤسسيها وتولى الإشراف على الإدارة العسكرية لعدة سنوات قامت خلالها المنظمة بعمليات عسكرية بارزة في الأرض المحتلة ..

اشترك في عدة عمليات عسكرية عام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وبعد كفاءة عسكرية وسياسية نادرة ..

أصيب في يده اليمنى في بداية الثورة وقطعت أصابعه لإصابته في إحدى العمليات العسكرية ..

له ولد واحد - يوسف ١٥ سنة - وقد اختطفته القوات الإسرائيلية وثلاث بنات ، كان يتمتع بشعبية واسعة في أوساط المقاومة وله علاقات طيبة بجميع رؤساء الدول العربية .. وقد تولى مؤخراً مسؤولية جهاز الرصد في حركة فتح .. وقد تخرج في الكلية الإبراهيمية بمدينة القدس ..

أما زوجة الشهيد (الشهيذة أم يوسف) فعمرها ٣٩ سنة وهي أم لستة أولاد هم : حكمت - وختام وأماني ويوسف وباسر وأحمد ..

كانت تقوم بتدريب الفتيات الفلسطينيات على حمل السلاح وقد أشرفت على تخريج عدد كبير منهن في نطاق منظمة فتح ..

* * *

الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة العاشر من أبريل عام ١٩٧٣ ، كانت واحدة من ليالي الإرهاب الإسرائيلي في العاصمة اللبنانية ، واحدة من ليالي الدم التي قد تروي عطش الإرهابيين الإسرائيليين ..

فلقد دخل بيروت فريق من الكوماندوز الإسرائيليين ، بعد تهديد وترتيب من جهاز الموساد الإسرائيلي ، دخلوا بمجازات سفر مزورة ، كانت في انتظارهم أعداد كبيرة من السيارات المدنية ، والتي تحمل أيضاً أرقاماً مزورة ، وكان في انتظارهم أيضاً الأسلحة التي يحتاجون إليها في عرس الدم الإسرائيلي ، وقد وصلت هذه الأسلحة بطريقة ما داخل العاصمة بيروت ، لأن السلاح الذي استخدم في ليلة الدم هو سلاح مصنوع في إسرائيل ..

ولابد أنهم وجدوا مكاناً أقاموا فيه ، ولابد أنهم قاموا بمعاينة الأماكن التي سيقمون فيها أفراح الدم ، وبالتالي لابد أنهم قضوا عدة ليال في بيروت المخترقة .. ثم جاء موعد الصفر .. وقسموا أنفسهم إلى جماعات ، وانطلقت كل جماعة لتنفيذ إحدى العمليات الإرهابية ، فذهبت مجموعة ، استطاعت اغتيال الزعماء الثلاثة ، وبعد تنفيذ عملياتهم ، أحسوا أنهم لم يرتووا بعد بدماء الزعماء ، فقتلوا مضيقة طيران إيطالية ، كانت في طريقها إلى داخل عمارة الزعماء الفلسطينيين ، و ٣ من الحراس الفلسطينيين ، وأحد جنود الشرطة اللبنانية .

واتجهت مجموعة إلى منطقة الأوزاعي حيث مخيم صبرا ولللاجئين الفلسطينيين وقصفوا المخيم بالصواريخ ، وخرج لهم جنود الثورة الفلسطينية ، واشتبكوا معهم ، واستمرت المعركة ٤٥ دقيقة ..

واتجهت مجموعة أخرى إلى مقر قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، واستطاعت نسف المبنى واستشهد في هذا الحادث ٥٠ فلسطينياً ولبنانياً ..

واتجهت مجموعة أخرى إلى جراج سيارات تستخدمه المقاومة الفلسطينية ، وتمكنت من وضع عبوات ناسفة في هذا الجراج ، فنسف الجراج ، واجترقت السيارات ونسفت بجواره ورشة خراطة وبعض المنازل القريبة من الانفجار ، ولقي العشرات مصرعهم ..

* * *

اتجه القتل الإسرائيليون بعد ذلك إلى الشاطئ اللبناني ، وتركوا السيارات التي استخدموها واستقلوا قوارب صغيرة كانت في انتظارهم ، وقامت بتوصيلهم إلى لنشات حربية إسرائيلية كانت أيضاً في انتظارهم ، أخذتهم واتجهت إلى ميناء يافا ..

* * *

استيقظت إسرائيل في الصباح ، وعناوين الصحف تحمل أنباء المذابح التي أقيمت في بيروت بنجاح ، ولقد كان ذلك اليوم هو واحد من أهم أعياد الشعب الإسرائيلي ، لقد شربوا من الدماء في بيروت ..

وقالت جولدا مائير بفخر واعتزاز : أن ما فعله أبناؤنا في بيروت سوف يتكرر في أي دولة عربية تسمح « للإرهابيين » بالعمل أو التدريب على مقاومة دولة إسرائيل ..

وقال موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي : سوف نضربهم في أي مكان ..
وقال دافيد اليعازر - رئيس الأركان : أن بيروت سوف تشهد غارات مماثلة في المستقبل ..

* * *

وائل عادل زعير

في مساء يوم ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ ، أطلق مجهولون الرصاص في شوارع روما على المناضيل الفلسطينية وائل عادل زعير ، ونقل إلى المستشفى حيث توفي قبل وصوله ، وكان وائل قد ساهم بشكل فعال في إقامة اللجنة الإيطالية للتضامن مع الشعب الفلسطيني ، وذلك من خلال عمله كممثل لمنظمة فتح في العاصمة الإيطالية ، وأقام علاقات قوية بالقوى السياسية الإيطالية ..

وبدأت الشرطة الإيطالية في البحث عن القنلة ، فلم تجد ، وقالت محكمة روما في حكمها في قضية مقتل وائل زعير في نوفمبر من نفس العام ، أنها لا تستطيع أن تدين فرداً ، لأن المسألة مسألة سياسية تخرج عن نطاق اختصاصاتنا ، هذه الجريمة عمل سياسي مدبر ، وقد تمت بمنهج نظامي ، وبفاعلية عسكرية على يد منظمة تابعة لدولة إسرائيل^(١) كما أشارت المحكمة أيضاً إلى مصرع ستة من الفلسطينيين من أكتوبر ١٩٧٢ إلى يوليو ١٩٧٣ ، وقالت المحكمة « سبق تلك الجرائم تصريحات رسمية وغير رسمية لزعماء إسرائيليين أعلنوا فيها حرباً بلا هوادة ضد المقاومة الفلسطينية وممثليها في أي مكان ، وفي أي وقت ، وبأية وسيلة » ..

وأضافت المحكمة « أن تلك الجرائم يجب إسنادها إلى أجهزة المخابرات الإسرائيلية وبخاصة إلى فرع من تلك الأجهزة تم إعداده وتعبئته ، وله اتصالات على مستوى عالمي .. بعد مقتل وائل زعير ، قدم استجواب في الكنيست إلى جولدا مائير رئيسة الوزراء في ذلك الوقت عن حادث روما ، وذلك في جلسة ١٨ أكتوبر ١٩٧٢ ، فقالت جولدا مائير ، كل ما أعرفه هو أن الرصاصات التي صوبت بلغت هدفها ..

(١) روجيه جارودي - ملف إسرائيل .

ماتير هي رئيسة الوزراء عن حزب العمل « حماهم إسرائيل ، وبعدها قال الإرهابي الإسرائيلي الشهير أريل شارون في حديث أدلى به يوم ٢٦ مايو عام ١٩٧٤ قال فيه : اضربوهم ، لا تتوقفوا عن ضربهم ، عليكم أن تضربوا الإرهابيين أينما كانوا ، في إسرائيل أو في البلاد العربية ، أو في غيرها ، وأنا أعرف كيف نفعل ذلك ، فلقد سبق لي أن فعلتها بيدي ، لا يصح أن تتحركوا بعد أن يقوموا بعملياتهم ، اضربوهم في كل يوم ، وفي كل مكان ، فإذا كان بعضهم في بلد عربي ، أو في أوروبا ، فعليكم أن تصلوا إليهم ، لا تفعلوا ذلك في وضوح النهار ولكن يجب أن يختفي من نريد اختفائه فجأة ، أو أن نجده ميتاً ، أو نعثر عليه مطعوناً بسكين في أحد ملاهي أوروبا الليلية ..

وائل زعيتر .. أحد شهداء فلسطين ، ضحية من ضحايا الإرهاب الإسرائيلي ، وائل زعيتر ولد في مدينة نابلس عام ١٩٣٤ ، أنهى دراسته الثانوية في فلسطين ، ثم سافر إلى دمشق والتحق بالجامعة السورية ، وحصل على ليسانس في اللغة العربية ، ثم حصل على دبلوم في الآثار ، وسافر إلى العراق .. والتحق بكلية الهندسة ، وأثناء دراسته التحق بالحزب الشيوعي العراقي ، ثم ترك العراق وكلية الهندسة وعمل بالكويت ، ثم سافر إلى ألمانيا الغربية واستقر به الأمر في إيطاليا ، ممثلاً لحركة فتح في العاصمة الإيطالية ، إلى أن قامت أجهزة الموساد الإسرائيلية باغتياله في يوم ١٦ يوليو ١٩٧٢ ..

اغتيال عالم جليل

في الولايات المتحدة الأمريكية ، ارتكبت جريمة اغتيال من نوع اغتيالات الموساد ، وكانت الضحية شخصية فلسطينية ، الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي والسيدة قرينته ، لقد دخل الإرهابيون منزله وذبحوه ، ثم ذبحوا زوجته ، وكان الفاروقي مرشحاً من قبل الولايات المتحدة ليكون أحد أعضاء وفد المفاوضات الفلسطينية لمؤتمر جنيف للسلام ، وله نشاطات إسلامية ومياسية في كل أنحاء العالم ، وبالرغم من أنه لم يتم القبض على الذين قتلوا الفاروقي وزوجته إلا أن أصابع الاتهام تشير إلى الموساد لقد اغتالوه وزوجته في ٢٧ مايو في منزلهما بإحدى ضواحي مدينة فلاديفيا بالولايات المتحدة الأمريكية ..

وفي ٢٠ سبتمبر عام ١٩٨٦ ، أقيم في واشنطن احتفال لإحياء ذكرى الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي والدكتورة لويس لمياء الفاروقي والإشادة بمنجزاتهما ، وقد حضر حفل التأبين أكثر من ٢٠٠ من العلماء وأساتذة الجامعات وخبراء الشؤون السياسية والعربية ..

وقد تم ترتيب هذا الحدث لإتاحة الفرصة لزملاء وأصدقاء الراحلين لأن يتأملوا في ما أسهما به في مختلف الميادين قبل أن تغتالهما العصابات الآتمة ..

وقد قام بتنظيم حفل التأبين مجلس رؤساء المنظمات العربية الأمريكية بالاشتراك مع الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية والمجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة .

ولم يلق القبض بعد على أي شخص مشتبه به في ارتكاب جريمة القتل . ولكن التحقيق الذي تجريه مصلحة شرطة مدينة شلتهام بمساعدة من مكتب التحقيق الفيدرالي مازال مستمراً . وقد أعلنت الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية في نفس يوم التأبين مكافأة قدرها ٥٠.٠٠٠ دولار لمن يقدم معلومات تفضي إلى اعتقال مرتكبي هذه الجريمة ..

وأثناء الاعتداء على الفاروقي وعقيلته أصيبت إحدى بناتهما وهي أنمار الزين بست طعنات ولكنها بقيت على قيد الحياة . ولقد كانت بنت أخرى لهما هي تيمما واين الدكتوراة الزين في منزل الفاروقي أثناء الاعتداء ولكنهما نجيا لأنهما اختبأ في إحدى خزائن الثياب ..

ويعتبر الدكتور إسماعيل الفاروقي أحد الثقافة البارزين في تعاليم الدين الإسلامي وكان يدرس مادة الدين في جامعة تمبل في فيلاديفيا . فضلاً عن ذلك كان الفاروقي شخصية مسلمة بارزة في المجتمع الأمريكي وله ٢٥ كتاباً عن الديانات الثلاث الإسلام واليهودية والمسيحية ..

وقد درس الفاروقي ، المولود في فلسطين ، في الجامعة الأمريكية في بيروت وبعد ذلك قدم إلى الولايات المتحدة حيث درس في جامعة انديانا التي نال منها درجة الدكتوراة في الفلسفة .

وكانت الدكتوراة فاروقي المتخصصة في الموسيقى والفنون الإسلامية تدرس أيضاً في جامعة تمبل . وقد تلقت الدكتوراة فاروقي المولودة في ولاية مونتانا ، .. ودرست الموسيقى في جامعة انديانا . وحصلت على درجة الدكتوراة مع تخصص في مكانة الموسيقى في الحضارة الإسلامية من جامعة سيزاكوز في نيويورك . وقد اعتنقت الدين الإسلامي .

وقال رئيس الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية قطب المهدي أنه يأمل أن يبقى الفاروقيان « حافزين لنا جميعاً » في حياتهما كما في موتهما .

وكان الدكتور عبد الله عمر ناصيف وهو أمين عام رابطة العالم الإسلامي أحد الخطباء الرئيسيين في هذا الحفل . وقال في كلمته أنه قدم من أبعد مكان ، من العربية السعودية إلى الولايات المتحدة ، خصيصاً لحضور هذا الحفل الخاص بإحياء ذكرى الفاروقي وعقيلته .

وقال مخاطباً الحشد أن الدكتور الفاروقي قد أعطى مثلاً على الكيفية التي يجب أن يحيا فيها الإنسان على وجه البسيطة .

وألقى القس جيسي جاكسون ، وهو المؤسس والمدير التنفيذي لائتلاف رينبو - وهو اتحاد أمريكي - وأحد الخطباء الرئيسيين كلمة قال فيها : « أن لدى أمريكا حقاً لأن تعلم ، ويجب أن تعلم ، أن رجلاً عظيماً كهذا وامرأة عظيمة كهذه قد عاشا بيننا » . وأضاف أن العالمين الراحلين سيشتهران ببنور السلام والعدالة والتفاهم التي غرساها وكذلك « بالثأر التي أعطتها » . وزاد أن اغتيالهما « قد قلص من حجمنا نحن جميعاً » . وتحدث خطباء آخرون عن حياة الفقيدين بصفتها مسطّين وعالمين وأستاذين . وقالت الدكتورة إيفون يريك حداد ، وهي أستاذة مادة التاريخ الإسلامي في جامعة مساتشوستس في أمهرست أن الراحلين « أثرا على حياة كثيرين » عبر العالم . وأضافت أن المواد التي قاما بتدريسها وحياتها كانت « مكملة بعضها لبعض بصورة مشتركة ولذا فإننا نحزن لفقداهما » .

وقال الدكتور مارشون سيفت ، المدير المشارك لمكتب العلاقات الإسلامية المسيحية التابع للمجلس الوطني لكنائس المسيح ، أن الدكتور إسماعيل الفاروقي « كان أحد المتحدثين المسلمين الأكثر فعالية في نقل حقيقة المبادئ الإسلامية إلى جمهور مستمعيه الأمريكيين » ..

وامتدح رئيس كلية الدين في جامعة تمبل ، الدكتور رايت ، الدكتور الفاروقي بسبب « تمسكه العميق بالإسلام » مشيراً إلى أنه كان بمثابة راع لتلاميذه الكثيرين .

وقال الدكتور جون أسبوسيتو أن الفاروقي « مثل كل أستاذ شهير ، أوجد حجة لموضوعه » وقد امتدح أسبوسيتو ، بصفته أستاذ الدراسات الدينية في كلية « هولي كروس » بمدينة وورشستر ، بولاية مساتشوستس ، الفاروقي لأنه اجتذب ذلك العدد الكبير جداً من المسلمين إلى جامعة تمبل ولأنه شيد قاعدة متينة لتعليم المسلمين وغير المسلمين على حد سواء .

ووصف الرئيس الباكستاني ضياء الحق في رسالة تليت أثناء الحفل ، جريمة القتل الوحشي بأنها عمل شنيع ومصدر حزن عميق لشعب باكستان ولي شخصياً وكان الفاروقي قد زار باكستان في عدة مناسبات وألقى محاضرات كما قدم المساعدة في إنشاء الجامعة الدولية الإسلامية في إسلام اباد ..

ووجه ولي العهد الأردني أيضاً بريقة بالثلكس قرأت أثناء الحفل وصف فيها الفاروقي بأنه كان « عالم فكر مسلم مثالي » .

وقد حضر الحفل أيضاً سفراء كل من الأردن ، الجمهورية العربية اليمنية ، عمان ، السودان ، ومدير سفارة ماليزيا فضلاً عن ممثلين لسفارات كل من باكستان ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، لبنان ، الجزائر ، وسوريا . وحضر الحفل أيضاً ثلاثة من أعضاء مجلس النواب الأمريكي من ولايات أليوني ، بنسلفانيا ، ونيو مكسيكو .

وقد أسست الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية الصندوق التذكاري للفاروقي ليقوم الصندوق بتقديم منح دراسية ومنح زمالة لمواصلة « التراث الذي خلفه الفاروقيان ويستخدم جزء من أموال الصندوق في توسيع انتشار الكتب التي ألفها الدكتور الفاروقي وعقيلته .

نبيل فليفل عالم الذرة

اسمه نبيل أحمد فليفل ، وروايته خطيرة ، لقد استطاع دراسة الطبيعة النووية ، وأصبح عالماً في الذرة ، وهو في الثلاثين من عمره ، وكان ينوي استمرار دراسة مادة القرن الواحد والعشرين ، وقد استطاع القيام بهذه الدراسة وحده كان يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب في الذرة ، رغم أنه من محبم المصري بالأرض المحتلة .. ثم رفض أكثر من مرة ترك الديار ، وفجأة اختفى ، كالأمثاذ المصري الذي اختفى في براغ ، ثم عثر على جثته في ٢٨ أبريل عام ١٩٨٤ في منطقة بيت عور ..

* * *

مصرع مندر أبو غزالة

قائد البحرية الفلسطينية

اغتالت الموساد يوم الثلاثاء ٢١ أكتوبر عام ١٩٨٦ العميد مندر أبو غزالة .. قائد القوات البحرية الفلسطينية ، وقد كان القائد الفلسطيني قد وصل إلى أثينا واستأجر سيارة ، وأثناء قيادته لها ، انفجرت السيارة في اليوم الثاني لوصوله .. وقد لقي مصرعه في الحال ، واحترقت السيارة تماماً .. ولم تتمكن السلطات اليونانية من القبض على الجناة .. كما لم تقم الدنيا ولم تقعد لممارسة الإرهاب الإسرائيلي في اليونان ..

وكان العميد أبو غزالة أحد قادة منظمة فتح ، وهو المسئول عن نقل الأسلحة من أسواق السلاح إلى قواعد الفدائيين ، كما أنه المسئول عن العمليات الفدائية التي تم بحراً ..

ولقد جاء اغتياله عشية تولي اسحق شامير رئاسة الوزارة الإسرائيلية التبادلية ، وأعلن بنفسه أن عصره سوف يشهد عمليات « انتقامية » ضد منظمة التحرير الفلسطينية ، وصرح بهذا بعد أن أصبح جهاز الموساد الإرهابي تابعاً له مباشرة .. ويبدو أنه بدأ عصره بسلسلة هجمات غير عادية على الجنوب اللبناني ، واغتيال أحد قادة المقاومة الفلسطينية أثناء تواجده في أوروبا .. لقد جاءت وكالات الأنباء .. والكتاب مائل للطبع بتصريح خطير لأريل شارون الإرهابي ، ووزير التجارة في حكومة شامير ، يقول التقرير^(١) :

- دعا أرييل شارون وزير التجارة الإسرائيلي إلى مطاردة زعماء المنظمات الفدائية الفلسطينية في كل مكان في العالم وقتلهم ومهاجمة مقارهم في الوقت نفسه ذكرت تقارير صحفية أن منظمة التحرير الفلسطينية تلقت معلومات من جهة أوربية صديقة عن مخطط شامل كعبته حكومة اسحق شامير الجديدة في إسرائيل لتصفية القيادات السياسية والإعلامية للمنظمة « خاصة في الدول الأوربية ..

وأكد شارون وهو من وزراء كتلة الليكود التي يتزعمها شامير وكان وزيراً سابقاً للدفاع في إسرائيل أنه يجب عدم السماح باستمرار الوضع الحالي الذي قال ان زعماء المنظمات الإرهابية ، يتمتعون فيه بحرية الحركة والتنقل ..

وقدم في حديث إلى التلفزيون الإسرائيلي ما يشبه برنامجاً للرد على النشاط الفلسطيني المسلح وقال ان على إسرائيل أن تهاجم الزعماء الفلسطينيين في كل مكان في العالم وأن

(١) الأهرام - العدد ٣٦٤٧٩ بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٨٦ ..

تهاجم أماكن وجودهم ومقار المنظمات التي يتبعونها سواء كانت هذه المنظمات تعمل بمفردها أو بمساعدة دول أخرى ..

وطالب وزير التجارة الإسرائيلي بأن يكون الرد الفوري على الهجوم الذي وقع بالقنابل ضد أفراد لواء المشاة الإسرائيلي « جيفاتي » في القدس في الأسبوع الماضي هو إخلاء المنازل الفلسطينية في المنطقة القريبة من مكان الهجوم من سكانها ، ووضع جنود الجيش الإسرائيلي في هذه المنازل ، وأشار إلى أنه فعل ذلك في قطاع غزة عندما كان قائداً للجبهة الجنوبية ، وقال إن مجلس الوزراء الإسرائيلي لم يبحث بعد كيفية الرد على هذا الهجوم على المعبد اليهودي في اسطنبول يوم ٦ سبتمبر الماضي ..

وأضاف أن هذا لم يكن ليحدث لو أن أيأ من دافيد بن جوريون أو مناحم بيجين كان على رأس الحكومة ، وقال إنه في عهد بن جوريون وبيجين كان مجلس الوزراء يجتمع على الفور ويتخذ قرارات عملية بالانتقام ..

ودعا شارون إلى استمرار الغارات الجوية على الفلسطينيين في لبنان بالرغم من إسقاط طائرة إسرائيلية في إحدى هذه الغارات في أواخر الأسبوع الماضي ..

وكانت بعض التقارير الصحفية في الخليج قد أشارت إلى أن جبهة أوربية صديقة لمنظمة التحرير الفلسطينية أبلغتها بوجود مخطط إسرائيلي لتصفية القيادات الفلسطينية يبدأ بضرب مكاتب المنظمة في بعض الدول الأوربية ثم اختيار بعض الشخصيات الفلسطينية البارزة ، وأخيراً مهاجمة المكاتب والقواعد الفلسطينية في الدول العربية ..

وأضافت هذه التقارير أن المعلومات الواردة إلى المنظمة تشير إلى أن العميد منذر أبو غزالة قائد البحرية الفلسطينية الذي قتل منذ ثلاثة أيام في أثينا كان ضمن قائمة الشخصيات الفلسطينية المستهدفة ..

من ناحية أخرى أفادت معلومات الجهة الأوربية المشار إليها إلى أن مخابرات إحدى الدول الغربية قد تأكدت من وجود بصمات للموساد (المخابرات الإسرائيلية) في بعض العمليات المسلحة التي تعرضت لها مصالح غربية في الآونة الأخيرة ..

* * *

ومما لا شك فيه أن أوروبا والعالم العربي ، سوف يشهدان سلسلة من العمليات الإرهابية التي تقوم بها « دولة إسرائيل » ، في ظل حكومة شامير ، فإن شامير هو عضو

الكينيت الذي رفض التصويت على اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية ، وهو لا يؤمن
بالسلام ، ولكن يؤمن بالحل الإرهابي ..

● من هو شامير ؟

ولد شامير في روزانا ببولندا عام ١٩١٥ ، أنهى دراسته الثانوية في مدرسة يهودية في
بيالستيك وانضم إلى حركة « بيتار » الصهيونية حيث تزامن مع مناحيم بيغن ، وقدم
أوراقه للالتحاق بجامعة وارسو ، غير أنه تركها وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥ ..
وبذلك ترك أهله ودراسه ، بحثاً عن « أرض الميعاد » كما يدعي .

انضم إلى المنظمة المعروفة باسم « اتسل » عام ١٩٣٦ ، حيث قام بعمليات عسكرية
إرهابية ضد المواطنين العرب ، كان أبرزها زرع قنبلة في سوق يافا الرئيسية ، أودت بحياة
العشرات من المواطنين العرب ، وتسميت في جرح الكثيرين .. متزوج وله ثلاثة أبناء ..

عام ١٩٣٧ انضم شامير إلى منظمة الأرغون التي كان يرأسها مناحيم بيغن .. وهذه
المنظمة ليست بحاجة إلى تفصيل أعمالها ، إذ يكفي أن يكون بيغن - شامير على رأسها ..

وفي عام ١٩٤٠ انتقل شامير إلى صفوف منظمة « ليحي » (المقاتلين من أجل حرية
إسرائيل) ، غير أنه اعتقل في العام التالي بعد أن أصبح نائباً لرئيس المنظمة ..

اشتهر شامير بنشاطه السري في تدبير الاغتيالات والتصفيات الجسدية لكل من
يتصدى لمخططات الصهيونية الداعية إلى الاستيلاء على الأرض العربية وإقامة
المستوطنات .. ولأثر نشاطاته الإرهابية الواسعة تمكنت القوات البريطانية من إلقاء
القبض عليه بعد عملية تفتيش في تل أبيب ، حيث عثر عليه متخفياً في زي رجل دين .

أرسل إلى معتقل في رفح ثم نقل إلى أريتريا ، لكن شامير استطاع الهرب ليعود إلى
فلسطين عام ١٩٤٨ فور إقامة إسرائيل ..

بعد إعلان قيام إسرائيل ، اختفى شامير مدة سبع سنوات يعتقد أنه كان يؤهل نفسه
خلالها للعمل في جهاز المخابرات الإسرائيلي « الموساد » .

عمل شامير في الموساد حتى عام ١٩٧٠ ، حيث تخرج على يديه جيل صهيوني من
الجواسيس ، شكل شبكة تخريب في الدول العربية ، من بينهم إيلي كوهين الذي قبض على
شبكة في سوريا عام ١٩٦٥ .. وقد أخذ شامير من فرنسا مقراً لقيادة نشاطاته التجسسية

والتخريبية ، وقد تدرج في أجهزة المخابرات الإسرائيلية حتى أصبح أحد كبار المسؤولين فيها ..

في عام ١٩٧٣ عاد شامير إلى إسرائيل وأنشأ مصنعاً للمطاط ، حتى كانت الانتخابات ، التي تلت حرب رمضان ، حيث فاز بعضوية الكنيست الثامنة كأحد مرشحي حزب حيروت الذي كان يتزعمه بيغن ، ومارس نشاطه في لجنتي الخارجية والأمن ، وتسلم رئاسة الكنيست التاسعة بعد انتخابات ١٩٧٧ ، ثم وزارة الخارجية ..

يعود الفضل في ظهور شامير على الساحة السياسية الإسرائيلية إلى مناحيم بيغن .. حيث توافقت أراؤهما الإرهابية ، بل إن شامير اعتبر في مرحلة ما ، منظمة الأرغون « معتدلة » ، فتركها لينتقل إلى صفوف « شتيرن » ..

تولى شامير رئاسة الوزارة الإسرائيلية ، عقب استقالة بيغن للمرة الأولى واختط لوزارته سلوكاً أكثر إزاء المواضيع السياسية المطروحة ، حيث اعتمد في منهجه على ثلاث قواعد أساسية لا للدولة الفلسطينية ، لا لحدود ٦٧ ، لا لعودة القدس إلى العرب .. ولعل أكثر ما يلفت النظر في السلوك العام لشامير ، وصفه لمنظمة التحرير الفلسطينية « بالإرهابية » في حين لم يحفل سجل أي شخص ، بمثل ما حفل به سجله من إرهاب ، فقد كان يعتبر أستاذه الإرهابي العريق بيغن ، معتدلاً لذلك فهو غير معنى بالاعتراف بالمنظمة حتى لو اعترفت لإسرائيل بحق الوجود ..

لقد وصل به التطرف حداً ، اعتبر من خلاله أن إسرائيل قدمت تنازلات كبيرة ، حيث أعادت سبيلاً إلى مصر وهي تشكل ٩٠٪ من الأراضي المحتلة ، أما الضفة الغربية فهي جزء من إسرائيل ، وليس هناك حكم ذاتي للفلسطينيين ..

* * *

لقد قدمت فيما سبق نماذج لكيفية إرهاب دولة إسرائيل ضد القيادات الفلسطينية ، حتى هؤلاء الذين لم يحملوا السلاح ، وبهذه الأساليب الإرهابية .. قامت « الموساد » باغتيال الفلسطينيين ، سواء في الأرض المحتلة ، أو في الخارج أو في الدول العربية ، ولقد شهدت مدن وعواصم العالم المجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ، وإليك قائمة بأبرز الشهداء :

- الدكتور محمود الحمشري : مثقف ودبلوماسي فلسطيني.. وكان الناطق باسم القضية الفلسطينية في أوروبا .. وكان ممثل منظمة التحرير في باريس يوم ١٩٧٢/١٢/٨ انفجر جهاز التليفون في بيته نتيجة قنبلة موقوتة وأصيب بجروح خطيرة .. نقل على أثرها إلى المستشفى .. وفي ١٩٧٣/١/٩ فارق الحياة ..
- حسين علي أحمد أبو الخير : كان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص اغتيل في قبرص في ١٩٧٣/١/٢٥ .
- باسل رؤوف القيسي : أحد الأعضاء القيادين في الجبهة الشعبية وأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت اغتيل في باريس يوم ١٩٧٣/٤/٦ ..
- حسين عباد الشير : واحد من رجال الارتباط الرئيسيين بين منظمة التحرير الفلسطينية ودوائر الاستخبارات الروسية ، اغتيل في قبرص ..
- محمود أبو دية : مواطن جزائري وكان ممثلاً ومدير مسرح في باريس وكان أحد قادة منظمة التحرير ، اغتيل في باريس يوم ١٩٧٣/٦/٢٨ ..
- أحمد بوشيكى : مواطن مغربي ، اغتيل بالخطأ اعتقاداً بأنه علي حسن سلامة في أوصلو / النرويج يوم ١٩٧٣/٧/٢١ ..
- أبو حسام : احد قادة فتح اغتيل في بيروت عام ١٩٧٤ ..
- محمود ولد صالح : أحد القادة الفلسطينيين ، اغتيل في باريس في ١٩٧٧/٢/٢ ..
- سعيد حماني : ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن ، اغتيل في لندن في ١٩٧٨/٢/٤ ..
- عز الدين القلق : مناضل فلسطيني ولد في صيف ١٩٣٦ ، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في دمشق ثم التحق بالجامعة حيث حصل على البكالوريوس في الرياضيات والفيزياء والكيمياء .. ممثل منظمة التحرير في فرنسا ، اغتيل في مكتبه في باريس يوم ١٩٧٨/٨/٣ ..
- علي ناصر ياسين : ممثل منظمة التحرير في الكويت ، اغتيل في الكويت عام ١٩٧٩ ..
- إبراهيم عبد العزيز : أحد قادة فتح ، اغتيل في قبرص في ١٩٧٩/١٢/١٥ ..

- **سمير طوقان** : عضو مكتب المنظمة في قبرص ، اغتيل في قبرص في ١٩٧٩/١٢/٢٥ ..
- **علي حسن سلامة** : كان عضو المجلس الثوري لحركة فتح وقائد قوات ال ١٧ ورئيس جهاز أمن الرئاسة ، اغتيل بمحادث تفجير سيارته في بيروت عام ١٩٧٩ ..
- **يوسف مبارك** : صاحب المكتبة العربية في باريس ، اغتيل في ١٩٨٠/٢/١٨ ..
- **ماجد أبو شرار** : مسئول الإعلام الموحد وعضو اللجنة المركزية في حركة فتح ، اغتيل في روما في ١٩٨١/١٠/٩ ..
- **نعيم خضر** : ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بلجيكا ، اغتيل في بروكسل عام ١٩٨١ ..
- **الدكتور عبد الوهاب الكيالي** : عضو اللجنة التنفيذية وعضو المجلس الوطني ، اغتيل في بيروت في ١٩٨١/١٢/٧ ..
- **محمد طه** : ضابط أمن في حركة فتح ، اغتيل في ألمانيا عام ١٩٨٢ ..
- **نزيه مطر** : اغتيل مع كمال أبو دلو في ١٩٨٢/٦/١٧ ..
- **فضل سعد عتاي** : نائب مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في باريس ، اغتيل في باريس في ١٩٨٢/٧/٢٣ ..
- **سعد صايل** : قائد غرفة العمليات في المنظمة وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، اغتيل في البقاع اللبناني في ١٩٨٢/٩/٢٧ ..
- **عصام السرطاوي** : عضو المجلس الوطني الفلسطيني وأحد الزعماء البارزين ، ممثل منظمة التحرير في الاشتراكية الدولية واغتيل في لشبونة عاصمة البرتغال في ١٩٨٣/٤/١٠ ..
- **مأمون مريش الصغير** : من مواليد الخليل عام ١٩٤٤ متزوج وله ٥ أبناء أحد مساعدي أبو جهاد كان مكلفاً بتسيير قسم العمليات الخارجية في فتح ، اغتيل في أثينا في ١٩٨٣/٨/٢٠ ..
- **جميل عبد القادر عبد الرب** : مدير شركة الملاحة البحرية في اليونان ، اغتيل في أثينا في ١٩٨٣/١٢/٢٢ ..

• حنا مقبل : الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين العرب ، اغتيل في العاصمة القبرصية في ١٣/٥/١٩٨٤ ..

والقائمة لدى الموساد لم تنته بعد ..

وأوروبا كل يوم تشهد شهيداً فلسطينياً أو عربياً كل يوم برصاص الموساد ولا تحرك ساكناً ..

ولكن .. أوروبا تهتز فقط .. إذا سقط أوربي قتيلاً ، ولكن أن يسقط على أرضها عشرات العرب .. فهذا لا يهم ..

* * *

الشهيد مصطفى حافظ

كانوا يطلقون عليه في قطاع غزة « أمل العودة » ، فبواسطته أمسك الفلسطيني البندقية ، والتي حرمت عليه منذ هزيمة ١٩٤٨ أو ما تسمى بالنكبة العربية الكبرى في فلسطين ، حتى عام ١٩٥٤ ، عندما قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تشكيل كتائب الفدائيين الفلسطينيين ، أو ما أطلق عليه فيما بعد ، جيش تحرير فلسطين ، وأسند جمال عبد الناصر قيادة هذه الكتائب إلى القائمقام مصطفى حافظ ، واستطاع المصري أن يشكل أخطر سرايا استطلاع عرفتها الجيوش العربية ، ومن خلال هذه السرايا دخل إسرائيل عشرات المرات ، وحصل على معلومات هامة عن مواقع القوات الإسرائيلية ، بحيث أصبحت إسرائيل كتاباً مفتوحاً أمام القيادة العسكرية المصرية .. ثم بدأ مرحلة جديدة - اعتبرتها إسرائيل أخطر المراحل - فقد بدأ تدريب شباب القطاع على القتال ، وتحول سكان المخيمات من لاجئين إلى مقاتلين ..

وإسرائيل تضع في إستراتيجيتها - منذ أقيمت حتى اليوم - ضرورة تجريد الفلسطيني من أي سلاح ، لأنه صاحب أرض وحق ، ولن يسترد الأرض والحق إلا بقوة السلاح ، من هنا ، كان حرص إسرائيل على ضرب أي محاولة لتسليح الفلسطيني في أي مكان وزمان ..

ثم انتقل الرجال - بقيادة مصطفى حافظ - إلى مرحلة أخطر ، وهي الإغارة على المواقع الإسرائيلية في أعماق إسرائيل ، فقامت إسرائيل بالرد على هذه الغارات بعملية

إرهابية ضخمة في سوق غزة ، ولكن تلك العملية لم توقف « جيش صلاح حافظ » كما كان يطلق عليه الإسرائيليون ، من الاستمرار في تدريب الفلسطينيين ، وقيادة مرابا الاستطلاع ، والإغارة على المواقع الإسرائيلية في أعماق إسرائيل .. حاولت إسرائيل قتلة .. ففشلت .

أرسلت من قبله ، وعرض عليه أي مبلغ من المال يطلبه من إسرائيل ويوضع باسمه في أحد بنوك سويسرا .. وطبعاً رفض ..

ثم أعلنت في إذاعتها تهديداً خطيراً إلى مصطفى حافظ بأن رجال الموساد سيختطفون أبناءه ، إن لم يتوقف عن تدريب الفلسطينيين ، وقيادتهم في غارات على المواقع العسكرية الإسرائيلية .. ولكنه ابتسم ..

ثم بدأت هجائه ، وتصفه بكلمات اسطواناتها المشروخة بأنه نازي ، .. وأعلنت عن مكافأة قدرها ٢٠ ألف جنيه لمن يأتي بمصطفى حافظ حياً أو ميتاً .. وجاء في تقرير إسرائيلي رسمي أن خطورة الموقف في النقب ، بسبب الضابط الفدائي ، مصطفى حافظ ، وأن المصلحة تقتضي بالتخلص من نشاطه الزائد في أقرب وقت ممكن^(١) ..

وفي ١٣ يوليو عام ١٩٥٦ ، دخل مصطفى حافظ مكتبه ، فوجد طرداً عليه ، وما أن حاول فتحه ، حتى انفجر وأحدث دويماً ، وتناثر جسد البطل مصطفى حافظ ، واشتعلت النيران في المبنى بمخان يونس .. ومات مصطفى حافظ شهيداً بمتفجرات الإرهاب الإسرائيلي ، وودع الفلسطينيون في قطاع غزة أول مؤسس لجيش فلسطين الذي انطلق فيما بعد ..

والشهيد مصطفى حافظ من مواليد ٢٥ ديسمبر عام ١٩٢٠ من قرية كفر أبو النجا التابعة لبندر طنطا ، وتخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠ ، وعين ضابطاً بسلاح الفرسان ، وحصل الشهيد على ميداليات ونياشين شجاعته ..

وشهيد في عمان

وفي ١٤ يوليو عام ١٩٥٧ ، أي بعد مصرع مصطفى حافظ في قطاع غزة بيوم واحد ، كان الملاحق العسكري المصري في عمان القائم مقام صلاح مصطفى في طريقه

(١) مجلة آخر ساعة المصرية في ١٥/٨/١٩٥٦ ..

ليركب سيارته ، تقدم منه فراش السفارة ، وقدم له طرداً على شكل كتاب ضخيم مرسل من لجنة الهدنة ، فتح الطرد ، فحدث الانفجار المروع .. وسقط صلاح بين الحياة والموت ، تجمع المارة ، ونقلوا صلاح إلى المستشفى ، وأجري له أطباء الأردن عمليات جراحية في بطنه ، واستطاع أن يسترد وعيه ، وقال ان الطرد كان يحتوي على كتاب بعنوان « القائد الرجل » من تأليف أحد القادة النازيين ، وقال انه تمكن من قراءة غلاف الكتاب قبل أن يخرج الكتاب كاملاً من الطرد ، وما أن أخرج الكتاب حتى حدث الانفجار ، وفقد الوعي تماماً ، وقال ان الحادث من تدبير الموساد الإسرائيلي ، وهو جزء من سلسلة بدأت بها إسرائيل حملة إرهابية ضد القادة العسكريين المصريين ، وكانت البداية في قطاع غزة مع مصطفى حافظ قائد « جيش تحرير فلسطين » ..

وبعد أيام قليلة في المستشفى الأردني ، فارق صلاح مصطفى الحياة ..

بدأت سلطات الأردن التحقيق في الحادث ، وقد تبين أن الطرد أرسل من القدس إلى عمان ، وأن مجهولاً سلمه إلى بريد القدس ليرسله إلى عمان ..

وقد استشهد صلاح مصطفى وعمره ٣٦ عاماً ، وكان أحد ثلاثة أسس الحرس الوطني عام ١٩٥٣ وفي عام ١٩٥٥ عين ملحقاً عسكرياً في عمان ، حيث استشهد على أيدي رجال الموساد الإسرائيليين ..

وقال عبد الناصر

في ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ ، تحدث جمال عبد الناصر عن قضيتين أساسيتين ، الأولى كانت تأميم شركة قناة السويس ، والثانية استشهاد البطلين مصطفى حافظ ، وصلاح مصطفى ، قال عبد الناصر :

« وفي الأيام الماضية استشهد إثنان من أخلص أبناء مصر لمصر .. إثنان أنكرا ذاتهما ، وكانا يكافحان ويجاهدان في سبيل تحقيق المبادئ والمثل العليا من أجلكم أنتم .. ومن أجل أبناء مصر .. ومن أجل العرب .. كان كل واحد منهما يؤمن بعرويته وبقوميته ، وكان يعتبر أنه يستطيع أن يقدم روحه فداء لهذا الإيمان .. وفداء لهذه المبادئ ..

نعم من أيام قليلة .. استشهد إثنان من أعز الناس علينا .. بل ومن أحب الناس إلينا .. استشهد مصطفى حافظ .. قائد جيش فلسطين وهو يؤدي واجبه من أجلكم من أجل العروبة .. ومن أجل القومية العربية .. مصطفى حافظ الذي آلى على نفسه أن يدرّب جيش فلسطين .. أن يبعث جيش فلسطين .. فهل سها عنه أعوان الاستعمار ؟

هل سبّت عنه إسرائيل صنّعة الاستعمار ؟

لا ..

ذلك لأنهم كانوا يجدون في مصطفى حافظ تهديداً مباشراً لهم ، وتهديداً مباشراً لأطماعهم .. وتهديداً مباشراً ضد المؤامرات التي كانوا يحكيونها ضدكم .. وضد قوميتكم .. وضد عروبتكم .. وضد العالم العربي ..

لذا ، اغتيل مصطفى حافظ بأخس أنواع الاغتيال والخداع ..

اغتيل مصطفى حافظ ، ولكن هل يعتقدون أنهم بقتل مصطفى حافظ لن يجدوا من يحل محل مصطفى حافظ ؟ » ..

مازال عبد الناصر يتحدث عن البطلين .. :

وأما صلاح الدين مصطفى أخوكم ، وأخي الذكيّ قام معي في ٢٣ يوليو ليجاهد من أجل مصر ، وهو يؤمن بالمبادئ والمثل العليا ، لقد قام صلاح مصطفى وهو يؤمن بكم وبحريّتكم وبعزّتكم وكرامتكم في ٢٣ يوليو ، وأثر أن يكافح ويجاهد في صمت وسكون ، ولم يكن أحد منكم يعرف من هو صلاح مصطفى ، وماذا عمل صلاح مصطفى ، وما هو دور صلاح مصطفى في ثورة ٢٣ يوليو ؟ أثر مصطفى أن يكافح ويجاهد وهو يؤمن بأنه قد وهب نفسه وروحه ودمه في سبيل مبادئكم ومثلكم . وكان يؤمن بأنه قد وهب نفسه وروحه ودمه في سبيل القومية العربية .. وفي سبيل الوطن العربي .. فإذا كانوا قد اغتالوا صلاح مصطفى وقتلوه بأبشع أساليب الغدر والخيانة ، وإذا كانوا قد اغتالوا صلاح مصطفى ومصطفى حافظ بهذه الوسائل التي كانوا يستعملونها قبل سنة ١٩٤٨ فأنا أشعر بأن العصابات التي تحولت إلى دولة تتحول اليوم مرة أخرى إلى عصابات ..

مازال جمال عبد الناصر يتحدث عن الشهيد في خطاب التأميم :

- « إننا سنقاتل لآخر قطرة من دماننا ، إننا سنقاتل لآخر قطرة من دماننا كصلاح مصطفى ومصطفى حافظ .. والحقيقة أن الصهيونية عندما أقدمت على عملها هذا ، عندما غلفت بالسلفان كتاب « القائد والرجل » ووضعت بداخله قبلة وأرسلته إلى مصطفى حافظ في غزة يوم ١٣ يوليو ١٩٥٦ ..

وصنعت مثله وأرسلته إلى صلاح مصطفى في عمان يوم ١٤ يوليو ١٩٥٦ كما كانت تلقي مزيداً من الضوء على معرّكتنا المقدّمة مع الصهيونية والاستعمار » ..

انتهى رثاء عبد الناصر لمصطفى حافظ وصلاح مصطفى .. بعد أن ودعت مصر اثنين
من أعز أبنائها ..

* * *

الفصل السادس

الموساد والإرهاب
ضد الدول العريضة

« يجب أن تسفر هذه العمليات عن اعتقالات بين المصريين ،
ومظاهرات واجراءات ثارية ، واخفاء المصدر الاسرائيلي تماما ،
ويجب تحويل الانتظار إلى أى عامل ممكن آخر ، فالهدف هو منع أية
مساعدة اقتصادية وعسكرية غربية لمصر . »

بينامين جفلى

رئيس المخابرات الاسرائيلية
« الموساد »

الموساد والإرهاب ضد الدول العربية

فضيحة لافون في مصر

مصر عام ١٩٥٤ ..

الثورة تستعد لمفاوضات جلاء البريطانيين عن قناة السويس ، وذلك بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قامت واشنطن بحمايتها في البداية ، وأقنعت الملك فاروق - بعد أيام من الثورة - بالخروج من مصر والتنازل لابنه فؤاد عن العرش .. ثم استعدت الثورة لإجراء مفاوضات مع إسرائيل ، لإقرار السلام في الشرق الأوسط وأن ناصر أبلغ الأمريكيين « القيام باتصالات مباشرة وسرية بين الإسرائيليين والمصريين »^(١) .. وكانت كل هذه التحركات المصرية لا تخدم أهداف إسرائيل في هذه المرحلة .. فماذا فعلت ؟ طلبت من « الموساد » التحرك بسرعة في مصر لمنع أو تأخير الاتفاقية البريطانية المصرية الخاصة بالجلاء ، وتحطيم ثقة الغرب بالحكم القائم في مصر ، جمع المعلومات عن إمكانية التحرك الإسرائيلي في منطقة القناة ، تدمير العلاقات الأمريكية المصرية ..

والأهداف هي : المراكز الثقافية والإعلامية البريطانية والأمريكية ، .. المؤسسات الاقتصادية ، سيارات الدبلوماسيين ، أي هدف يمكن أن يؤدي إلى تدهور علاقات مصر بالولايات المتحدة والدول الغربية ..

وشرح بينامين جفلي^(٢) لقائد الشبكة الإسرائيلية قبل سفره إلى القاهرة « يجب أن تسفر هذه العمليات عن اعتقالات بين المصريين ، ومظاهرات وإجراءات تأرية ، وإخفاء المصدر الإسرائيلي تماماً ، ويجب تحويل الأنظار إلى أي عامل ممكن آخر فالهدف هو منع أية مساعدة اقتصادية وعسكرية غربية لمصر ، ويترك للعاملين على الساحة حرية اختيار

(١) اعلان هاليفي « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة » ..

(٢) رئيس المخابرات الإسرائيلية .

الأهداف المحددة للتخريب ، وعلى هؤلاء أن يقدروا النتائج المحتملة لكل عملية من ناحية وقعها على الرأي العام وقدرتها على إثارة الفوضى العامة^(١) ..

* * *

الإسكندرية في ٢ يوليو ١٩٥٤ ..

النيران تشتعل في مناطق بالإسكندرية ، أول هذه المناطق ، اشتعال النيران في صندوق لمصلحة البريد بالإسكندرية ، ثم ضبط بصندوق آخر مواد حارقة ..

في مساء ١٤ يوليو عام ١٩٥٤ ، اشتعلت النيران في بعض الكتب بمكتبة القنصلية الأمريكية بالإسكندرية ..

في نفس الوقت ، اشتعلت النيران في المكتبة الأمريكية بالقاهرة ، وكان ذلك في المساء ..

وتأكد لدى السلطات المصرية ، وتحريات المخابرات الأمريكية ، أن الشيوعيين المصريين هم الذين يقفون وراء هذا التخريب ، ولم يمنحهم إمكانية موت مواطنين مصريين أو أمريكيين ..

* * *

القدر وحده هو الذي أنقذ مصر - في ذلك الوقت - من أكبر موجة للإرهاب تشهدها البلاد ..

كان جندي الحراسة ، المكلف بحراسة دار سينما « ريو » بالإسكندرية وإذا به يشاهد النيران وقد اشتعلت في أحد المتتردين علي السينما ، وذهب إليه لإنقاذه ، ولكن الشاب حاول الهرب رغم النيران المشتعلة في ملابسه ، فأمسك به ، وتمكن مع الناس من إطفاء هذا الحريق ، وقاده إلى قسم الشرطة .. وفي قسم الشرطة اتضحت الصورة ، الشاب إسرائيلي ويحمل كمية من المواد الحارقة ، وكان يهدف إحراق سينما ريو بمن فيها ، وهو يدعى فيليب هيرمان واسمه الحركي في شبكة التخريب الإسرائيلية التي أرسلها الموساد إلى مصر « ناتاسو » ، ثم قامت الشرطة بتفتيش مسكنه ، فوجدت كميات هائلة من المواد

(١) يوميات موسى شاريت - تل أبيب - ١٩٧٩ .. ؟

الكيميائية المختلفة التي تستخدم في صناعة المواد الحارقة ، وعثر في الشقة على أغلفة نظارات معبأة بمواد قابلة للاشتعال .. وكان هذا العميل مكلفاً بإحراق دور العرض في مصر .. وكان هدفه الثاني هو داري سينما راديو وريفولي بالقاهرة ..

* * *

قامت المخابرات المصرية بسرعة بالتحرك ، واستطاعت معرفة أفراد الشبكة ولم يتمكن أحد الأفراد من الهروب ، وتم القبض على ١٣ عميلاً إسرائيلياً ، أرادوا حرق القاهرة ، والإسكندرية ، وإثارة الذعر بين الناس ، وقتل الأبرياء من رواد دور العرض السينائية ..

* * *

عرفت هذه القضية في مصر باسم « قضية الصهيونية الكبرى » وعرفت في إسرائيل باسم « فضيحة لافون » نسبة إلى بنحاس لافون وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت^(١) ، وقد قام القضاء المصري بمحاكمة أعضاء شبكة التخريب الإسرائيلية وأصدرت المحكمة العسكرية العليا حكماً في هذه القضية كالآتي :

• الإعدام شنقاً على :

- ١ - موسى يتو مرزوق .
- ٢ - صمويل عازار .

• المؤبد لكل من :

- ١ - فيكتور ليفي .
- ٢ - فيليب ناتاشون .

• الأشغال الشاقة ١٥ سنة :

فيكتور بن نينو الشهير باسم مارسيل .

(١) زعيم صهيوني (عمالي) ، ولد في بولندا واستوطن فلسطين عام ١٩٣٩ وساهم في الاستيطان اليهودي وانتخب عام ١٩٤٩ سكرتيراً للهستدروت ، ثم وزيراً بلا وزارة ثم وزيراً للدفاع عام ١٩٥٤ واستقال عام ١٩٥٥ بسبب فضيحة التخريب في مصر ..

• الأشغال الشاقة ٧ سنوات :

- ١ - روبير داسا .
- ٢ - مايريوسف زعفراني .
- ٣ - ماير ليوحاس .

• وصدر الحكم بالبراءة لكل من :

- ١ - ايلي يعقوب نعيم .
- ٢ - سيزار كوهين .

وكانت هيئة المحكمة مشكلة من الأميرالاي محمد فؤاد الدجوي وعضوية القائمقام عبد المنعم الشاذلي وقائد الجناح سمير موسى والبكباشي عبد المحسن حافظ والبكباشي حسين ثابت والبكباشي إبراهيم سامي ومثل الإدعاء فخري عبد النبي الوكيل الأول لنياية أمن الدولة العليا^(١) .

* * *

أثناء حرب عام ١٩٦٧ ، تمكنت إسرائيل من قتل وأسر عدد من ضباط الجيش المصري ، وقد طلبت إسرائيل من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الإفراج عن جواسيس إسرائيل في سجون مصر مقابل الإفراج عن الأسرى المصريين ، واستغرق الأمر ثمانية أشهر من المفاوضات الدقيقة مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، الذي يتصف بالحياسية المفرطة ، فلم يكن المصريون يريدون أن يفقدوا ماء وجههم بأي حال من الأحوال ، وينبغي أن يتم كل شيء في أقصى درجات السرية ، كما أنه لا ينبغي أن تظهر الصحف الإسرائيلية أية أنباء عن إطلاق سراح الجواسيس الإسرائيليين وأخيراً ينبغي أن يرسل خطاب إلى عبد الناصر ، يشكر له دوافعه الإنسانية ، ويعلن أن الإسرائيليين موافقون على الاكتفاء بوعده بالوفاء بما يترتب عليه الصفقة ، وقد أطلق الإسرائيليون سراح العديد من ضباط مصر ، رمزاً على حسن النية قبل أن يطلق سراح جاسوس إسرائيلي واحد .. وقد وفى ناصر بوعده ، وفي ٤ فبراير عام ١٩٦٨ تم إطلاق هؤلاء الجواسيس^(٢) ..

(١) تم تنفيذ إعدام الجاسوسين بعد عدة أسابيع من صدور الحكم وذلك في ٣١ يناير ١٩٥٥ في سجن الاستئناف .

(٢) الموساد - جهاز مخابرات إسرائيل السري .

اغتيال العلماء العرب لاستمرار التخلف

حكمت إسرائيل على الدول العربية - منذ قيام هذه الدولة - بضرورة استمرار التخلف . ولذلك فإن هناك صراعاً خفياً بين إسرائيل من جانب وبين كافة الدول العربية في محاولة إسرائيلية ذؤوبة لمنع التقدم العلمي العربي ، وتلجأ إسرائيل إلى كل الوسائل لتحقيق تفوق علمي دائم على الدول العربية ، أو بمعنى آخر لتحقيق استمرار دائم للتخلف العربي . ولابد أن تلجأ في بعض المراحل لسلح الإرهاب كسلح إسرائيل هام لتحقيق هذا الهدف . ولذلك فإنها أقامت فرعاً هاماً وخطيراً في الموساد « جهاز المخابرات الإسرائيلي » لتحقيق هذا الهدف بكافة الوسائل وتصدر الموساد تعليماتها إلى كافة الأجهزة الأخرى - كوزارة الخارجية وجيش الدفاع الإسرائيلي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة - لتحقيق هذا الهدف .

وإسرائيل تعتبر أن مجموعة التناقضات الجذرية بينها وبين الدول العربية لن تحقق السلام ، وإذا حققته فهو سلام مشوب بالخطر والحذر وآيل للسقوط في أية لحظة ، وأن حسم الصراع لابد أن ينتهي في ساحة القتال ، وبما أن إسرائيل - حتى لو هاجر إليها يهود العالم - فسيبقى التفوق البشري لصالح العرب . لذلك كان اهتمامها من اليوم الأول لقيامها بالتفوق الكيفي في ميدان القتال ، وذلك عن طريق إعداد المقاتل الذي يستوعب السلح استيعاباً كبيراً ، ويستخدمه بكفاءة عالية جداً ، وإعداد السلح المتفوق على السلح العربي ، بالإضافة إلى عوامل أخرى ، كالقتال خارج حدود إسرائيل وامتلاك زمام المبادرة ..

من هنا .. كان اهتمام إسرائيل بالسلح النووي ، فأقامت - مع قيام الدولة - مؤسسة الطاقة النووية ، وأرسلت عشرات الشبان إلى المؤسسات العلمية النووية في الخارج . والغريب هنا أن الدراسات النووية في إسرائيل - في معظمها - تابعة للجيش الإسرائيلي ..

ولذلك .. فإن إسرائيل ، هي الدولة الأولى في المنطقة ، التي تملك ، أو امتلكت « القنبلة الذرية »^(١) وفي سبيل ذلك استطاعت أجهزة الموساد أن تقوم بعمليات

(١) أشارت مجلة تايم الأمريكية عام ١٩٨٣ أن إسرائيل تملك ١٣ قنبلة من طراز القنابل التي ألفت على هروشيما ونجازاكي في اليابان - في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) ..

ناجحة ، حتى تتمكن إسرائيل من امتلاك القنابل الذرية ، ففي عام ١٩٧٥ أعلن جيمي كوزار المحلل في لجنة المراقبة الذرية الأمريكية أن الكميات التي سرقت من اليورانيوم من مصنع صغير في ولاية بنسلفانيا قد هربت خارج البلاد .. وهنا اضطرت المخابرات الأمريكية أن تعلن أن هذه الكميات قد تم « إرسالها إلى إسرائيل ، التي قامت بتحويلها إلى سلاح نووي ، وكانت لجنة الطاقة النووية الأمريكية قد اكتشفت سرقة ١٨٠ كيلوجراماً من اليورانيوم من أحد المفاعلات أو المصانع الصغيرة بالقرب من بنسلفانيا ، وأن هذه الكمية قد اختفت على مدى ثمان سنوات .. وأن جزءاً من هذه الكمية هو من النوع « المركز الجاهز للاستخدام مباشرة في الأسلحة النووية » .. وتكفي لصناعة أربع قنابل ذرية زنة ٢٠ ألف طن ..

كما استطاعت إسرائيل سرقة سفينة (شير سبورج) عام ١٩٦٨ ، وكانت السفينة محملة بـ ٢٠٠ طن يورانيوم خام لحساب المؤسسة الأوروبية للطاقة النووية ، وكان بطل هذه المغامرة عضو الموساد (دان أرييل) ..

* * *

إسرائيل تملك سلاحاً نووياً .

وإسرائيل ترفض أن يملك العرب مثل هذا السلاح ، أو حتى يكون لديهم القدرة ، سواء من ناحية الخبراء أو المعدات ، على امتلاك هذا السلاح .. والأمثلة على ذلك كثيرة .. وخطيرة .. وبعضها ينشر لأول مرة في هذه الأوراق ، وهذه القضية في حاجة إلى موقف عربي ..

أمام زيادة استهلاك الكهرباء في مصر ، بشكل لم يسبق له مثيل ، وأمام ارتفاع أسعار البترول ، قدم المهندس ماهر أباطة وزير الكهرباء المصري إلى الرئيس الراحل محمد أنور السادات مشروع إقامة محطات نووية لإنتاج الكهرباء لسد حاجة المصريين من الكهرباء ، وقام السادات بنفسه بمحاولة شراء محطات من أمريكا أو فرنسا أو كندا .. وليس سراً أن إسرائيل قد تدخلت بشكل سافر لعدم إتمام أي صفقة من هذه الصفقات - رغم إتفاقية السلام - وطلبت الولايات المتحدة من مصر أن توقع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية ، ثم اتفاقية تفتيش على المفاعلات النووية من لجنة الطاقة الذرية الدولية ، وكانت إسرائيل - وما زالت - تحشى خلق جيل مصري يصبح لديه خبرة في العلوم الذرية ، لأن ذلك قد يؤدي إلى إمكانية صناعة أسلحة نووية ، وليس هذا فحسب بل أن وجود جيل

من علماء الذرة في مصر قد يساهم في حل المشاكل الاقتصادية المصرية عن طريق العلم ، وهذا ما ترفضه إسرائيل .

مثلاً .. عندما كان المهندس ماهر أباطة وزير الكهرباء والطاقة يجري مفاوضات مع كندا للتعاون النووي بين البلدين في الاستخدامات السلمية للطاقة النووية حيث ان كندا من الدول المتقدمة في هذا المجال ، قامت إسرائيل والقوى المؤيدة لها وأثارت القوى المعارضة للحكومة الكندية في ذلك الوقت ومعها الصحافة وأجهزة الإذاعة والتلفزيون ولقد أدت هذه الحملة الإعلامية إلى خروج مظاهرات في الشوارع لمنع إتمام توقيع الاتفاق بين مصر وكندا للتعاون في هذا المجال ولكن مصر أدارت هذه المعركة بذكاء .. ويمكن المهندس ماهر أباطة من توقيع اتفاقية التعاون النووي ..

وحينما كانت تجري المباحثات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية عامى ٧٦ ، ١٩٧٧ كان هناك إصرار على فرض شروط أمريكا على مصر فيما يتعلق بحق أمريكا بالتفتيش على المنشآت النووية ، وكان ذلك بدافع من حلفاء إسرائيل واللوون الإسرائيل وجاعات الضغط ورفضت مصر هذه المحاولات ..

ولكن بعد أن وقعت مصر اتفاقية التعاون النووي مع فرنسا عام ١٩٨١ . وأكدت مصر بذلك استقلاليتها وكسرت الاحتكار في هذا المجال دفع النجاح المصرى مع فرنسا الولايات المتحدة إلى توقيع اتفاقية مماثلة ولم تظهر التشدد السابق ولم تفرض شروطها في التفتيش واكتفت بدور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في التفتيش .

لقد سعت إسرائيل بمناوراتها المختلفة والمتعددة بعد أن قامت مصر بتوقيع هذه الاتفاقيات مع كبرى دول العالم وبعد أن فشلت في منع توقيع هذه الاتفاقيات ، سعت إلى البنك الدولي للاستيراد والتصدير الأمريكي لتؤكد له مع أعوانها في هذا البنك على ضرورة منع مصر من الدخول في هذا المجال فقام البنك وأصدر بياناً يعلن فيه أن مصر مفلسة واقتصادها منهلولا تستطيع كدولة أن تقوم بإنشاء وتشغيل مشروع عملاق مثل إقامة المحطة النووية في مصر متعلقة بأن الاقتصاد المصري منهار وأن مصر ليس لديها الكوادر الفنية والعلمية القادرة على إنشاء وتشغيل هذا المشروع العملاق .. كما أوعز هذا البنك الذي يمتلئ بعملاء إسرائيل إلى باقي البنوك العالمية بعدم المغامرة والقويل لهذا المشروع ولكن الإدارة السياسية المصرية لعبت دوراً بارزاً وهاماً أكدت من خلاله أن اقتصادها ليس منهراً ولكن يعانى من بعض المشاكل شأنه في ذلك شأن أى اقتصاد في أى بلد آخر ..

واستطاعت مصر إقناع الإدارة الأمريكية بسلامة موقف مصر وانتهت الانتخابات

الأمريكية وأعلن نفس البنك أنه سيمول مشروع المحطة النووية الأولى في مصر ولكن الإعلان جاء بعد انتخاب (ريجان الثاني) رئيساً للمرة الثانية ولم يتم قبل الانتخاب لأن ذلك كان يمكن أن يطيح بريجان ..

وإسرائيل .. حتى الآن ترفض أن تدخل مصر عصر الذرة .. وترصد تحركات مصر في هذا المجال ..

* * *

ومن هذا المنطلق أيضاً قاومت إسرائيل إقامة العراق لمفاعل نووي بكل الوسائل البربرية فعندما حاولت العراق إقامة مفاعل نووي ، واستطاعت من خلال علاقاتها القوية بفرنسا أن تبدأ في إقامة مفاعل نووي ببحيرة فرنسية وعربية ، رغم اعتراض إسرائيل في السر والعلانية ، بل واعتراض الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن فرنسا رفضت الضغوط الإسرائيلية ، واستمرت في إقامة المفاعل الذري العراقي قرب بغداد ..

وأعلنت إسرائيل أنها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام إقامة المفاعل الذري العراقي . وأعلن سكوموجازيت رئيس الموساد أن إسرائيل تواجه خطراً حقيقياً من العراق ، وإذا استمرت العراق في بناء المفاعل النووي ، فإن إسرائيل لن تستطيع منع العراق في المستقبل من الحصول على السلاح النووي . ثم أضاف ولكن يجب معالجة الأمر بصورة مبكرة ..

وفي مايو عام ١٩٧٩ ، خرجت الطائرات الإسرائيلية من مطارات عسكرية في صحراء النقب ، بناء على معلومات وتعليمات من الموساد ، وضربت بالقنابل المفاعلين النوويين العراقيين قرب بغداد ، ودمرت المفاعلين تدميراً كاملاً ، وراح ضحية هذه الغارة الوحشية ، بعض الخبراء الفرنسيين ، وعدد من الخبراء العرب وعشرات من العمال ..

* * *

استراحت إسرائيل بعد أن دمرت مشروع المفاعلين النوويين العراقيين .. ولكن هل توقفت ؟

* * *

كان وراء محاولة إنجياز المفاعلين النوويين العراقيين عالم ذرة مصري اسمه الدكتور يحيى المشد . وهو عالم بما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ولد في قرى مصر في ١١ يناير عام ١٩٣٢ ، والتحق بقسم الكهرباء بكلية الهندسة - جامعة الإسكندرية وحصل على

بكالوريوس الهندسة وعمره ٢١ عاماً وبتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، وسافر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٦ للحصول على الماجستير والدكتوراة ، وتخصص هناك في تصميم المفاعلات النووية ، وبعد حصوله على الدكتوراة عرف بأنه واحد من عباقرة العالم في إقامة المفاعلات النووية ، وعاد إلى مصر يحاضر في جامعاتها ، وأثناء ذلك عرضت عليه الولايات المتحدة الأمريكية عروضاً لا حصر لها للعمل هناك ، وكان يرفض .. وكان يقول أن أمتي في حاجة إلى خبرتي ، كما كان أحياناً يقول انني لا أريد مصر سميرة موسى ..

في هذا الوقت وجه الرئيس العراقي صدام حسين نداء إلى العلماء العرب في كافة أنحاء العالم بالحضور إلى العراق ، وأرسلت له العراق مبعوثاً خاصاً إلى القاهرة للتفاوض معه للعمل في العراق في نفس التخصص الذي عاشه وأصبح واحداً من عباقرته ، وسعد الدكتور يحيى المشد بهذا العرض ، وسافر إلى العراق واشترك - كعضو أساسي - في المباحثات العراقية الفرنسية لإنشاء المفاعل النووي .. كما اشترك في وضع رسومات المفاعل العراقي ..

وبعد تدميره .. وفي السادس من يونيو عام ١٩٨٠ ، سافر إلى فرنسا ، ونزل في فندق الميريديان بباريس في الدور التاسع ، وكانت مهمته في باريس ، حسب أقوال الصحف الفرنسية « إجراء مباحثات مع مجلس إدارة لجنة الطاقة الذرية في فرنسا حول تزويد العراق بمفاعلات ذرية تسمح للعراق بإنتاج القنبلة الذرية في نهاية عام ١٩٨٢ ، وكان النقاش بين اللجنة والدكتور المشد - ممثل العراق - حول نوعية المفاعلات التي تشتريها العراق من فرنسا ، والوقود النووي الذي يعتبر حجر الزاوية في صناعة القنبلة الذرية » ..

وأضافت الصحف الفرنسية : « وكان العراق قد تعاقد مع فرنسا منذ عام على شراء مفاعل نووي من طراز « رابسودي » مع بعض التعديلات ، وهو مفاعل قدرته ٧٠ ميغاوات يستعمل وقوداً باليورانيوم ٢٣٥ بنسبة ٩٠٪ ، وهذا النوع من اليورانيوم لو أمكن فصله ، يمكن استخدامه في صنع الأسلحة النووية وأن العراق قد تعاقدت مع البرازيل على تزويد كميات من الوقود النووي والمحطات النووية » ..

استمرت المباحثات بين العالم المصري .. ومجلس إدارة لجنة الطاقة الذرية في فرنسا ثمانية أيام ..

وفي صباح يوم ١٤ يونيو عام ١٩٨٠ ، فتحت عاملة تنظيف الغرف بفندق ميريديان باريس غرفة الدكتور المشد ، فوجدت جثته بين سريري الغرفة ، وهو غارق في الدماء

المتجمدة ، أبلغت إدارة الفندق ، حيث قامت بإبلاغ الشرطة .. وقد تكتمت الشرطة
غير مصرع العالم المصري أربعة أيام . وبعد عدة أيام أعلنت الشرطة الفرنسية نبأ مصرع
العالم المصري ، في بيان قصير ، وقالت ان فتاة تدعى « ماري كلود ماجال » وهي بائعة
هوى فرنسية لها علاقة بالحادث .. وقالت الشرطة : انه بتشرح جثة المشد وجد كسر في
الجمجمة نتج عن ضربة بألة حادة ..

وبدأت الأمور تتضح يوماً بعد الآخر ..

بائعة الهوى نفت أن لها أي علاقة بالدكتور المشد ، وكان هدف إقحام اسم « بائعة
هوى » في جريمة اغتيال عالم ذرة مصري إنما لتشويه سمعة العالم المصري ، وإبعاد شبح
الجريمة عن « الموساد » وعندما نفت ذلك ، قام رجال « الموساد » باغتيالها هي الأخرى
ووجدت قتيلة في أحد شوارع باريس بعد إعلان نفيها بساعات ..

ولكن .. أعلن علماء الذرة في فرنسا أن المخابرات الإسرائيلية .. « الموساد » قد
عبرت لهم عن مخاوفها أكثر من مرة من حصول العراق على مفاعل نووي ، وقالوا :
ولكن في الفترة الأخيرة جاهرت المخابرات الإسرائيلية بغزوها من حدوث ذلك ..

وأيضاً .. أجمع المراقبون في فرنسا أن الجريمة سياسية وقام بها إرهابيون أجانب لإبعاد
العالم المصري عن العمل الذي يقوم به لحساب الأبحاث النووية العراقية .

وأيضاً .. لم تملك إسرائيل كتمان فرحتها .. فأعلنت أن مصرع العالم المصري الدكتور
المشد سوف يؤدي إلى تأخير البرنامج النووي العراقي لمدة عامين ..

ولكن مجلة « ناو » أو « الآن » البريطانية الأسبوعية ، قد كشفت الحقيقة كاملة نقلاً
عن دوائر المخابرات الفرنسية ، قالت ، أن عملية إغتيال عالم الذرة المصري الدكتور يحيى
المشد هي من فعل جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) . وهو استكمال لحادث قيام
إسرائيل بتدمير المفاعلين النوويين في بغداد .. وقالت المجلة ان إسرائيل تبذل كل جهدها
للحيلولة دون امتلاك أي دولة من دول الشرق الأوسط للأسلحة النووية ، وهي ترتكب
في سبيل تحقيق ذلك الكثير من الجرائم والأعمال المنافية للقانون الدولي ، وهذا يؤكد أن
مقتل الدكتور يحيى المشد في باريس تم بواسطة جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد)
ولصالح إسرائيل لإيقاف المحاولات العربية للحصول على تكنولوجيا الذرة ..

هل كان مصرع الدكتور يحيى المشد هو أول جريمة في قتل العلماء العرب ؟
لا .. هناك جرائم أخرى ..

* * *

صحف تشيكوسلوفاكيا تتحدث عن عبقرية عالم ذرة مصري حصل منذ أيام على
الدكتوراة من جامعة براغ في الذرة ، وهو الدكتور نبيل القليني ، وبقي العالم المصري
- الذي أوفدته كلية العلوم جامعة القاهرة - بعض الوقت في العاصمة التشيكية لإجراء
مزيد من الأبحاث ..

وفي ٢٧ يناير عام ١٩٧٥ ، دق جرس التليفون في الشقة التي يقيم فيها في براغ ،
وبعد المكالمات خرج العالم المصري ، ولم يعد حتى الآن ..

أرسلت كلية العلوم إلى الجامعة التشيكوسلوفاكية عن مصرع العالم المصري الذي كان
حديث الصحافة التشيكية والأوساط العلمية العالمية ، فلم ترد ..

وبعد عدة رسائل .. ذكرت السلطات التشيكية أن العالم المصري خرج من بيته بعد
مكالمة تليفونية ولم يعد إلى بيته .

وأسدل الستار عن تلك الجريمة الكاملة ..

ولكن .. كل الدلائل تشير إلى أن الموساد وراء هذه الجريمة .. ولكن السلطات المصرية
- للأسف الشديد - لم تحقق هذه الجريمة الذي ذهب ضحيتها عالما المصري الدكتور نبيل
القليني ..

* * *

مسلسل اغتيال علماء الذرة بدأ مبكراً .

المسلسل لم توقفه اتفاقية السلام مع مصر .. فالمشد قد قتل بعد هذه الاتفاقية .

نعم .. المسلسل بدأ مبكراً .

والجريمة الآن مع أول عالمة ذرة مصرية .. اسمها الدكتورة سميرة موسى .

سميرة موسى التحقت بكلية الطب عام ١٩٣٥ ، ولكنها لم تجد بهذه الكلية ما تريده ،
فتركتها والتحقّت بكلية العلوم قسم رياضة بحتة ، ثم اتجهت إلى دراسة الطبيعة ،

وحصلت على البكالوريوس عام ١٩٣٩ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .. قالوا عنها ما كانت تمل التواجد في المعمل بالساعات ، وحاولت الالتحاق كعميد بالجامعة ، ولكن الجامعة رفضت تعيين فتاة ببيئة تدريس الجامعة ، وأثيرت ضجة كبرى اجتمع على أثرها مجلس الوزراء المصري ، وعدل اللائحة ، وأصبحت سميرة أول معيدة في الجامعة ، لم تتمكن من السفر إلى إنجلترا للحصول على الماجستير بسبب الحرب العالمية الثانية ، فحصلت عليها من كلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٤٢ عن « التوصل الحراري خلال الغازات وتكييف الهواء » ..

وبعد انتهاء الحرب سافرت إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراة ، وفي إنجلترا اختارت الذرة موضوعاً لرسالتها « امتصاص المواد المشعة » .. وأبدت نبوغاً مبكراً هائلاً في هذا الفرع ، وكان المفروض أن تقضي في إعداد الرسالة ثلاث سنوات إلا أنها تمكنت من إعدادها في عامين فقط ، ونظراً لهذا النبوغ فلقد تسلمت أخبارها إلى الصحافة البريطانية والتي أطلقت عليها « مسز كوري المصرية » ..

وأرسل أستاذها الدكتور بدفورد إلى كلية العلوم جامعة فؤاد هذه الرسالة :

— « إن تجارب الدكتوراة سميرة موسى قد تغير وجه الإنسانية لو وجدت المعونة الكافية » ..

عادت سميرة موسى إلى مصر ، وتوجهت إلى مستشفى قصر العيني لتعمل مجاناً ، في قياس مقدار ما يعطى للمصابين بالسرطان من إشعاعات . وكانت تقول « أريد أن أجعل العلاج بالراديوم في مصر كالعلاج بالأسبرين ، وبودي ان أقول أن الذرة مكانها الحقيقي المستشفيات للقضاء على آلام الناس ولرفاهية البشر » ..

في عام ١٩٥١ ، قدمت إليها جامعة أوكرديج بولاية تنسي الأمريكية بعثة خاصة لدراسة استخدام المواد المشعة في العلاج ..

سافرت العالمة المصرية .. وبدأت الدراسة والتدريس .. وأذهلت علماء أمريكا أنفسهم .. ولأول مرة تسمح لها الحكومة الأمريكية بزيارة المعامل الذرية في أماكنها السرية ..

عرضوا عليها البقاء في أمريكا ولكنها رفضت .. وقالت أن شعب مصر في حاجة إلى دراستي ..

ضغطوا عليها لكي تبقى .. ولكنها أصرت .

أغروها بالمال .. ولكنها أصرت على العودة .

كانت تحلم بحيل من المصريين ، وقد تخصصوا في الذرة ، وتصورت أن هذا الحلم ممكن أن يتحقق على يديها .

وفي ١٥ أغسطس عام ١٩٥٢ ، كانت في طريقها بسيارتها إلى مفاعل نووي في سان فرانسيسكو ، وكان بجوارها مرشد قيل أن إدارة المفاعل أرسلته . وفي طريق مرتفع ، قفز المرشد المجهول من السيارة ، في الوقت الذي كانت فيه سيارة تقل تصطدم بها ، وتلقها بسيارتها إلى منخفض عمقه ٥٤ قدماً ، وهربت السيارة والمرشد .. وماتت سميرة موسى أول عالمة ذرة مصرية ، والتي حلمت كثيراً بمصر ورفضت البقاء في أمريكا .

أعلنت السلطات المصرية .. أن الدلائل تشير إلى أن « الموساد » هو الذي دبر هذه الجريمة ..

كرمها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأنور السادات .

* * *

وهكذا .. قتلت إسرائيل العباقرة المصريين .

وهكذا .. دمرت إسرائيل مؤسسة علمية متقدمة في العراق .

ولكن .. « الموساد » كانت ومازالت وستظل تقاتل بسلاح الإرهاب ، كل محاولة للتفوق العربي ، وخاصة علمياً ..

في عام ١٩٦٠ ، فكر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أن تعتمد مصر على نفسها في تصنيع السلاح ، فأقام مصانع للسلاح ، وأدخل صناعة الصواريخ لمصر لأول مرة ، وهنا يمكن القول بأن المخابرات المصرية قد استطاعت إنجاز عمل ضخم - في تلك السنوات - بأنها استطاعت معرفة مجموعة من خبراء الصواريخ الألمان .. وأقنعتهم بالعمل في مصر . وجاء العلماء الألمان إلى القاهرة ، برئاسة العالم الألماني فولفجانج ميلز .

والعالم الألماني الذي جاء إلى مصر .. واحد من خبراء العالم في صناعة الصواريخ ، بدأ حياته في صناعة الصواريخ بأحد المصانع الألمانية أيام هتلر .. وأنتج الصاروخ الألماني « ف ٢ » وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ساعد فرنسا في إنتاج الصاروخ الفرنسي من طراز « فيرونك » ، بل يعتبر هو أول من وضع صناعة الصواريخ الفرنسية ، ثم عمل في معاونة فون براون - العالم الألماني الأشهر - في برنامج الصواريخ الأمريكية في وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) .

المخابرات المصرية استطاعت أن تأتي بهذا الرجل على رأس مجموعة من العلماء لمعاونته في إقامة صناعة صواريخ مصرية ، واستطاعت المخابرات المصرية أن تفرض على وصوله وبداية عمله مع المجموعة الألمانية ، ستاراً من السرية ..

لم تكن المخابرات المصرية تدري ، أن إسرائيل سبق لها العرض على الدكتور ميلز العمل لديها ، إلا أنه رفض العرض الإسرائيلي ، ففكرت - كما تفكر دائماً - في اختطافه ، في ذلك الوقت كان العالم الألماني قد جاء إلى مصر ..

وفي سبتمبر عام ١٩٦٢ انتشرت شائعات في ميونيخ عن اختفاء خبير الصواريخ بيلز ، واختفاء عالم ألماني آخر في الصواريخ هو هاينز كروج ، واستطاعت إسرائيل أن تعرف أن شخصاً أسمر ، ملاحه شرقية ، يتحدث الإنجليزية ، كان آخر من تحدث معه قبل اختفائه .

إذن .. لقد هاجر إلى الشرق .. إلى العالم العربي .. ولا يوجد دولة في العالم العربي - في ذلك الوقت - مؤهلة لإقامة صناعة صواريخ سوى مصر .

وبدأت إسرائيل « الموساد » في إقامة طابور خامس بمصر ، بقيادة عضو الموساد ، لونز وزوجته . وقد تم اختيار لونز بالذات ، لأنه - قبل هجرته إلى إسرائيل - كان مواطناً ألمانياً ، ومن مناهم بالقرب من تنسي المدينة التي عاش فيها عالم الصواريخ الألماني بيلز .. وكانت مهمته متابعة « تعاضم نفوذ المستشارين الألمان الذين دعاهم عبد الناصر إلى البلاد ، وقد جاء هؤلاء ومنهم العلماء والأطباء وخبراء البوليس ومما كان يثير قلق الموساد على وجه الخصوص مهندسو الطائرات والطيران »^(١) وأقام في ١٦ شارع إسماعيل محمد بالزمالك ، ومن هذا المنزل بدأ المشاركة الإرهابية ضد الخبراء الألمان والعلماء في مصر .. استطاع من خلال تواجده في القاهرة أن يتعرف على كل العاملين الألمان في مصر ، وأرسل إلى تل أبيب بمعلومات كافية عنهم ..

أصبحت الصورة واضحة تماماً عن عدد الألمان في مصر ، خاصة خبراء الصواريخ والحروب الكيميائية ، « كالعالم الألماني الدكتور ايزلي خبير حرب الكيماويات الحيوية »^(٢).

(١) الموساد - جهاز المخابرات الإسرائيلية السري - ديتيس ايزنبرج . لين لاندو - أوروى دان .

(٢) المصدر السابق .

وطلبت « الموساد » من الحكومة الإسرائيلية أن تضغط على حكومة بون لتسحب العلماء الألمان من مصر ، ولكن الحكومة الألمانية رفضت الطلب أو الضغط الإسرائيلي لأنها لا تملك أن تجبر رعاياها على العودة بلا مبرر ..

رفضت إسرائيل التبرير الإسرائيلي ، وأعلنت جولدا مائير أمام الكنيست (كانت وزيرة الخارجية) في مايو ١٩٦٤ « أن إسرائيل تتوقع أن تتخذ الحكومة الألمانية دون تأخير ، التدابير المطلوبة لوقف عمل العلماء الألمان في مصر ، وأن إسرائيل لا تقبل غير هذا السبيل ، ولا يمكن أن تفهم أن هناك حلاً آخر لهذه المشكلة

إنذار إسرائيلي واضح لألمانيا الغربية .

وتجاهلت ألمانيا إنذار جولدا مائير .

وكان على إسرائيل أن تتحرك .

وبدأت حرب الموساد الإرهابية ضد العلماء الألمان أنفسهم ..

أرسلوا إلى سويسرا بعض عملاء الموساد حيث تقيم ابنة عالم صواريخ ألماني اسمه جوركا ، واحتطف العملاء الفتاة الألمانية ، وأخذوها إلى أحد فنادق مدينة بال ، حيث التقت بعميل من الموساد اسمه جوزيف بنجال ، وهددها بأن مصير والدها جوركا سيلقي نفس مصير إيجمان إذا استمر العمل في مصر^(١).

ثم أرسلت الموساد من ألمانيا الغربية طرداً ملفوماً إلى العالم الألماني الذي يقود صناعة الصواريخ في مصر الدكتور ميلز .. قامت مساعدته الدكتورة تيلور فندي بفتح الطرد ، فانفجر على الفور وأصابها إصابات بالغة ، كانت أخطر الإصابات في عينها ، حيث فقدت البصر تماماً . كان ذلك في يونيو عام ١٩٦٤ ..

وبدأت الطرود النافسة تصل إلى مصر ، فأقامت مصر رقابة شديدة على البريد القادم من الخارج ، وإلى الخبراء الألمان بصفة خاصة ، وانفجرت عدة رسائل أخرى في موظفي البريد المصريين .

(١) في مايو ١٩٦٤ حكمت محكمة بال بسويسرا على العميل الإسرائيلي أنوجوكليك بالسجن لمدة شهرين لتهديده ابنة العالم الألماني الذي يعمل في مصر ..

بعد الرقابة الشديدة على الرسائل القادمة من الخارج ، بدأ لوتز وزوجته يرسلان الرسائل الملقومة من الداخل ، ولا يوجد - حتى الآن - عدد واضح عن العلماء الذين قتلوا أو أصيبوا بتلك الطرود الناسفة التي أرسلها لوتز من الداخل .

وفي نفس الوقت قام لوتز ، ورجال الموساد بحملة إرهابية نفسية مكثفة ضد الألمان العاملين في مصر ، مما اضطرهم إلى ترك مصر . وكانت مأساة مصر فعلاً في هجرة العالم الألماني فولجانج ميلز ، الذي بدأ مشروع الصواريخ المصرية وتحت ضغط الإرهاب الصهيوني ترك مصر عائداً إلى ميونيخ .

بعد عودته لم تتركه الموساد ، حاولت معه أن يعمل في إسرائيل ، ولكنه أصر على الرفض - قيل ان إسرائيل حاولت اغتياله ، وفي ١٠ يوليو عام ١٩٦٥ أعلن الفريد سيديك أن العالم الألماني قد فضل الاختفاء ، وأن مكانه سيظل سراً ، لأن هناك خطراً على حياته .. كان العالم الألماني قد ترك ألمانيا الغربية ، وعاش في شاليه مع مساعدته في منطقة جبلية بالتمسا .. ولكن صحيفة غساوية (نوي زيت) قد كشفت مكان وجوده ، وأعلنت عن وجوده مع مساعدته ، فأعلن بيلز على الدنيا كلها أنه يجب أن يتحرك من مكانه هذا بسرعة ، لأن له تجربة مريرة مع الموساد ، وأعلن أيضاً أن الموساد قد تمكنت من اختطاف أحد معاونيه في ميونيخ وإطلاق الرصاص على آخر .. ثم استدرك العالم الألماني ، وقال للصحفيين من المستحسن أن أغلق فمي .

في ١٣ يناير ١٩٦٥ أذاعت صحيفة ميتاج الألمانية بأنه تأكد لها أن عملاء الموساد ، هم الذين أرسلوا الشحنات الناسفة من البريد للعلماء الألمان العاملين في مصر ، وقالت أن التحقيقات الألمانية أثبتت أن الطرود الإسرائيلية قد قتلت وجرحت الكثير من العلماء الألمان في مصر في صيف ١٩٦٤ ، وأضافت أن نتائج هذا التحقيق قد أحيط بسرية بالغة تحت ضغط مسئول حكومي كبير في حكومة بون .

* * *

استطاعت السلطات المصرية أن تلقي القبض على الذي نشر الإرهاب والذعر بين العلماء الألمان ، وهو عضو الموساد لوتز ، وقدم إلى المحاكمة التي قضت بسجنه ٢٥ عاماً ، على أساس أنه ألماني تورط مع الموساد الإسرائيلي ، وحكمت على زوجته بالسجن ثلاث سنوات ، وقد أفرج عن لوتز في عام ١٩٦٧ في اتفاقية مصرية إسرائيلية لتبادل الأسرى المصريين ببعض أعضاء الموساد الذين قبض عليهم في مصر ، وكان من بينهم لوتز ..

* * *

في النهاية .. كان عبد الناصر يريد التقدم لمصر ، ووجد في الخبراء والعلماء الألمان - في كافة المجالات - الاقتصادية والصناعية والصحية والزراعية والعسكرية أيضاً ، يمكن أن يسهموا باخلاص في تقدم مصر ، ولكن بالإرهاب الصهيوني .. تمكنوا من إحباط هذه الخطة الطموحة ، فهرب كل العلماء الذين عملوا في الصواريخ والزراعة والاقتصاد . لنظل مصر غارقة في مشاكلها ..

الفصل السابع

الإرهاب الإسرائيلي خلال الحرب

« خلال حرب الأيام الستة ، مات الآلاف من الجنود
المصريين ضرباً بالرصاص أو عطشاً بعد نهاية القتال ، ولقد دارت
مناقشة لمعرفة إن كان يجب أو لا يجب إنزال المياه بالمظلات لآلاف
الجنود المصريين التائهين في الصحراء ، ولكن ما تم تنظيمه كان هو
مصيدة للرجال بين التلال .. شجعها بعض الضباط الكبار ، ومنهم
من ساهم فيها شخصياً » ..

* * *

يوري أفيري

هاأرتس : ١٩٧٩/٨/١

الإرهاب الإسرائيلي خلال الحرب

آن للشعب العربي أن يعرف الحقيقة ، آن له أن يعرف ما تعرض له أبناء هذا الشعب في أبشع هزيمة حلت به ، آن لكل المصريين أن يعرفوا نوع الإرهاب الذي تعرض له جنودنا من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي في سيناء .. لقد صدرت حتى الآن عشرات الكتب عن أسباب هزيمة يونيو ، أو ما أسموها بالنكسة ، ولكن لم يتعرض كتاب واحد عن وحشية جيش الدفاع الإسرائيلي للآلاف الذين انسحبوا بناء على أوامر من القيادتين السياسية والعسكرية المصرية ، وكان الإرهاب الإسرائيلي قد وصل إلى قمته في هذه الحروب ، لقد أسقط المصريون جريمة الإسرائيليين كبرياء ، ولكن لا كبرياء في التاريخ ..

وقبل الخوض في الإرهاب الإسرائيلي خلال هزيمة يونيو ، أود أن أقول ان القوات المسلحة المصرية لم تقاتل في حرب يونيو ، وأن القيادة السياسية قد قامت بمناورة سياسية بديكور عسكري فسقطت في الفخ ، لقد جاء إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تقرير سوفيتي معزز بتقارير أخرى تؤكد وجود حشود عسكرية على الجبهة السورية ، ولم يكن الرئيس عبد الناصر مستعداً لدخول القتال في هذه الفترة ، فإن القوة القتالية المصرية القادرة على خوض القتال موجودة في اليمن ، والحالة الاقتصادية سيئة للغاية بسبب إنفاقات حرب اليمن ..

لذلك فإن المجندين في مصر ، لم يتدربوا بشكل جيد على القتال ، فإن التدريب في حاجة إلى أموال طائلة من الميزانية العسكرية ، ولكن الميزانية العسكرية تذهب إلى حرب اليمن ، لذلك عندما قرر عبد الناصر إرسال الحشود العسكرية إلى سيناء بهدف إجبار إسرائيل على سحب قواتها من الحدود السورية ، إنما أرسلها في مظاهرة إعلامية ، والقوات التي تسافر للحرب جدياً لا تذهب بمصاحبة الطبول وأمام السفارات وعدسات التلفزيون والصحافة وميكروفونات الإذاعة ..

ذهبت القوات المصرية إلى سيناء ، والإدارة السياسية المصرية لا تنوي الدخول في الحرب ، ولم تكن هناك أي خطة للحرب ، ولا موعد لها ، وبدأت الأحداث تتداعى سريعاً ، حتى فلت الزمام من أيدي فرسان الحكم ، فقامت إسرائيل في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ بضربة جوية قاضية ، وتصورت القيادة المصرية أن مآحدث عام ١٩٥٦ في

سيناء ، يصلح لعام ١٩٦٧ ، فأمرت القوات المصرية بالانسحاب من سيناء فوراً لحماية القاهرة !!!

لقد تشتت جانب من قواتنا في سيناء ، وسار بعض الأفراد جماعات في الطريق إلى قناة السويس دون سلاح أو ماء أو حتى غذاء .. وبعد أيام قليلة كان لإسرائيل السيطرة الكاملة على سيناء جواً وبراً ..

ويروي لي أحد الضباط :

- لقد كنا في رفح ، عندما صدرت الأوامر بالانسحاب ، وكانت الأوامر حاسمة ، واتجهنا بسيارة جيب ، ومعنا تسعة أفراد في الطريق إلى القناة .. وسمعنا صوت طائرة ، فقفزنا جميعاً من السيارة ، فانخفضت الطائرة ، وضربت السيارة بصاروخ فتحولت إلى كومة من النيران ، ثم إلى كتلة حديدية سوداء .. كان لابد أن نسير بلا مياه ولا سلاح ولا غذاء عشرات الكيلومترات في لخب شمس يونيو ، وبعد يوم ونصف من السير على الأقدام أصابنا جميعاً الإعياء ، وكدنا لا نستطيع مواصلة السير وأثناء مواصلة السير ، وجدنا تلاً من الكتبان الرملية ، قد ألقى بقليل من الظل ، فجلسنا خلفه نستريح أو نتموت ، إلا أننا سمعنا صوت طائرة هليكوبتر ، فقرر الزملاء الخروج من خلف التل ، والتلويح للطائرة حتى لو كانت إسرائيلية لتأخذهم كأسرى حرب بدلاً من الموت فوق هذه الرمال ، رفضت ، بل وطلبت منهم عدم الذهاب ، إلا أن صوت الطائرة كان أقوى من صوت وإغراء الحياة .. أقوى من توسلي لجنودي ، فخرجوا جميعاً ، ولم أذهب معهم لعلمي بغدر الإسرائيليين ، وكنت أقول إن الله إذا كان قد كتب لنا الموت هنا فسوف نستقبله بروح مؤمنة ، ولكنني لن أسلم نفسي لليهود ..

استدارت الطائرة .. والجنود يلوحون لها بأيديهم .. وهبطت الطائرة .. ونزلت منها مجندتان جميلتان تحملان مدافع رشاشة .. ومآلتهم واحدة منهما :

- ما هي رتبة كل واحد منكم ؟

فقالوا : جنود ..

قالت : تريدون ماء .

قالوا : نعم ..

قالت : ألم يقولوا لكم في بلادكم ان جيش إسرائيل ، جيش من العاهرات^(١) ؟

قالوا : لم نسمع ذلك .

قالت : بودي أن أترك منكم جندياً واحداً حياً ليبلغ أهلكم في مصر أن جيش العاهرات قد انتصر عليكم .

وما إن انتهت من هذا الحديث حتى أشارت لزميلتها وضربت اللاتنان ، جنودي بوابل من الرصاص ، مع صيحات بالعبرية ، لم أفهمها ، وسقط الجنود في مذبحه أمامي ، وذهبت المجنبتان الإسرائيلتان إلى الطائرة ، وطارت لصيد آخر في سيناء ..

يستمر الضابط في روايته : مع الإجهاد ، والمجزرة التي حدثت أمامي لم أشعر بشيء إلا في صباح اليوم التالي ، وأحد بدو سيناء يوقظني ، ويقدم إلي قليلاً من الماء ، ويأخذني على ناقته حتى قناة السويس التي لم تكن بعيدة عن الموقع الذي حدثت فيه المجزرة ، وعبرت القناة ، وقضيت شهراً في المستشفى ولم أنس حتى اليوم المجزرة الإسرائيلية لجنودي العزل من السلاح ..

* * *

إدارة الإعلام في جيش الدفاع الإسرائيلي ، أرادت لإحدى الصحف الفرنسية الانفراد بتحقيق صحفي مثير عن « حرب الأيام الستة » .. أخذت المصور الصحفي في طائرة هليكوبتر إلى سيناء ، وقام المصور بتصوير مجموعة من الجنود المصريين يسرون سيراً على الأقدام في الطريق إلى قناة السويس ، وهم يلوحون للطائرة ، ثم صورة أخرى لنفس الجنود وقد هدهم التعب ، وسقطوا على الأرض من فرط الإعياء ، ثم صورة ثالثة والذئاب تنهش في لحومهم ..

كاتب المقال ، قال أنه تابع هؤلاء الجنود عدة أيام حتى سقطوا على الأرض من فرط التعب حتى التقطتهم ذئاب الصحراء ..

صدق العالم هذه الرواية ، ورغم وحشتها إلا أنها كاذبة ، والتصوير الحقيقي للقصة ، أن مصور المجلة الألمانية^(٢) ، قد صور مجموعة الجنود المصريين وهم يسرون في الصحراء ، يلوحون للطائرة الإسرائيلية لتتقدمهم ، ثم تركوهم فترة من الزمن ، وعادوا

(١) كانت مجلة آخر ساعة القاهرية قد نشرت في عددها الصادر أول يونيو ١٩٦٧ تحقيقاً عن

المجنبتات الإسرائيليات وقالت « جيش العاهرات » .

(٢) مجلة دير شبيجل الألمانية (إعداد يونيو عام ١٩٦٧) ..

إليهم ، وأطلقوا عليهم الرصاص ، وتركوهم قتل ، حتى جاءت الذئاب لتأكل لحومهم .

* * *

سقطت مقدمة مجموعة من الأفراد في موقع إسرائيلي بسيناء ، وكان عدد الجنود المصريين الذين سقطوا أسرى في أيدي الإسرائيليين ، وظل خارج الموقع الإسرائيلي بقية المجموعة ، وعددهم أربعة أفراد ، فقام الجنود الإسرائيليون بربط الجنود الثلاثة بالحبال ثم ضربوهم بالأيدي والأرجل ، ثم قام أحد الجنود بذيخ الجندي المربوط ، بعدها أطلقوا النيران على الإثنين ..

* * *

ثم .. هناك الفصيلة الكاملة ، التي سقطت في أيدي الإسرائيليين أسرى قتلوهم جميعاً من بطونهم بالسونكي (السلاح الأبيض) ، والقتل بالسلاح الأبيض ، في البطن ، عادة يهودية قديمة ، استخدموها في كثير من المذابح التي قاموا بها عبر التاريخ البشري ، وكان أفضعها بقر بطون الحوامل من الأمهات الفلسطينيات في قرية دير ياسين ..

* * *

لا يختلف إثنان أن مصر دخلت حرب عام ١٩٦٧ ، وأن الانفصال بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية أدى إلى إحداث تلك الحرب ، وهنا لا نسجل سير المعارك أو الأسباب التي أدت إلى هزيمة عام ١٩٦٧ ، ولكننا نكرر أن هدفنا هو كشف الإرهاب الإسرائيلي أثناء الحرب ، في وقت لا يحتاج فيه الأمر إلى إرهاب ، وفي سبيل ذلك قمنا بإجراء حوار مع بعض الذين نجوا من الإرهاب أثناء حرب يونيو ، وتكاد تكون الصورة مكررة لما حدث للجنود المصريين في سيناء ..

لذلك .. اخترت قصة عشرة من الضباط والجنود المصريين من الكتيبة ٣٤٢ كانت هذه الكتيبة بقيادة المقدم عاطف عبد القادر ضمن اللواء ١١٤ بقيادة اللواء سعيد إبراهيم سعيد ، وكان اللواء مهمته حماية الطريق الأوسط ، وأخذ مواقعه عند جبل لبنى يمين جبل الحلال .. وكان أن التقينا ببعض جنودها ، مهمتها حماية مؤخرة الكتيبة ، ولم تكن مسلحة تسليحاً كافياً ، فلا يوجد لديها مدافع مضادة للدبابات ولا حتى ألغام ..

وفي الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وفي الساعة الخامسة مساء وجدت الكتيبة أمامها ، تحت الهضبة ما لا يقل عن أربعين دبابة إسرائيلية ، لم تطلق النيران ، واحتار قائد الكتيبة المصرية من أمر هذه الدبابات ، هل صديقة ؟ .. جاءت من الجزائر ؟ .. هل هي

إسرائيلية ؟ .. لا يوجد أي علامات مميزة ، فأمر القائد بإطلاق النار عليها ، وما أن تم إطلاق النار عليها حتى قامت الدبابات في محاولة لذلك هذا الموقع ..

ثم جاء المساء فتوقفت عن إطلاق النيران ، ولكنهم عرفوا أن هذه الكتيبة لا تملك إلا الأسلحة الخفيفة ، بحث القائد عن ألغام فلم يجد ، بحث عن أسلحة مضادة للدبابات فلم يجد ، حاول الاتصال بقيادته ، ولكن أجهزة الاتصال لم تصل بعد ..

وفي الصباح ، كان يوم الجحيم في جبل لبنى ، قامت الدبابات - التي تحاصر الموقع - باقتحامه ، قام بعد الجنود ، ورفعوا أيديهم ليسقطوا في الأسر .. ولكن الدبابات داست عليهم جميعاً ، وعندما تمكنت الدبابات الإسرائيلية من قتل العشرات تحت جنزير الدبابات ، فر الباقون ، وحاولوا حصدهم برشاشات الدبابات ..

إن الذين استشهدوا في هذا الموقع ، قد لقوا حتفهم تحت جنزير الدبابات أو برصاصات في ظهورهم وهم يفرون من المجزرة ..

* * *

تمكن عشرة منهم الإفلات من المجزرة ، وبدأوا رحلة العودة إلى الوادي عبر صحراء سيناء ، لقد عانوا الكثير ، عانوا الجوع والعطش ، وبدأ الموت يقترب منهم .. ثم سمعوا نباح الكلاب .. فتجدد الأمل .. أمل الحياة .. فهذا يعني وجود حياة قريبة ..

لقد شاهدوا في الطريق عشرات الصقور ، وغيرها من الطيور الجارحة .. ولكن كان هذا يخيفهم ، فكأن هذه الطيور في انتظار موتهم ، لتنش في لحومهم .. فلقد انتشرت في سيناء عام ١٩٦٧ تلك الأنواع من الطيور ، من كثرة الجثث التي قتلها اليهود على أرض سيناء ..

* * *

بعد معاناة .. استمرت عشرة أيام .. وجدوا عين ماء وأشجاراً قليلة .. وعدداً من الخيمات .. ونسوة وأطفالاً .. وسقطوا من الإعياء أمام هذه المنطقة .. وجاءت لهم النسوة بشكل روتيني بالمياه .. والغذاء .. وناموا نوماً عميقاً لأول مرة .. وفجأة سمعوا صوت سيارات قادمة ..

وجاءت لهم النسوة وطلبت منهم الهروب إلى الصحراء .. وأرشدت النسوة الجنود العشرة على طريقة السير ، وحلوا ما استطاعوا من مياه ..

وصعدوا إلى ربوة قرية .. وشاهدوا أقصى مشهد يمكن أن يروه في حياتهم ..
لقد جاء اليهود بالنسوة والأطفال .. وأوقفوهم طابوراً .. ثم أطلقوا عليهم النيران ..
وخروا جميعاً صرعى .. ثم ألقوا بقنابل حارقة على الخيامات واشتعلت النيران في كل
مكان .. وركبوا سياراتهم واختفوا ..

* * *

سار الجنود العشرة في الصحراء ..
وفجأة لاحت لهم من بعيد قناة السويس ..
وكادوا أن يندفعوا إليها .. إلا أنهم شاهدوا بعض الجنود الإسرائيليين ودبابات
إسرائيلية .. فاجتمعوا خلف التبة ليقروا ..
قال أحدهم .. لنتنظر المساء .. ونحاول العبور ..
قال آخر .. ولكن يمكن أن يقتلونا في المياه ..
وقرروا في النهاية .. أن يتقدم نصفهم إلى القناة .. فممن المؤكد أن اليهود سوف
يتركونهم يعبرون القناة ..

وتقدم خمسة جنود فعلاً ..
وشاهدهم الجنود الإسرائيليون ..
وقال أحدهم بالعربية .. قف .. وارفعوا أيديكم ..
ووقفوا .. ورفعوا أيديهم ..
وفجأة .. انطلق الرصاص .. ومات الخمسة ..

* * *

كان المشهد قاسياً .. ولا يملكون في مناخ ١٩٦٧ الرد عليهم ..
وقرروا الانتحار ، واختاروا أصغرهم سناً ليطلق الرصاص .. من مسدس ، هو ما
تبقى معهم من سلاح ، ولكن هذا الشاب الصغير رفض ذلك .. وبعد ساعات لاح لهم
شاب من أبناء سيناء الجنوبية .. وأخذهم عبر الملاحات حتى مدينة الكاب ، ومن هناك
عادوا إلى الوادي ..

الحكايات كثيرة لما فعله اليهود في الجنود المصريين ، في سيناء أثناء الإنسحاب .. ولكن يكفي هذا القدر من هذه المأساة .. فلقد كانوا قتلة .. وما كانوا أبداً مقاتلين ، وهناك فرق كبير بين القتال والقتل . فلقد ذكرت صحيفة - هاعولام - هذا العام - ورئيس تحريرها هو يوري أفنيري ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٧٣ :

- « في حرب ١٩٦٧ ، كان الجيش الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون وهو المسئول شخصياً عن مصرع مئات من الجنود المصريين .. إذ رفض شارون اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب ، لأن تعليمات ديان كانت تقضي بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين في سيناء وتأمراً بإبادتهم » ..

وتكفيني هذه الشهادة العبرية ..

* * *

إرهاب مرضى مصريين

أحد ضباط القوات المسلحة ، قال : للأسف الشديد فإن الحكومة المصرية قد قامت بالتعميم الإعلامي لما حدث من القوات الإسرائيلية ، ضد المدنيين في غزة ورفح وشرم الشيخ .. لقد قتلوا المدنيين في هذه المدن ، ولكن أقسى ما حدث تلك المذبحة التي حدثت لجنود مصر الجرحى في مستشفى شرم الشيخ ..

فعند اندلاع الحرب أصيب بعض الجنود - وكان عددهم يعد بالعشرات - فحولنا مستشفى شرم الشيخ الصغيرة إلى مستشفى عسكري ، وعند صدور أوامر الإنسحاب كان يصعب نقل هؤلاء الجرحى مع الإنسحاب ، وكان القائد يتصور أن اليهود سوف يقومون بإسعاف الجرحى ورعايتهم طبياً .. وانتظرنا عودتهم .. ولكن لم يعودوا .. كما لم نجد أسماء هؤلاء الجرحى ضمن قوائم الأسرى ، وبعد انسحاب إسرائيل من سيناء ، وعودة القوات المصرية إلى شرم الشيخ ، سألنا بعض البدو عن الجرحى .. والمستشفى .. فقالوا لنا أن المرضى قد دفنوا في الرمال .. فسألناهم .. هل دفنوهم أحياء .. فقليل إنهم دفنوا .. وكانوا أمواتاً ..

بحثنا عنهم في باطن الأرض فلم نعثر لهم على أثر ..

ما كنت أريد أن أكتب هذه القصة في هذه الأوراق ، لأنه لا يوجد ما يؤكد ما يؤكدها ولأن مصر لم تشر إليها من بعيد أو قريب . ثم وقعت في يدي وثيقة فك رموز هذه الرواية ، وهي في كتاب « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة » الذي كتبه الكاتب الإسرائيلي إيلان هاليفي^(١) وترجمته منى عبد الله . يقول في ص ١٠٨ :

- « في كتاب صدر في تل أبيب عام ١٩٦٩ باللغة العبرية يحصي يوري ملشتاين العمليات التي قامت بها الوحدة ١٠١ الشهيرة المتخصصة بتدمير القرى العربية خارج حدود الدولة الجديدة ، ويرفق هذا الإحصاء بروايات وشهادات الجنود المشتركين .. كان قائدها شارون ، ونائبه شلوموبوم الذي يحكي في إسرائيل أنه أجهز على الجنود المصريين الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام ١٩٦٧ ، ولم يحقق أبداً في هذه القضية ، وكان بطل هذه الوحدة ماثي هار - تزيون الذي ألف كتاباً عن ذكرياته عن تلك المرحلة في عام ١٩٦٩ ، وفيه يصف مشاعر الحنين إلى الماضي حيث كان يتلذذ بقتل رجل بسكين ، وهو نفسه الذي أعلن في حديث لمجلة هارتس في عام ١٩٦٥ أنه لم يشعر بالندم ، وتساءل .. لماذا يجب أن أشعر بذلك .

* * *

بما لا شك فيه أن فصول هذه المذبحة كانت غاية في البشاعة ، ولكن .. لماذا عمت الحكومة المصرية في ذلك الوقت عن مجازر إسرائيل في كل أنحاء سيناء ، رغم أنها تملك كل التفاصيل !!!

الموت للمصريين !!

إسرائيل لا تستطيع الاستمرار في حرب طويلة ، فهي دائماً تجمع كل قواها وتضرب ضربة واحدة قوية وخاطفة ، تحقق من خلالها هدف الحرب ، معتمدة على سرعة اليأس العربي عند أول هزيمة ، وعدم القدرة على ترتيب البيت العسكري من جديد ، ثم

(١) يهودي فرنسي ، هاجر إلى إسرائيل ، ثم اكتشف في عام ١٩٦٦ إرهابية الصهيونية فقام بمناهضة النظام العنصري في إسرائيل ، ثم سافر إلى فرنسا في عام ١٩٧٦ ، وقدم صورة للعرب داخل إسرائيل ، فقررت حكومته اعتقاله وتقديمه للمحاكمة ، فظل في فرنسا ومازال حتى الآن يناهض الإرهاب الصهيوني ..

التخطيط لحرب طويلة تمهيداً لحرب حاسمة .. ومما لا شك فيه أن أعظم عمل قام به الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ ، أن استطاع إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، يقول الفريق محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية المصري^(١) :

- « فعندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر الهدف الاستراتيجي لمصر في أول تلقين عسكري لي في ١٩٦٧/٦/١١ ، وحدد زمن تحقيق هذا الهدف بثلاث سنوات تقريباً ، استمر يجاهد جهاداً شاقاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ومعنوياً بتأييد مطلق من الشعب مستعيناً بقيادات عسكرية قادرة ، أعطاهما كل السلطات والصلاحيات لبناء وإعادة تنظيم القوات المسلحة » ..

وفي نفس الوقت ، قامت مصر بحرب مقدسة هي حرب الاستنزاف والتي استمرت ثلاث سنوات ، وهي الحرب التي قال عنها أبا إييان : « إن قصف المدفعية المصرية مع الغارات الجوية عبر قناة السويس ، كان يسبب خسائر قاسية من القتل يمثل ما كان يتسبب لنا من خسائر في أي حرب ، إن وقف إطلاق النار تم استقباله في إسرائيل بشعور من الرضا^(٢) حيث يتساوى مع ما لو كنا قد توصلنا إلى تسوية سلمية ، إن نشرات الأخبار الحزينة تخبرنا بأسماء الشبان القتلى في المعركة ، وأن خسائرنا في المعدات الثمينة^(٣) قد جعلت حرب الاستنزاف غالية التكاليف لنا » ، وقال الكاتب الإسرائيلي ماتي بينيه ، وهو عميد سابق في الجيش الإسرائيلي « إن فشل الجيش الإسرائيلي من الناحية العسكرية في حرب الاستنزاف يمثل أول معركة يهزم فيها في ساحة القتال منذ قيام إسرائيل لدرجة أننا في إسرائيل قبضنا على أول قشة ألقيت إلينا ، أي وقف إطلاق النار المؤقت » ..

* * *

مما لا شك فيه أن إسرائيل قد سئمت هذه الحرب والتي أحدثت لها أول شرح في كيانها ، وكان الجندي يفضل التوجه إلى جهة غير الجهة الجنوبية حيث حرب الاستنزاف ، وفي نفس الوقت فإن هذه الحرب لم تكن على هوى إسرائيل .. فماذا تفعل ؟ .. أعلنت إسرائيل ما أسمته « حرب الأعماق » .. أي ضرب مصر بالطيران في

(١) حرب الثلاث سنوات (الفريق محمد فوزي) ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) بعد قبول الرئيس الراحل عبد الناصر مشروع روجرز الأمريكي للسلام .

(٣) طائرات الفانتوم والسكاى هوك والميراج .

الداخل ، وبدلاً من اختيار أهداف عسكرية فقط ، اختارت أهدافاً مدنية « لإحداث ثورة شعبية ضد النظام » ، وللأسف الشديد ، تصورت القيادة السياسية ان ضرب الأعماق قد يؤدي إلى هذا ، مما جعلها تقبل مشروع روجرز .. وربما لا تعلم القيادة السياسية أن « حرب الأعماق » التي شنتها إسرائيل قد قربت المسافات بين الشعب وقيادته السياسية ، وأعادت جانباً من الثقة في النظام بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

« حرب الأعماق » .. ما هي إلا استخدام الطائرات في عمليات إرهابية ضد المدنيين ، قامت إسرائيل بعدة عمليات إرهابية ضد المدنيين ، إلا أن قمة المأساة كانت صباح الثاني عشر من فبراير عام ١٩٧٠ ، ففي صباح هذا اليوم شهدت قرية مصرية ، اسمها قرية بحر البقر ، من قرى محافظة الشرقية ، مأساة ستظل أجيال مصر تتداولها ..

مأساة تلاميذ بحر البقر

ذهب الصغار إلى المدرسة الابتدائية الوحيدة في القرية ، وفي العاشرة صباحاً ، جاء عدد من طائرات الفانتوم الأمريكية ، وألقى الطيارون الإسرائيليون أطنان القذائف على هذه القرية ، ولم يتمكن الصغار من الهرب من تلك الغارة الوحشية على مدرسة الأطفال ، وتحولت المدرسة إلى أنقاض ، واختلطت جثث القتلى بالجرحى وتلطخت كراسيات الصغار بالدماء ، واستشهد في هذه الغارة التي أرهبت الصغار ثلاثون طفلاً مصرية في عمر الزهور ، وأصيب ستة وثلاثون آخرون ، واستشهد مدني واحد وأصيب عشرة مدنيين كانوا على مقربة من مدرسة بحر البقر ، فماذا كان رد الفعل لهذه الغارة ؟ على مستوى الشعب المصري : هزت الجريمة الإسرائيلية البشعة على المدرسة الابتدائية بطائرات الفانتوم ، ضمير الشعب المصري ، وحولته إلى قوة تريد أن ترد على هذا الهجوم البربري ، أو أن تموت ، وطالب الشعب بالرد بالمثل ، وقامت المظاهرات تطالب بالتأثر من الإرهابيين الإسرائيليين .

على مستوى الإدارة السياسية : خشيت الإدارة من انقلاب هذه الغضب الشعبية على إسرائيل ، إلى الإدارة نفسها ، وكانت هذه المجزرة ، واحدة من الأسباب التي دفعت الإدارة المصرية وقف حرب الاستنزاف بعد ذلك بعد شهر ..

أذكر بهذا الصدد أن هذه الجريمة ، قد هزت الشاعر الراحل صلاح جاهين ، فكتب أغنية أدتها الفنانة المصرية شادية .. تصور الأغنية مدرسة من بحر البقر ، تقف أمام الصغار .. وتقول :

زرع ..

يردد الصغار :

زرع ..

تقول : حصد ..

يردد الصغار : حصد ..

ثم تصرخ الفئانة شادية وتقول :

قتل ..

قتل ..

ذبح ..

ذبح ..

وأذيعت هذه الأغنية مرة واحدة فقط من التليفزيون المصري ، وكان لها تأثير خطير على عواطف الشعب وضميره ، مما دفع الحكومة إلى حظر إذاعة هذه الأغنية ..

على مستوى الإدارة العسكرية الإسرائيلية : كانت سعادة إسرائيل لا توصف بالنصر على أطفال بحر البقر ، وقال موسى ديان باستهتار شديد ، وبوقاحة الإرهائي : « ان هؤلاء الصغار الذين ماتوا نتيجة الغارة الإسرائيلية لابد أنهم كانوا داخل مؤسسة عسكرية مصرية » ..

على مستوى العالم : لم يتمكن حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية من تبرير هذه الغارة الوحشية الإرهائية على أطفال مصر ، فقالت صحيفة دايلي ورلد الأمريكية : « أن مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية أكبر بكثير من مجرد تزويد إسرائيل بطائرات الغانتوم التي نفذت بها هذه المذبحة » .. وقالت الصحيفة الأمريكية : « أن رفات ثلاثين طفلاً تصبح في وجه أمريكا ، فإن هذه المذبحة تشبه مذبحة قرية ييونج في الفيتنامية » ..

وفي وارسو قالت صحيفة « تريبو يالودو » البولندية : « ان غارات إسرائيل على مدرسة الأطفال في محافظة الشرقية المصرية ، تعيد إلى الأذهان ما حدث في بولندا .. صورة ملايين الأطفال البولنديين الذين لقوا مصرعهم على يد النازيين ..

ووصف كيسلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة ، بعد زيارته للمدرسة : « أن الجريمة الإسرائيلية لا توصف إلا بالدناءة والإرهاب ، لقد استمعت إلى شهود العيان الذين قرروا أن التلاميذ الأبرياء في مدرسة بحر البقر الابتدائية كانوا مجتمعين في المدرسة ، ثم

جاءت طائرات الفانتوم الإسرائيلية - أمريكية الصنع على ارتفاع منخفض ، وضربت المدرسة بالقنابل أو الصواريخ ثم هاجمت مساكن القرية ، وقال ان هذه المجزرة الجديدة دليل على عجز ويأس المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ..

وقال يوري روكوف المعلق السياسي لصحيفة البرافدا : « ان قتل الأطفال ، يعملون بتعليمات من الإرهابي السفاح موشى ديان الذي تجرد من كل إحساساته البشرية ، وسوف يحصلون على عكس النتائج التي توقعوها » ..

وقالت صحيفة برافدا في تعليق لها يوم ١٠ أبريل عام ١٩٧٠ : « ان زعماء إسرائيل أخوة هتلر وهملر ، ويجب على موشى ديان وجولدا مائير وقادة إسرائيل أن يتذكروا أن طائرات الفانتوم الأمريكية وأموال روتشيلد وروكفلر الطائلة لن تنقذهم من الانتقام .

* * *

لقد كانت مذبحه بحر البقر هي قمة الإرهاب باستخدام الطيران الإسرائيلي .. وكانت هذه المذبحه سلسلة من مذابيح أخرى سبقتها ، ولكنها لم تكن بتأثير ما حدث في مدرسة الصغار ..

مجزرة عمال أبو زعبل

في صباح اليوم الثاني عشر من فبراير عام ١٩٧٠ ، ذهب عمال مصنع أبو زعبل للشركة الأهلية المصرية للصناعات المعدنية ، لاستلام وردية الصباح من عمال وردية الفجر ، وأصبح المصنع مكتظاً بعمال الورديتين ، وفجأة جاءت طائرتان إسرائيليتان من طراز فانتوم الجبارة ، وألقت بقنابلها على المصنع المدني ، فاستشهد في الحال ٧٠ عاملاً ، وأصيب ٦٩ آخرون ، وشب الحريق في المصنع ، وأعلنت إسرائيل — بكل وقاحة — أنها كانت تهدف بغارتها على المصنع ، رغم أنه من المصانع المدنية وقالت المصادر المصرية الرسمية : « ان الفارة قد تمت بالطائرات الأمريكية التي وعد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية استمرار تزويد إسرائيل بها » ، وفي نفس الوقت طالب عمال مصر بالمعاملة بالمثل ، وضرب أهداف مدنية داخل إسرائيل أسوة بما تفعله في مصر وهناك إرهاب كان لا يعلن عنه لعدم إثارة مشاعر الشعب المصري ، كما حدث في قناطر اسنا .. لم يطلب عمال مصر حمايتهم من غارات إسرائيل الدموية ، ولكنهم طالبوا بالانتقام ، والمعاملة بالمثل ، وقاموا بزيادة خطورة في الإنتاج ، وقالوا لو أن زيادة الإنتاج وحدها

كفيلة بالمساهمة في إعداد الدولة للحرب فاصلة مع هذا العدو الذي لا يعرف لإرهابه حدود .

كان موقفاً رائعاً لعمال مصر بعد غارة أبو زعبل واستشهاد رفاق العمل .. طالبوا بالثأر ، وزادوا الإنتاج ..

كانت للغارة الإسرائيلية على مصنع أبو زعبل المدني ردود فعل عالمية ، لقد استكرت في استحياء الولايات المتحدة الأمريكية على لسان المتحدث الرسمي للبيت الأبيض .. ولكن حاييم هيرتزوج المعلق العسكري الإسرائيلي قال رداً على الاستنكار الأمريكي : « بأن إسرائيل تحذو حذو أمريكا عندما تضرب أهدافاً مدنية ، ثم ان هذا قد حدث بطريق الخطأ » .. ولاني في غاية الدهشة لأن أمريكا تستنكر الغارة على أبو زعبل في الوقت الذي تقوم طائراتها بضرب أهداف مدنية في فيتنام ثم تزعم بعد ذلك أن هذا حدث بطريق الخطأ ..

وفي موسكو .. شنت صحيفة برافدا « السوفيتية » هجوماً عنيفاً على إسرائيل وقارنت بين أساليب الصهيونية والنازية وقالت ان الحيوانات المفترسة لها نفس الشهية وقالت البرافدا أن الغارات التي شنتها إسرائيل على الشعوب العربية تشبه عمليات الإبادة التي تعرض لها اليهود في باني وتريلينكا وداشاو وأن الأيام أظهرت أنه ليس هناك اختلاف بين الصهيونية والنازية ..

وقال الكسندر كيميلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة : « لقد وقعت الغارة الوحشية في الساعة الثامنة والربع من صباح ١٢/٢/١٩٧٠ وهو الوقت الذي يبدأ فيه العمل في المصنع الذي يبلغ مجموع العاملين به حوالي ألفي عامل ، فهم يعملون على دورات ، كان ١٣٠٠ عامل منهم يعملون في الأقسام المختلفة بالمصنع وقت وقوع الغارة ، ويدل اختيار إسرائيل هذا الوقت بالذات للقيام بالغارة الوحشية ضد المدنيين من جرم ليس له مثيل ..

وقال الكسندر كيميلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة : « ان إسرائيل قد ارتكبت اليوم جريمة دموية أخرى ضد السكان المدنيين في مصر ، وقال المراسل لقد شاهدنا بأنفسنا في المستشفى عمالاً أصيبوا بحروق من قنابل النابالم وقالت الوكالة في تعليقها أن هذه الجريمة وغيرها من الجرائم التي ترتكبها العسكرية الإسرائيلية بهدف تحطيم الروح المعنوية للشعب المصري وبهدف اخضاع هذا الشعب وبث الرعب في صفوفه .. إن هذه الجرائم لن تؤدي إلى النتائج التي يصبو إليها هؤلاء المعتدون » ..

وتنهي قصة هذه الجريمة بالتعليق الذي أعلنه الرئيس اليوغسلافي الراحل جوزيف بروز تيتو .. قال :

« أشعر بمرارة بالغة من جراء الهجوم الوحشي الذي شنته مؤخراً قوات إسرائيل الجوية على أحد المصانع والسكان المدنيين في ضواحي القاهرة وانتابني عميق الأسى عندما سمعت أن هذه الأعداد الكبيرة من العمال قد لقيت حتفها وأصيبت ومن العسير علي أن أجد الكلمات المناسبة لأعرب عن استنكارنا لهذا الهجوم الإجرامي على السكان المدنيين الآمنين ، إن هذا الهجوم الوحشي علامة على التصعيد العام للنشاط العدواني الإسرائيلي ويذكرنا من كل الوجوه بالسلوك النازي إبان الحرب العالمية الثانية » ..

* * *

مأساة طائرة مدنية

تأخرت الطائرة المدنية القادمة من ليبيا أكثر من ربع ساعة ، بعد أن أعلن مطار القاهرة الدولي عن اقتراب وصولها ، وفجأة سمعت مطارات المنطقة ، وهي مطارات القاهرة وبن جوريون وأثينا وقبرص وبيروت ودمشق ، صوت استغاثة من قائد الطائرة .. قال القائد :

- أن أربع طائرات حربية إسرائيلية من طراز فانتوم تحاصر الطائرة ، الركاب في حالة فرح شديد ..

وسأله : أين أنت ؟

قال : فوق شبه جزيرة سيناء بالقرب من قناة السويس ، لقد ضللت الطريق .. وبدأ مطار القاهرة يرشده عن طريق العودة إلى القاهرة ، واستمر الحوار بين قائد الطائرة وبين برج مراقبة القاهرة ٩ دقائق كاملة .. ثم صاح القائد :

- إننا الآن نضرب - الركاب في هلع .. المقاتلات الإسرائيلية تضربنا وسكت صوت قائد الطائرة .. وساد صمت .. إلا من صوت برج المراقبة وهو ينادي في الفضاء على الطائرة الليبية القادمة من طرابلس إلى القاهرة وعليها ١١٣ مدنياً من عدة جنسيات ..

فماذا حدث خلال تلك الدقائق التسعة من إحاطة الطائرات الإسرائيلية ، تلك الطائرة ، حتى سكت صوت قائد الطائرة ؟

لقد دخلت الطائرة الليبية صباح يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٧٣ ، أجواء سيناء بالخطأ ، فخرجت إليها أربع طائرات إسرائيلية مقاتلة من طراز فانتوم ، واتصل قائد التشكيل المقاتل برئاسة القوات الجوية ، ثم اتصل قائد القوات الجوية بموشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي ، فاتصل برئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير التي أمرت بضرب الطائرة الليبية المدنية مهما كانت النتائج ..

وابتعد فرسان الجو الإسرائيليون عن الطائرة المدنية الليبية ، وأطلقوا عليها الصواريخ فهوت محترقة في سيناء ، محدثة نافورة من النيران ، شاهدتها قوات مصر المسلحة على ضفاف القناة ، حيث أبلغوا الخبر الحزين للقيادة المصرية ، وفي المساء فتحت القوات المسلحة المصرية النيران على القوات الإسرائيلية ، في قتال شرس انتقاماً لضحايا الطائرة المدنية ..

* * *

سقطت الطائرة فمات على الفور ١٠٩ مدنيين ، وأصيب أربعة بجروح شديدة ، وحالتهم سيئة ، وقام الصليب الأحمر الدولي باستلام المصابين الأربعة من إسرائيل ، وقام بتسليمهم إلى مصر ، وعاشت مصر كلها في حزن أليم على ضحايا الطائرة ، فلقد كان من بين الضحايا نجمة تليفزيونية محبوبة في طول مصر وعرضها ، بل في العالم العربي هي سلوى حجازي ، الشاعرة والمذيعة والأم ، والزوجة .. كانت سلوى في مهمة إلى تليفزيون طرابلس ، ولكنها قطعت المهمة لتعود لأولادها الأربعة رضوى ومحمد واسر وهاني .. فلقد كانت الشهيدة مذيعة ناجحة وأم فاضلة ، وضيعة محبوبة كل ليلة في كل البيوت المصرية من خلال الشاشة الصغيرة .. كان من بين الضحايا صالح مسعود بويصير وزير خارجية ليبيا الأسبق ، وكان الرجل يملأ الدنيا شعراً وأدباً وخلقاً ، كان هناك العروسان اللذان جاءا إلى مصر لقضاء شهر العسل ، كان من بين الشهداء الأطفال والرضع والأمهات والآباء .. كان هناك ٣٩ مصرياً والباقي من ليبيا ولبنان وسوريا وفلسطين ..

* * *

امتتكر العالم كله هذا العمل الإرهابي القذر ، حتى الولايات المتحدة الأمريكية .. حليفة إسرائيل لم تتمكن من مساندتها في هذا العمل الإرهابي الذي فاق كل تصور وأدانت هذا العمل ، ووصفته بعض الصحف الأمريكية بأنه عمل إرهابي جبان وقذر ..

أمام موجة الانتقاد العالمية الشديدة لإسرائيل ، قالت ان الطائرة انفجرت في هبوط اضطراري ، فأخرجت مصر نص الحوار الذي دار بين قائد الطائرة وبرج المراقبة .. فقالت ان المدفعية المضاد للطائرات هي التي أسقطتها ، فقالت مصر ان قائد الطائرة قد حدد أربع طائرات حربية إسرائيلية ومن طراز فانتوم كانت تحيط بالطائرة المدنية ، ولا يعقل أن تطلق المدفعية المضادة صواريخها على الطائرة ، وهي محاصرة بأربع طائرات إسرائيلية ، فمن الممكن أن تسقط صواريخ المدفعية الطائرات الإسرائيلية نفسها ..

وهنا .. اعترفت إسرائيل - بوقاحة - بأن طائراتها الحربية هي التي أطلقت الصواريخ على الطائرة المدنية وأسقطتها ، وقال ديان في مؤتمر صحفي أنه يرفض إجراء تحقيق في الحادث وأنه سيرسل إلى جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل المعلومات المتعلقة به وهي حرة ترسله لمن تشاء .. وقال انه يرفض قيام أي جهة أجنبية بالتحقيق في الحادث ، وأعلن رفضه لدفع أي تعويضات لضحايا الجريمة ، ثم قال باستخفاف ولا أتوقع أى انتقام للحادث ..

لقد وقع حادث الطائرة استخفافاً من إسرائيل بالعالم العربي كله ، وقعت الجريمة الإرهابية هذه قبل حرب أكتوبر بعشرة شهور ، ولقد انتقل الاستخفاف من موسى ديان إلى صحيفة جبروسالم بوست الإسرائيلية ، فقالت : إن عداوة العرب لإسرائيل متأصلة وعميقة الجذور ، بحيث لن يزيد تدمير هذه الطائرة عمقاً ..

ووصفت صحيفة هآرتس الإسرائيلية قرار جولدا مائير بإسقاط الطائرة المدنية بأنه قرار سليم ..

وقالت صحيفة دافار : نرفض تحميل إسرائيل مسؤولية تدمير هذه الطائرة .. ولكنها في نفس الوقت لم تذكر من يتحمل مسؤولية هذه الجريمة ..

وعندما سئلت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل عن قرارها قالت : نأسف لهذا الخطأ ، فردت عليها صحيفة الجارديان البريطانية ان أسف جولدا مائير هو نوع من النفاق لإزاء مائة من القتلى الأبرياء ..

* * *

وهذه قائمة بأسماء شهداء الطائرة المدنية التي أسقطتها أربع طائرات إسرائيلية على بعد ٢٠ كيلومتراً شرق قناة السويس في الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٧٣ :

الضحايا المصريون

- ١ - عبد الحميد محمد أبو زيد
- ٢ - عزيز حسن الوكيل
- ٣ - عواد مصطفى عبد المعطي
- ٤ - سلوى حجازي
- ٥ - سهر زكي شادي
- ٦ - حسن زكي شادي
- ٧ - محمد عبد الرحمن محمود
- ٨ - نادية محمد عطية
- ٩ - رجب محمد عبد الحق
- ١٠ - سعد الدين التقي
- ١١ - مديحة محمود صالح
- ١٢ - زينب صالح علي مصطفى
- ١٣ - محمد لبيب إسماعيل
- ١٤ - سهر مصطفى شكري
- ١٥ - مرفت محمد محمود
- ١٦ - سهر إبراهيم عبد الله
- ١٧ - محمد إسماعيل قطب
- ١٨ - محمد أحمد السيد قطب
- ١٩ - محمد حسن علي
- ٢٠ - عصام أحمد
- ٢١ - محمود حسن أبو عافية
- ٢٢ - عبد العزيز صلاح
- ٢٣ - مصطفى محمد حنفي
- ٢٤ - فيصل محمد حسن الشريف
- ٢٥ - فاروق محمد أبو زيد
- ٢٦ - فتحية عبد العزيز
- ٢٧ - عزت ناصف علي
- ٢٨ - حسني أحمد حسن
- ٢٩ - عزت عبد الحميد حسن
- ٣٠ - اعتدال زكي محمد
- ٣١ - صلاح محمد إسماعيل
- ٣٢ - عطيات محمد الشرقاوي
- ٣٣ - السيد إمام عوض
- ٣٤ - هاني إبراهيم
- ٣٥ - جمال الدين عفيفي
- ٣٦ - محمد حيدر قنديل
- ٣٧ - حسن صالح سالم
- ٣٨ - محمد محمد حجازي
- ٣٩ - نعيمة إبراهيم حسن

الضحايا الليبيون

- ١ - عوض مصطفى السداوي
- ٢ - رجب سليمان عكاشة
- ٣ - الصاحبة الصوبعي
- ٤ - نجمة عبد العزيز الحصادي
- ٥ - السنوسي محمد نجم
- ٦ - أبو بكر محمد
- ٧ - رشيد محمد المايطي
- ٨ - محمد سعد أبو زيد
- ٩ - إسماعيل محمد
- ١٠ - مبروك محمد جويلي

- ١١- منصور علي الشقاعي
١٣- عبد الحفيظ محمد أرحم
١٥- عز عبد الرحمن الصادق
١٧- ميلاد أبو سعيد محمد
١٩- فتحي جاب الله الكوم
٢١- سعاد اهتتاوي
٢٣- فتحي شعبان
٢٥- عيسى صالح سعيد
٢٧- صالح مسعود بويصير (٤٨ سنة - وزير خارجية ليبيا السابق)
٢٨- فاطمة مبروك
٣٠- السنوسي الرعودي
٣٢- محمد عبد الله الشكماك
٣٤- محمد إبراهيم حسونة
٣٦- علي بوشا المكي
٣٨- محمد الصادق الورفلي
٤٠- عبد القادر طه الطويل
٤٢- عبد الواحد مفتاح عبد الكافي
١٢- حسن الرموني
١٤- عبد العظيم مصطفى
١٦- عطية خليفة كرباج
١٨- سالم محمد اللوم
٢٠- إبراهيم الطاهر
٢٢- علي عبد العال النابلي
٢٤- فرج عبد السلام الشاط
٢٦- مخزوم محمد محمد
٢٩- علي إبراهيم حسونة
٣١- هاشم فرج
٣٣- عبد الله محمد أبو زيد
٣٥- حسونة إبراهيم حسونة
٣٧- فوزي علي جعفر
٣٩- أمال محمد البكوش
٤١- محمد الصالحين العيطي
٤٣- أبو بكر محمد الحجاجي

الضحايا الأردنيون

- ٢ - عبد الله الخليل
٣ - فتوح خليل عيسى
٢ - محمد غسان محمد علي
٤ - فهمي عبد القادر

الضحايا اللبنانيون

- ١ - موريس كامل جرجس
٢ - سيد قاسم
٣ - محمد ياسين
٤ - عارف محمد

الضحايا السوريون

- ١ - محمد عبد القادر السلوب
٢ - عبد الرحمن بري

٣ - محمد صالح الدياري ٤ - سليم إسماعيل

الضحايا الفلسطـِـينـِـيون

١ - حسني عوض علي عوض ٢ - فاطمة حسن أحمد

الفصل الثامن
أبشع مذبحه في التاريخ
«صبرا وشاتيلا»

د . فقد خرج الصبيان محمد وأمين سنونو - وهما أبناء عمومة - من مخيم شاتيلا لشراء طعام خلال إحدى فترات وقف إطلاق النار . كلن أمين يقف قريبا من محمد الذي التقط كرة معدنية صغيرة كانت ملقاة في الشارع ، ثم انفجرت الكرة مطلقة شفرات معدنية حادة في جميع الاتجاهات ، واختارت الشظايا الضلوع أسفل القفص الصدري لأمين ، ممزقة معدته والقولون والأمعاء وأحدى رئتيه . كذلك خرجت أحشاء محمد نتيجة للانفجار ، وحدث تلف بالطحال واستلزم الأمر إجراء جراحة لمعدته والقولون ، أما اليد التي كانت تحمل القنبلة فقد تمزقت وأصيب وجه محمد وإحدى عينيه بحروق شديدة . .

د . كيفين دانهار

الأستاذ بالجامعة الأمريكية في بيروت

الفصل الثامن

أبشع مذبح في التاريخ صبرا وشاتيلا

في البداية .. أطرح سؤالاً ضرورياً .. ما هو الهدف الرئيسي لدخول القوات الإسرائيلية لبنان واحتلال أراضيه ؟

هل الهدف إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان ؟

لا .

هل الهدف الاستيلاء على مياه نهر الليطاني ؟

لا .

هل الهدف - كما ادعت - سلامة المستعمرات الإسرائيلية في الجليل الأعلى من قذائف الكاتيوشا ؟

لا .

* * *

الهدف الحقيقي - من خلال استقراء المجازر والمذابح والأحداث في لبنان - هو إبادة أكبر تجمع فلسطيني خارج الأرض المحتلة إبادة تامة . فالقوات الإسرائيلية منذ اللحظة الأولى التي وضعت أقدامها على التراب اللبناني وهي تقتل - لا تقاتل - الفلسطينيين ، خاصة النساء منهم ، على أساس أن المرأة الفلسطينية هي التي تقدم الوقود الدائم وإلى الأبد للثورة الفلسطينية ، وهي القبلة البيولوجية - التي ترعب إسرائيل - كما وصفها ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لجريدة « الأخبار » القاهرة في أبريل عام ١٩٨٦ ، لذلك .. كانت فوهات المدافع الإسرائيلية تضرب بقسوة أماكن التجمعات الفلسطينية المدنية في الخيمات الفلسطينية بلبنان ، وكان رصاص القناصة الإسرائيليين يختار المرأة الفلسطينية هدفاً له .

* * *

لم يكن غزو لبنان ، هو مجرد عملية انتقامية ضد محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن ، لقد كان الغزو مبيتاً له ، معروفاً لدى أطراف عربية ، مخططاً له من قبل الحكومة الإسرائيلية تخطيطاً جيداً ، بحيث تشترك فيه كل أسلحة الإرهاب الحكومية الإسرائيلية ،

من الموساد إلى الطيران ، إلى البحرية إلى القوات البرية وهذه المؤسسات الإرهابية الحكومية الإسرائيلية ، تلتقي عند هدف واحد : إبادة أكبر تجمع فلسطيني خارج الأرض المحتلة .

وللوصول إلى هذا الهدف .. فلا شيء محرم .. قتل النساء والأطفال .. اقتحام الخيم .. استخدام الأسلحة المحرمة .. إثارة الطوائف اللبنانية بعضها على بعض .. لا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية مع الفلسطينيين المقيمين في لبنان ..

* * *

● الأسلحة المحرقة : لقد كشفت مجلة ميدل إيست البريطانية في عدد شهر سبتمبر ١٩٨٦ ، خبراً خطيراً ، قالت ان إسرائيل قد استعدت للحرب لبنان بأسلحة رعب جديدة ، وأن إسرائيل قد ابتكرت قنابل مدمرة ضد الأفراد ، وتقول المجلة :

« تصنع أغلفة القنابل الصغيرة من معدن شديد الصلابة وعندما تنفجر تتناثر شظايا بسرعة تزيد على أربعة آلاف قدم في الثانية وبذلك تستطيع القنابل من طراز س . بي يو اختراق دروع الدبابات لعدة بوصات - أما الأفراد فيمكنها تمزيقهم إرباً .

وفي بعض الأحيان تسقط هذه القنابل على الأرض دون أن تنفجر إلا عند العبث بها .. ويصف كيفين دانهار ، الأستاذ المساعد بالجامعة الأمريكية في بيروت ما حدث لصيبيين التقطوا واحدة من هذه القنابل أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ..

فقد خرج الصبيان محمد وأمين سنونو - وهما أبناء عمومة - من مخيم شاتيلا لشراء طعام خلال إحدى فترات وقف إطلاق النار ..

ويقول دانهار : « كان أمين يقف قريباً من محمد الذي التقط كرة معدنية صغيرة كانت ملقاة في الشارع . ثم انفجرت الكرة مطلقة شفرات معدنية حادة في جميع الاتجاهات . واخترقت الشظايا الضلوع أسفل القفص الصدري لأمين ممزقة معدته والقولون والأمعاء وإحدى رتيه » ..

ويستطرد قائلاً : « كذلك خرجت أحشاء محمد نتيجة للانفجار . وحدث تلف بالطحال واستلزم الأمر إجراء جراحة لمعدته والقولون . أما اليد التي كانت تحمل القنبلة فقد تمزقت وأصيب وجه محمد وإحدى عينيه بحروق شديدة » ..

وما يذكر أن التطور الكبير الذي أدخل على هذا النوع من القنابل ثم أثناء الحرب

الفيتمامية ، وبحلول أواخر الستينيات كانت الولايات المتحدة تستخدم هذه القنابل بصورة مكثفة كأسلحة « إبادة » . وكان أول نوع من هذه القنابل تسلمته إسرائيل من طراز س . بي يو ٥٨ ويصل طول الغلاف إلى سبعة أقدام وتحتوي على ٦٧٠ كرة في حجم كرة الجولف وتزن ٣٨٠ كجم ..

وأغلفة هذه القنابل تنفجر في الجو لتخرج منها الكرات المعدنية الصغيرة التي تنتشر فوق مساحة واسعة .. وتجدر الإشارة إلى أن الكرات الصغيرة تتحرك حركة دورانية أثناء انتشارها وهذا بدوره تنتج عنه حرارة بسبب انفجارات هذه الكرات .

وقد توقف إنتاج هذا النوع من القنابل إلا أنها استخدمت من جانب إسرائيل في لبنان عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢ ..

وفي عام ١٩٨٢ ، أصبحت إسرائيل تمتلك عدة أنواع من القنابل العنقودية وبخاصة طراز م ك - ٢٠ روكاي التي تنتجها شركة « هونيوبل » الأمريكية . ويزن هذا النوع أقل من ٢٢٧ كجم إلا أنه أقوى ، كما تحتوي كل قنبلة على ٢٤٧ كرة معدنية ..

والمعروف أن هذه القنابل الأمريكية مصممة في الأساس كأسلحة ضد الدبابات أما إسرائيل فإنها بحاجة إلى قنابل ضد الأفراد ، ومن ثم فقد ابتكرت قنابلها الخاصة المعروفة باسم تال - ١ .. وتزن الواحدة حوالي ٢٥٠ كجم كما أنها مزودة بنظام ميكانيكي زمني يسمح للطيار بضبط شكل الانتشار ليلائم الهدف ، وتحمل القنبلة الواحدة ٢٧٩ كرة معدنية ..

انتهت أحدث شهادة عن الإرهاب الإسرائيلي الحكومي في لبنان ، وهناك شهادات أخرى ، وإليكم بعضها ؟ :

لقد قصف الطيران الصهيوني بصورة منتظمة المستشفيات والعيادات رغم وجود أعلام وشعارات الصليب الأحمر الدولي مما تسبب في مقتل آلاف المدنيين وفي هذا الصدد أشار التقرير ، الذي وضعته في نيقوسيا اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم الكيان الصهيوني ، قال فريق من الأطباء والمرضى اليونانيين : « لقد رأينا جرحى ومضى سحقهم الدبابات الإسرائيلية » وأسفر قصف مستشفى الأمراض العقلية عن مقتل ٢٧ شخصاً ، وما يخالف المعاهدات الدولية فقد منعت قوات الاحتلال الصهيوني وصول الدم والأدوية والعقاقير

لصالح الصليب الأحمر ، كما قصفوا بالصواريخ في ميناء جونيه السفينة الألمانية الغربية «م - س . فلورا» بينما كانت تفرغ حمولتها من الأدوية واللقاحات ويلازما الدم والتجهيزات الطبية لصالح المستشفيات ..

كما ألقت الطائرات الصهيونية متفجرات على شكل لعب زاهية الألوان لها أشكال مختلفة ، وكان الأطفال يلتقطونها لتنفجر بين أيديهم وقد زار المؤلف الموسيقي اليوناني ميكيس ثيودور أكييس المستشفيات اللبنانية ، وأفاد أمام لجنة التحقيق في جرائم إسرائيل أنه شهد عدداً من حالات الموت الفاجع بين الأطفال اللبنانيين والفلسطينيين ممن التقطوا الألعاب المتفجرة ..

وعرض فرانكلين لمب وهو شخصية اجتماعية أمريكية على اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم إسرائيل في لبنان ، نماذج من القنابل الفوسفورية التي استخدمها الكيان الصهيوني على نطاق واسع خلال عملية غزو لبنان ، ولدى انفجار هذه القنابل يتطاير منها وابل من الشظايا الصغيرة كلما قصف المعتدون الصهاينة مدينة بيروت بقنابل مماثلة في صناديق يتسع الصندوق الواحد منها لـ ٤٥٠ قنبلة ، وقال أطباء كنديون ويونانيون عملوا في لبنان خلال عملية الغزو : « لقد أجرينا عمليات جراحية لمرضى شوهتهم نار القنابل العنقودية والفوسفورية وكانت أجساد الضحايا تبدو أشبه بالفريال .

ونشرت صحيفة واشنطن بوست رسالة لمراسلها في بيروت عن آلام وهلاك السكان المدنيين الذي سقطوا ضحايا القنابل الفوسفورية ، كما استخدم المعتدون في لبنان غاز الشلل العصبي الذي يسبب القيء وأوجاع الرأس والهلوسة والشلل .

* * *

اقتحمت القوات الإسرائيلية في التاسع من يونيو عام ١٩٨٢ الجنوب اللبناني وبدأت مسلسل الإرهاب على أوسع نطاق ، وكانت هذه بداية خطيرة لحرب الإبادة التي خططتها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الحاكمة في إسرائيل ، وقامت القوات الإسرائيلية بتدمير القرى على رؤوس سكانها ، والأحياء السكنية في مدن الجنوب اللبناني ، ثم دمرت مدارس الأطفال تدميراً بربرياً ، ولم تنج المستشفيات اللبنانية من قصف الطائرات الإسرائيلية ، وتمكنت من تحويل بعض أجزاء من العاصمة اللبنانية إلى أنقاض ، وكذلك مدن الجنوب اللبناني ، وخاصة مخيمات الفلسطينيين .

ولكن .. كانت أخطر المجازر ، تلك التي خططت لها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، ودفعت بكثائب الخيانة الوحشية لتنفيذها ، مشاركة بذلك في أبشع وأقسى مجزرة حدثت في كل التاريخ البشري وهي مذبحه « صبرا وشاتيلا » ..

ونقدم هنا شهادة قائد قوات الكتيبة ١٧ الفلسطينية ، العقيد أبو الطيب . يقول :

- « الساعة الثالثة والنصف صباحاً ، وقبل الهجوم الإسرائيلي على بيروت الغربية ، في الطرف الشرقي من العاصمة اللبنانية كان يدور اجتماع بالغ الأهمية في المقر العام (للقوات اللبنانية) وهي الميليشيات الموحدة لليمين المسيحي والتي أسسها وترأسها بشير الجميل .. وحضر الاجتماع عن الجانب الإسرائيلي ، الجنرال ايتان والجنرال دروري ..

أما الميليشيات الكتائبية فقد تمثلت بأهم رؤسائها العسكريين وعلى رأسهم فادي افرام القائد العام لهذه القوات ، والياس حبيقة ، المسئول عن المخابرات ورسوموا مجتمعين تفاصيل مشاركة هذه الميليشيات في عملية السيطرة على بيروت الغربية في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٢ ..

أما في الكنيست الإسرائيلي في الوطن المحتل فقد ناقش البرلمان مبدأ دخول الكتائبين إلى مخيمات الفلسطينيين على ضوء نتائج الاجتماع الذي جرى والذي أكد في نهايته مسئول عسكري كتائبي للجانب الإسرائيلي قوله :

أننا منذ سنوات ونحن ننتظر هذه اللحظة .

بعد الاجتماع صرح شارون بأن القائد الإسرائيلي للجبهة الشمالية تلقى يومها التعليمات التالية :

- ١ - عمليات تمشيط المخيمات وتطهيرها سيقولها الكتائبون .
- ٢ - الجنرال ايتان وأمير دروري يجب أن يظلا على اتصال دائم بالكتائب من أجل التمهيد لدخول قوات الكتائب إلى المخيمات الفلسطينية ..
- ٣ - قام الإسرائيليون بطلاء دهان على جدران المباني لتكون إشارات استكشاف وذلك بكتابة « الحروف اللاتينية الأولى للشرطة العسكرية ومثلثاً وسط دائرة » وهذا هو « شعار » القوات اللبنانية كما رسموا أسهماً تشير إلى محوره انطلاقاً من الشويفات في جنوب شرق بيروت وحتى السفارة الكويتية باتجاه مخيمي اللاجئين الفلسطينيين .

٤ - نظمت القوات اللبنانية خلال الساعات الأولى من الهجوم الإسرائيلي هذه العملية

وذلك من أجل تحديد الطرق المفترض سلوكها وكان تحديداً دقيقاً جداً للذين لا يعرفون المدينة من أفراد هذه القوات ..

* * *

● الساعة الخامسة فجراً :

في الساعة الخامسة تماماً بدأ التقدم الإسرائيلي فمع الفجر تقدم المشاة وراء الدبابات ببطء من مبنى إلى آخر ، وكانوا يلتقون في طريقهم بأوائل المدنيين المستيقظين باكراً للصلاة .

كان الهدف الأول للقوات السيطرة على مفارق الطرق ، ومن ثم على الأبنية المرتفعة وذلك من أجل الإشراف بوضوح على المناطق المجاورة ..

بعد شروق الشمس بقليل بدأت أسراب من الطائرات الإسرائيلية بالتحليق فوق سماء بيروت وبطلعات متعددة وعلى ارتفاع منخفض وذلك في عملية مناورات القصد منها إظهار القوة وبالتالي زرع الخوف بين سكان المخيمات الفلسطينية دون أن تشارك في المعارك التي ستجري ..

كان المقرر لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية قبل رحيل المقاتلين من بيروت هو محلة الفكهاني والتي تقع إلى الجنوب الغربي من بيروت ..

ومع طلعات الطائرات فوق تلك المنطقة فقد بدأت عملية رحيل من قبل السكان الذين كانوا قد التجأوا إلى هذه المقرات بعد تدمير بيوتهم أثناء حصار بيروت فبدأوا بالتوجه إلى الجوامع المجاورة خوفاً من الغارات الإسرائيلية المحتملة ..

في نفس الوقت كان يجري ترتيب آخر للقوات الإسرائيلية التي استولت بسرعة على عدد من النقاط الهامة والحساسة التي كانت محتلة من قبل جنود القوات الدولية التي جاءت إلى بيروت للإشراف على رحيل المقاتلين الفلسطينيين وعلى التعهد بالحفاظ على أهالي المخيمات الفلسطينية ..

ولكن الذي حصل أن هذه القوات سلمت هذه النقاط إلى الجيش اللبناني الذي تراجع فوراً أمام التقدم الإسرائيلي ..

وأخذ هذا الجيش يحتمي خلف المباني الآمنة وفي أماكن بعيدة وبدأ يأخذ دور المتفرج على كل ما يجري وكأن ما يجري لا يعنيه مطلقاً ..

تقدمت القوات الإسرائيلية على خمسة محاور وبذلك حاصرت بيروت الغربية ابتداء من الضاحية الجنوبية وحتى الميناء في شمال المدينة ..

وبذلك نستطيع أن نقسم تقدم الإسرائيليين في فترة ما قبل الظهر كما يلي :

١ - انتشر الإسرائيليون على طول الطريق الساحلية من الأوزاعي ومن ثم باتجاه الشمال وحتى كورنيش المزرعة وهو الكورنيش الذي يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ..

٢ - تواجدوا أيضاً على الطريق التي تمر غرب مخيمي صبرا وشاتيلا باتجاه المدينة الرياضية ..

٣ - المحور الثالث شرق المخيمات باتجاه ميدان سباق الخيل ثم بعد ذلك سلكوا محورين جديدين بعد الظهر ..

٤ - تواجدوا من المرفأ حتى الغرب حتى قلب حي الفنادق ..

٥ - ومن ثم تواجدوا عند بوابة المتحف للعبور من الشرق إلى الغرب ..

كانت المقاومة التي جابتهم ضعيفة جداً فلم تكن غير رماية متقطعة من المدفعية الخفيفة وبعض الصواريخ المضادة للدبابات (آر . جي . جي) ..

وكان الإسرائيليون كلما حددوا مواقع المقاومة يوجهون مدافع دباباتهم ويطلقون النار فوراً ..

كذلك بدأت زوارقهم تقصف في نفس اللحظة الأهداف القريبة من الشاطئ ..

لقد جاءت الأوامر من تل أبيب بتجنب الخسائر البشرية في صفوف القوات الإسرائيلية بأي ثمن ..

وكان شارون بالذات يخشى كثيراً من أن يُلطخ بخسائر تدفعها الأرواح الإسرائيلية .. خاصة أن هناك من سيقوم بهذه المهمة نيابة عن جنوده ..

ورغم ذلك ورغم ضعف المقاومة فقد دفع شارون خسائر من جنوده وخاصة في اليوم الأول من دخول القوات بيروت فقد كان هناك ٥٢ جندياً إسرائيلياً بين قتيل وجريح .

• الساعة ٩.٠٠ صباحاً :

جاء شارون بنفسه ليدبر الافتحام الإسرائيلي لبيروت الشرقية الخالية من المقاتلين وأقام مقر قيادة له كي يكمل تنفيذ مخططه فوق سطح بناية كبيرة تقع على مفرق السفارة الكويتية ..

وكان هذا الموقع يمكنه من مراقبة العاصمة بيروت وأن يرى كل ما يجري في مخيمات صبرا وشاتيلا بمراقبة واضحة ودقيقة ..

• يضيف القائد الفلسطيني :

خلال ذلك النهار أرسلت قوات جديدة إلى بيروت ، ونقلت أفواج عديدة من لواء « غولاني » حضرت من الوطن المحتل إلى مطار بيروت الدولي مستخدمة طائرات الهليكوبتر ..

ثم تبع ذلك دبابات الأفواج المدرعة التابعة للواء الذي كان يقوده الكولونيل إيلي جيفع قبل استقالته احتجاجاً على وحشية الحرب في حصار بيروت وما تبع استقالته من إرباك الكثير من أفراد الجيش الصهيوني ..

وباختصار فلم يجابه شارون في بيروت الفارغة من مقاتليها غير بعض العناصر التابعة لمليشيات الأحزاب الوطنية سوى مقاومة رمزية في وجه أقوى آلة عسكرية حشدت لها إسرائيل كل طاقاتها البشرية والعسكرية ..

وقد قامت هذه العناصر من المليشيات بمجابهة هذا الجيش بدافع وطني ودون انتظار توجيهات أحزابها ، لكنها وجدت نفسها وحيدة أمام مدرعات إسرائيلية ..

١ - فأولاً قبل أيام ليست كثيرة غادر بيروت حوالي خمسة عشر ألف مقاتل فلسطيني وجندي سوري ..

٢ - أتبع رحيل هذه القوات تفكيك المنشآت العسكرية على خطوط التماس بتواجد قوات دولية ..

٣ - كان قد تم إزالة الألغام في هذا التقاطع الهام بالذات والذي نتج عن إزالته فتح طريق سهلة وواسعة أمام المدرعات الإسرائيلية الغازية ..

في شمال المخيمات الفلسطينية تجمعت قوات صغيرة من القوات التقدمية والإسلامية وعناصر فلسطينية اتخذت لنفسها اسم « القوات الوطنية اللبنانية » .. وحاولت بقله إمكانياتها ما استطاعت من مقاومة ..

وباستثناء بعض الحالات النادرة التي جابهت هذه القوات فلم يكن هناك أي شيء ..
ولذلك تابع الإسرائيليون غزوهم بتقدمهم داخل المدينة حسب الخطة المرسومة ودون
مفاجآت لدرجة أن الجنرال « شارون » وجد متسعاً من الوقت في الحادية عشرة صباحاً
للتوجه إلى « بكفيا » ليقدم تعازيه الحارة لعائلة الجميل بمصرع الرئيس بشير الجميل ..
● يقول العقيد أبو الطيب :

- وكانت قد أعطيت الأوامر للقوات الإسرائيلية بتجريد جميع الميليشيات اليسارية
والإسلامية من أي سلاح كان ..

بحيث تبقى في لبنان بعد خروج المقاومة الفلسطينية قوة عسكرية هشة البنى كما سبق
وذكرناه امام القوات اللبنانية « والتي كان اعتمادها الأساسي على عناصر من اليمين
المسيحي ..

هذا الوضع الجديد جعل الكتائب أي القوات التي أسسها « يار الجميل » تجدد نفسها
فجأة في وضع جديد ومتميز بين التنظيمات اللبنانية بحيث لم تحلم الكتائب حتى في أكثر
أوقاتها تفاؤلاً وقوة أن تصل هذا الوضع .

في صباح ١٥ سبتمبر ، توجه موريس درير الموفد الخاص للرئيس الأمريكي ريجان إلى
مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي ليبدأ البحث معه تنفيذ النقطة الثانية من اتفاقية فيليب
حبيب ، وهي انسحاب كل القوات الغريبة من لبنان .. وقبل أن يبدأ موريس درير
بالتحدث عن مهمته بادره مناحيم بيجين بترحيبه بالموفد الأميركي بالعبارات التالية :

- « سيدي السفير ، أتشرف بأن أبلغكم بأن قواتنا تتقدم وتأخذ مراكزها في بيروت
الغربية منذ الساعة الخامسة من فجر اليوم ، إن هدفنا الحفاظ على المدينة فالوضع الحرج
الناجم عن اغتيال بشير الجميل قد يؤدي إلى حدوث اضطرابات دامية أي يوم
غروم ؟ » ..

هذا ما قاله بيغن عن الدور الإسرائيلي للمبعوث الأميركي لكنه لم يقل كلمة واحدة
عن هدف إسرائيل فتح المخيمات الفلسطينية لدخول قوات الكتائب ..

في المساء بدأت القوات الإسرائيلية تطلق عدداً من القنابل باتجاه مخيمي صبرا وشاتيلا
وفي الوقت نفسه كان ثمة دكتور نرويجي يصرح ، بأن هناك ١٥ شخصاً وصلوا إليه في
مستشفى غرة الواقع إلى الغرب من مخيم صبرا منذ مساء الأربعاء ..

ولعل تصريح الطبيب الثروبيجي (د. مايلهو مشاجن) كان البداية في الشهادات التي بدأت تتلاحق ..

* * *

في تلك الليلة انقطعت الكهرباء عن بيروت الغربية بشكل مفاجيء ، وبذلك غرقت المدينة في ظلام دامس ، لقد روى جندي إسرائيلي أن وحدته تلقت أمراً في الساعة العاشرة مساءً بالبدء في إطلاق صواريخ مضيفة فوق الخيمين وأن الأمر يقول أن تم هذه المهمة بعد منتصف الليل ..

وبالفعل ، عند منتصف الليل بدأت الطلقات تمزق صمت المدينة الثقيل وخاصة صمت ما يجري في داخل الخيمين بحيث تعلن الساعة أو يوماً آخر هو اليوم (١٠٤) من أيام الحرب الإسرائيلية الفلسطينية قد مضى ..

٣٠ ساعة فقط وأنجز الجيش الصهيوني مهمته وسيطر على بيروت الغربية كلها ، « حصن الأسود » الذي وقفت كل آلة الحرب الصهيونية مزودة بدعم أقوى دول العالم وبكل أنواع الأسلحة الأميركية ٨٨ يوماً ولم يستطيعوا أن يتقدموا نحو هذا الجزء الصغير من بيروت ولو خطوة واحدة ..

فجر الخميس كان حي الحمراء حي الأعمال يسقط بين يدي الغزاة ..
لقد داست الدبابات الإسرائيلية سباني بيروت ومخازنها المدمرة ، كذلك معات السيارات التي أتلقتها الحرب والملقاة على الطرق ..

وعادت الحمراء تعاني وتتألم بعد أن كادت أن تستعيد حياة ما قبل الحرب ..
عادت الحرب ، وعاد الخراب يدمر ما تبقى من المحلات والمخازن الممتدة على طول أكثر من كيلومتر ، والتي كان أصحابها قد جددوها إثر عمليات القصف التي تعرضت لها في آب ..

وعند كل مفترق ، كانت العملية تتكرر ..

تصوب الدبابة مدفعها على محور الشارع العريض ثم تبدأ إطلاق قنابلها لتشق الطريق أمام جنود المشاة ، بعد ذلك يتوزع المشاة متجنين الدخول في الأزقة والشوارع الصغيرة ..

لقد عادت العائلات إلى الملاجئ اتقاء للمدافع الإسرائيلية وقذائف الصواريخ التي تطلقها الميليشيات اليسارية اللبنانية في محاولة ضعيفة للدفاع ..

الطابوران الإسرائيليان من المصفحات والمشاة اللذان انطلقا ، الأول من المطار .. والثاني من المرفأ والتقيا ببعضهما قبل الظهر وبالقرب من السفارة الأمريكية في جادة باريس أحد أجمل الشوارع في العاصمة اللبنانية ..

وعند الظهر كانت بيروت الغربية بكاملها تحت السيطرة الإسرائيلية ..

ولأول مرة في تاريخها احتلت إسرائيل عاصمة عربية ..

وفي تل أبيب كانت وزارة دفاع الحكومة الصهيونية تحتفل بعيد رأس السنة اليهودية وكانت مناسبة ليعن الجنرال شارون نجاح العملية وليرفع كأسه ويشرب نخب دماء نساء صبرا وأطفالها ..

وبهذه المناسبة أيضاً أصدر الناطق العسكري بياناً أعلن فيه :

- « أن جيش الدفاع الإسرائيلي يسيطر على جميع النقاط الاستراتيجية في بيروت وأن غيمي اللاجئ وفيها تجمعات الإرهابيين محاصران ومقتفلان » ..

ووصل تقرير عن العملية إلى هيئة الأركان في تل أبيب يعلن أنه لا يزال هناك بعض « جيوب المقاومة » التي لم يتمكن الجيش من تطهيرها بعد وتواجد في منطقة الفكهاني حيث مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .. كما يعتقد أن هناك بعض « الإرهابيين » في غيمي صابرا وشاتيل ..

* * *

● وفي شهادة العقيد أبو الطيب يقول :

- فجر اليوم استيقظ سكان الخيمين على هدير الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض ، كان الوضع كالاتي :

١ - القوات الإسرائيلية تطوق الخيمين بإحكام ..

٢ - رجال القنصة المتمركزون حول الخيم بدأوا رميتهم على أهدافهم في الشوارع الضيقة ..

٣ - من التلال والمرتفعات المحيطة بالخيمين بدأت تنال القنابل وبكثافة ..

وطول ذلك النهار والجرحى يتوافدون إلى مستشفى غزة القريب حيث انكب الأطباء والمرضات على العمل دون انقطاع كما تم إرسال قسم من الجرحى إلى مستشفى المقاصد الذي يبعد عن الخيمتين حوالي ٥٠٠ متر ..

• دخول الكتائب :

بعد هذا التمهيد للمذبحة بدأت الكتائب تأخذ دورها وكانت قد أتمت إنجاز استعداداتها لالتحام الخيمتين وقبل دخولهم ولضمانة إنجازهم واستعداداتهم فقد اتصل الجنرال روفائيل ايتان بوزيره ارييل شارون أن الأمور تسير كما هو معد لها ..

وكان رد شارون على الجنرال دروري أن عليه أن يتحقق بنفسه من أن الكتائبين جاهزون ..

وفي الساعة الثامنة صباحاً عقد اجتماع هام في مقر القيادة العامة الإسرائيلية تولى فيه الجنرال ايتان شرح مهمات الكتائبين في الخيمتين ، وقد اشترك في هذا الاجتماع :

١ - رئيس المخابرات العسكرية ، والجنرال سانني ، أحد كبار موظفي الموساد .

٢ - ورئيس « شين بيت » أي قسم الأمن الداخلي .

وعند الظهر استقبل الجنرال دروري في قيادته العامة رئيس القوات اللبنانية (فادي فرام) ..

وسأله إذا كان رجاله على استعداد للدخول إلى صبرا وشاتيلا ، فأجابه المسؤول الكتائبي : نعم .. حالاً ..

عندها أعطاه الجنرال دروري الضوء الأخضر ..

* * *

بعد ذلك غادرت القوات الكتائبية التي قدرت بحوالي « ١٥٠٠ رجل » قواعدها لتتجمع قرب مطار بيروت الدولي ثم لتنطلق بعد ذلك باتجاه الخيمتين متبعة الأسهم والإشارات التي رسمت في الليلة السابقة على جدران المدينة ..

وفي الساعة الثالثة التقى الجنرال (موسى يارون) آمر القوات الإسرائيلية في بيروت برفقة اثنين من ضباطه بالمسؤول عن الاستخبارات في القوات اللبنانية الياس حبيقة وفادي فرام ..

ووضعوا معاً اللمسات الأخيرة بواسطة الصور الفوتوغرافية الجوية التي قدمتها إسرائيل ،
وبذلك انتهى مخطط الاقتحام ولم يبق إلا التنفيذ ..

كما أكد الجنرال الإسرائيلي لهما في نهاية الاجتماع أن قواته ستقدم لهما كل الدعم اللازم
من أجل « تطهير المخيمين من الإرهابيين » ..

بعد هذا الاستعداد اتصل الجنرال دروري بالوزير شارون ليقول له : أصحابنا
يتقدمون في المخيمين لقد نسقنا عملية دخولهم ..

ويجب شارون على ذلك : تهاينا تمت الموافقة على عملية أصحابنا ..

* * *

يا سادة .. قبل أن نمتلك ناصية الشجاعة ، ونكتب مأساة صبرا وشاتيلا ، نعم
الشجاعة .. فإن قسوة ما حدث يجعل الكاتب يلقي بقلمه فزعاً مما يسمع .. ويسجل ..
ويكتب ، لقد سافرت إلى تونس ، والتقيت بمن قدر لهم النجاة من المخيم ، والتقيت في
القاهرة بمن جاعوا بعد المذبحة ، وقرأت عدة كتب عن المذبحة ، ولقد سبق لي أن قرأت
عن المذابح التي حدثت في كل التاريخ الإنساني ، من مذبحة محمد علي والي مصر ضد
المماليك في القلعة ، إلى مذابح النازية ، إلى تلك المذابح التي حدثت لليهود في أسبانيا
وروسيا ، وهي المذابح التي صدرت عنها أطنان من الكتب وعشرات الروايات ، ومئات
الأقلام الروائية ، ولكن كل ماقرأت ، لا يقارن بذلك الذي حدث في صبرا وشاتيلا ، إن
الكلمات قد وقفت عاجزة تماماً عن وصف البربرية الإسرائيلية في صبرا وشاتيلا ، وأن ما
حدث من مجزرة ضد الصغار والنساء ، لم يحدث في كل التاريخ .. ورغم ذلك فما زالت
إسرائيل تطلق على الفلسطينيين الإرهابيين ، ورغم ذلك فما زال العالم يصدق القول
الإسرائيلي ، ورغم ذلك فإن أجهزة الإعلام الإسرائيلية تحاول أن تضغط على عقول البشر
في كل أنحاء الدنيا لكي تنسى تلك المأساة المفرطة في الوحشية والقسوة ومازلنا
- كعرب - غاية في التقصير في عرض هذه المجزرة على الرأي العام ..

أقول .. ان بعض الكتاب في الغرب قد استطاعوا تقديم صورة لما حدث في صبرا
وشاتيلا ..

أقول .. ان بعض صحافة الغرب ، وفي الولايات المتحدة ، قدمت جانباً من المجزرة ..

وأقول .. ان أجهزة الإعلام الغربية ، لم تمكنها قسوة المجزرة من السكوت عليها ، وأن
البشاعة التي حدثت وثقت بها تلك المجزرة ، أنستهم - ولو للحظات - انتماؤهم

السياسية ، وتأيدهم المطلق لصناع المجزرة « إسرائيل » ..

ولكن .. هنا .. لم نتمكن من تقديمها ..

بل إن أجهزة إعلامنا العربية تحاول أن تنسينا أبشع جريمة ارتكبتها « دولة إسرائيل » ..

يا مادة ..

لقد كانت هذه المجزرة هي دافعي لكتابة هذا الكتاب ..

يا كتاب العربية ..

نريد أن نقرأ ونسجل أحداث هذه المجزرة التي لم يحدث مثلها في التاريخ ..

نريد أن نلقنها للأجيال القادمة .. ليعرفوا دائماً ماذا فعلت بهم « دولة إسرائيل » ..

نريد أن نقيم مهرجاناً للشعر .. نتحدث فيه ، في ذكرى المجزرة عن ضحاياها ..

نريد أن نقيم مهرجاناً سنوياً للقصة نتحدث فيه عن أعداء البشرية الذين اقتحموا تخيمي صبرا وشاتيلا ..

فيا كتاب العربية .. لا تكونوا شياطين خرسا ..

* * *

والآن .. ماذا يعني تخيما صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين ؟

إن إسرائيل تتخيل أن المخيم الفلسطيني في أي مكان كالجيتو اليهودي ولكن المخيم الفلسطيني يختلف تماماً عن « الجيتو » ، إنه مكان يأوي كل الفقراء سواء أكانوا فلسطينيين أم غير فلسطينيين ، وسواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين ثم .. وليس له قوانين خاصة ، ولا طقوس خاصة ، بعكس الجيتو تماماً ، الذي يضم اليهود فقط ، ويمارسون فيه طقوسهم ، فالخيم تجمع علماني للفقراء ، والجيتو تجمع عنصري لليهود .. ولأن هذا المفهوم بعيد عن أذهان قيادة المؤسسة العسكرية وتصورهم أن « المخيم » وحدة يمكن أن تنطلق منه « صهيونية » فلسطينية .. مما جعل كل المخيمات في كل مكان هدفاً استراتيجياً لقوات إسرائيل الإرهابية ..

* * *

الآن .. قد اكتمل الإعداد للخطوة الإسرائيلية للقيام بالهجرة .. وعرف كل فرد من أفراد القوات الإسرائيلية .. وقوات الكتائب دوره في القيام بالهجرة ..

وجاءت ساعة الصفر ..

وكانت في الخامسة بعد الظهر من يوم الخميس ..

كان كل سكان المخيم بداخله ..

وكان الرجال قد تركوا المخيم ورحلوا من لبنان ، فإن أغلبهم من مقاتلي قوات منظمة التحرير الفلسطينية ، وبقي في المخيم النساء والأطفال والشيوخ ..

وكان ياسر عرفات قد حصل على وعد أمريكي بحماية المخيمات الفلسطينية في لبنان ..

* * *

قوات إيل حبيقة تجمعت في مطار بيروت الدولي ، ثم اتجهت إلى المخيمات .. حيث أطلقت المدفعية الإسرائيلية قنابل مضيقية لكي تتمكن القوات الكتائبية من دخول المخيمات ، ثم قامت المدفعية الإسرائيلية بإطلاق قذائف الهاون ، وقذائف المدفعية .. ثم توقفت لتبدأ قوات الكتائب بالهجرة ..

خرج السكان من بيوتهم في المخيم ، وقد تصوروا وصول قوات فلسطينية إليهم ، إلا أن قوات الكتائب بدأت في حصد كل ما يتحرك أمامهم ، سواء كان طفلاً صغيراً يركب بجناً عن أمه ، أم امرأة تبحث عن طفلها ، أم شيخاً لا يعرف المقاومة .. وسقط المئات ، ثم بدأ بعض الصغار ، مما لا تتجاوز أعمارهم اثني عشر عاماً مقاومة قوات الكتائب ، ولكن هؤلاء سقطوا قتل لأنهم لا يملكون من الأسلحة أكثر من بنادق .. ولأنهم لا خبرة لهم بالقتال ..

طلب إيل حبيقة من القوات الإسرائيلية - عبر لاسلكي الاتصال - بإلقاء قنابل مضيقية حتى يمكن اقتحام المنازل ، واستطاعت المدفعية الإسرائيلية أن تحول أرض المخيمات إلى نهار بسيل القنابل المضيقية ، واقتحم رجال الكتائب البيوت والعشش .. واستخدموا السلاح الأبيض في قتل السكان ..

ما كانت الساعة تكفي لذبح كل سكان المخيم ..

استمر الذبح ابتداء من الخامسة مساء يوم الخميس ، وطول يوم الجمعة .. ثم صباح السبت ، حتى طلبت إسرائيل من صنيعته حبيقة بالتوقف ، وتوقف حبيقة وقواته ،

وكان الخيم قد خلا من السكان أو كاد ، سواء بالموت من الرصاص ، أو الذبح بالسكين ، أو الهروب ..

* * *

بعد ظهر يوم الجمعة ، ومع اقتراب أصوات إطلاق النار أكثر فأكثر من المدرسة حيث كانوا يحتشون قرر الأخوان علوي وأشخاص آخرون أن يحاولوا الهرب إلى كورنيش المزرعة والخطوط الإسرائيلية ..

تحرك الجمع رافعين علماً أبيض من المدرسة عبر شارع محمد علي بهم إلى كورنيش المزرعة ، عندما اقتربوا من نقطة التفتيش الإسرائيلية المقامة على الشارع الرئيسي على زاوية مستشفى البربر أوقفهم جندي إسرائيلي ، وحسب جميع الروايات كان واضحاً أن الجندي قد فوجئ ، وربما كان قد أصيب بالخوف لدى رؤيته كل أولئك الناس قادمين إليه .. صاح الجندي في الجمع باللغة العربية أن يعودوا من حيث أتوا .. ثم دخل في موقع حصين أقيم على زاوية بناية وصوب بندقيته في اتجاه الناس الذين بدأوا على الفور ، يصرخون هلعاً وعادوا أذراجهم ..

تذكر أفراد من الجمع ، أن الجندي أخبرهم حينئذ أن يبعثوا شخصاً منهم يفسر ما يريدون . اختير رجل وأرسل ليتكلم مع الإسرائيلي .. وكما قال الناس ، أخبر الناطق باسمهم ، الجندي أن ميليشيا الكتائب يذبحون مدنيين في الخيميات وأنهم يحاولون الهرب ..

أخبر الجندي الإسرائيلي ، الناطق باسم الناس أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً وأضاف قائلاً أنهم إذا بقوا في المنطقة فإنه سيطلق عليهم النار ..

بدأ الناس يحتجون ، بدأت النساء يبكين ، ذكر أن الجندي الإسرائيلي أطلق حينئذ طلقتين من بندقيته في الهواء ليفرق الجمع المحتشد ، ويقول الشهود ، انه في تلك اللحظة تحركت دبابة إسرائيلية من كورنيش المزرعة إلى شارع محمد علي بهم ولاحقت الناس عشرات الأمتار ليعودوا باتجاه الخيميات ..

الصحافيون الذين ذهبوا إلى تقاطع المرور ، ذاك ، بعد ظهر يوم الخميس ، وجدوا رجلاً لبنانياً يعيش في شقة على الطابق الأول ، وقال لهم أنه رأى القصة بكاملها من شرفة منزله .. وأكد القصة التي رواها اللاجئون دون أي تعديل .. إذا صدقت رواية اللاجئين ، فإنه يتضح أنه حتى ما بعد ظهر يوم الجمعة ، لم يصدر القادة الإسرائيليون أي

أمر بالسماح للمدنيين بالمهرب من الساحة والمرور عبر الطوق الذي يقيمه الجيش الإسرائيلي حول المخيمات ..

« إذا ذهبنا في طريق وقعنا بين أيدي الإسرائيليين ، وإذا ذهبنا في الطريق الآخر وقعنا بين أيدي الكتائب ، قال طالب علوق ، ولهذا قررنا نحن جميعاً أن نعود أدرأجنا وأن نختبئ في المدرسة » ..

وبعد ذلك بحوالي أسبوع كانوا مايزالون هناك ..

القصص مروعة .. والقصص كثيرة .. بعدد الذين استشهدوا من الفلسطينيين في هذين الخيمتين .. وبعدد الذين شهدوا الرعب والموت كله وكتبت له الحياة ..

في الخيم ، أو بالقرب منه ، مستشفى أقامتها منظمة التحرير الفلسطينية .. للعناية بسكان الخيمتين ، ويعمل بهذا المستشفى عدد من الأطباء الفلسطينيين والأجانب ، وعندما بدأت المجزرة ، كان بالمستشفى حوالي عشرون طبيباً وممرضة أجنبية ، فماذا حدث في المستشفى ؟ :

في حوالي السابعة صباحاً من يوم الجمعة ، جاء إلى المستشفى ستة أو سبعة رجال من الميليشيات وأمرؤا الجميع بالخروج ، يقول الطاقم الطبي :

- في حوالي السابعة صباحاً ، جاء إلى المستشفى ستة أو سبعة رجال من الميليشيا وأمرؤا الجميع بالخروج منه ..

أخبرناهم بأننا لا نستطيع أن نترك المرضى ، قالت الأنسة أولوف الممرضة الهولندية ، فقالوا يستطيع إثنان منا أن يبقيا بعدكم كي يعتنوا بهم ، وتذكرت الأنسة أولوف ، كانوا جميعاً مسلحين ومجهزين تجهيزاً جيداً جداً ، بعضهم كانوا يرتدون خوذاً من النوع الإسرائيلي عليها صحيفة معدنية رقيقة ، وفي الحقيقة في البداية اعتقدنا أنهم إسرائيليون ، قالوا ينبغي علينا أن نسير معهم ، وكلما اقتربنا من شاتلا أكثر فأكثر ، رأينا أكثر فأكثر من رجال الميليشيات أولئك ، وبعضهم يلبسون أغطية رأس .. (طاقيات) سوداء ، ومن المعروف أن رجال الميليشيات الكتائبية يفضلون لبس الطاقيات السوداء ..

كان يختبئ مع مجموعة الأطباء والمرضى الأجانب ، ممرضان فلسطينيان كانا يحاولان أن يتسللا عبر شبكة رجال الميليشيات ليهربا ..

قال الدكتور مالوشاغني : « كنا خائفين جداً ، عندما دخلنا مخيم شاتيلا وجدنا جميع أولئك الناس يجلسون على طول الشارع الرئيسي ، وبينما كنا نسير سحب أحد رجال الميليشيات واحداً من المرضى الفلسطينيين خارج الصف وسأله عن هويته ..

قال الطبيب : سألناهم ماذا سيفعلون به ..

قال رجل الميليشيات : قم أنت بشغلك وأنا أتولى شغلي ..

ثم أخذوا الرجل في ركن بناية وسمعنا صوت طلقات الرصاص . هذا كل ما نعرفه ..
وأثناء سيرنا ، سحب المريض الفلسطيني الآخر خارج الصف ، أيضاً ، كما يقول الشهود ، ولم يعرف مصيره ..

■ إعدام في الشارع :

قال كثير من الشهود انه في لحظة ما ، أوقف رجال الميليشيات رجلاً يرتدي الزي الأزرق للمستشفى يسير مع مجموعة الأجانب من مستشفى غزة ، وسألوه عن هويته وعندما عرفوا أنه فلسطيني أعدموه بالرصاص في الشارع .

* * *

انتهت المذبحة ..

وقتل من قتل ..

وظهر السبب .. بعد انسحاب قوات المجزرة .. ساد الخيمين سكون رهيب كسكون المقابر ، واختفت بعض الجثث ، ودفن في أرض الخيمين البعض الآخر .. ولكن جانباً كبيراً من جثث الشهداء ظل في طرقات الخيمين ، كشاهد على تلك المجزرة الإسرائيلية التي لم تحدث في كل التاريخ ..

انسحب الكنائسيون تماماً من الخيمين ، واقتربت المصفحات الإسرائيلية من مداخل الخيمين ، معلنة بذلك أن الخطة الإسرائيلية للمجزرة قد نفذت بنجاح ، وأن كل شيء قد انتهى ..

وبدأ الناجون من المذبحة يظهرون من مخابهم ، وبدأوا يبحثون بين الجثث عن ذويهم ، وشهدت الشوارع الرئيسية للمخيمين ، مشهداً تراجيدياً جديداً يختلف عن مشاهد العنف السابقة ..

الطفل الذي وجد أمه فارتمى عليها يبكى ..

الأم التي وجدت جثث أولادها الأربعة ..

العجوز الذي يبحث عن أولاده في مقبرة جماعية ..

لقد احتلّطت الدموع بالنحيب بالبكاء بالمويل بالدعاء بآيات القرآن الكريم بنداءات الانتقام ، بالرحمة ..

* * *

وتعددت الجهات والهيئات التي شاركت في عمليات البحث عن الجثث والقيام بعمليات الدفن حيث وصلت إلى ١٢ هيئة وجمعية كما تضاربت الأرقام الحقيقية لعدد الضحايا ، فقد ذكر بيان أصدره الصليب الأحمر في ٢٢ أيلول ١٩٨٢ أنه تم العثور على ٦٦٣ جثة وفي ١٤ تشرين أول ١٩٨٢ نشرت إحدى الصحف اللبنانية المسائية نقلاً عن مصادر حكومية لبنانية أنه تم العثور على ٧٦٢ جثة منها ٢٦٢ جثة دفنت في قبور جماعية ولم يتم التعرف على أصحابها و ٣٠٢ جثة عرف أصحابها وتم حرقها من قبل فرق الإغاثة و ٣٤٨ جثة عرف أصحابها ودفنت بمعرفة الصليب الأحمر ..

مصادر حكومية لبنانية أفادت أن حوالي ١٢٠٠ جثة دفنت من قبل أصحابها وذويها وبذلك يصل عدد الضحايا إلى ألفي ضحية ، يضاف إلى هذا العدد ثلاث مجموعات من الضحايا ..

- مجموعة دفن المهاجمون أصحابها في حفر جماعية أثناء المذبحة فأصبح من المستحيل معرفة عددها الصحيح خاصة أن السلطات اللبنانية منعت منعاً باتاً فتح هذه الحفرة وتشير التقديرات إلى أن عدد الجثث في هذه الحفرة يصل إلى عدة مئات ..

- ومجموعة بقيت تحت أنقاض المنازل ومن الصعب معرفة عدد أصحابها وقيل أنها لعدة مئات وحالت شدة تعفنهما دون استخراجها ..

- ومجموعة تضم المفقودين الذين قدرت وكالة الأنباء الفرنسية عددهم بحوالي ألفين وهؤلاء هم الذين نقلوا بالشاحنات ..

وإذا تم تجميع أعداد هذه المجموعات فإن عدد الضحايا يصل إلى ما بين ٣٠٠٠ - ٣٥٠٠ ضحية ذبحوا في حوالي أربعين ساعة بين أيام ١٦ ، ١٧ ، ١٨/٩/١٩٨٢ ..

وكتب آمنون كابليوك : « بدأت المذبحة في الحال ، واستمرت أكثر من أربعين

ساعة ، دون انقطاع (...) خلال الساعات الأولى قتل المسلحون مئات الأشخاص .. وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك في الأزقة .. وقد حطموا أبواب المنازل وصفوا أسراً بكاملها كانت تتناول العشاء .. وقد قتل بعض الأهالي في أسرهم بلباس النوم ، كما وجد في العديد من المساكن أطفال في الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضاً في لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء (...) في حالات عديدة كان المعتدون يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم .. وكانوا يسحقون رؤوس الأطفال والرضع على الجدران .. نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلط .. أحياناً كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعدموا جماعياً وعلى عجل في الشارع بالبلطة والسكين ، نشر المسلحون الرعب وأخذوا يبيدون دون تمييز الرجال والنساء ، والأطفال ، والشيوخ (...) لقد عثروا على أيد نسائية بترت عند المعصم كي يمكن سرقة المجوهرات ؟ ..

* * *

تحت ضغط الرأي العام العالمي ، بادرت إسرائيل بتشكيل لجنة تحقيق تسمى لجنة كاهان ، واستمعت اللجنة إلى قادة الجريمة من الإسرائيليين ، وما يذكر هنا أن مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل قد بدأ حياته بمجزرة دير ياسين وأراد أن ينهي حياته بمجزرة صبرا وشاتيلا ..

* * *

يوضح هنا العقيد أبو الطيب قائد قوات المجموعة ١٧ .. يقول :

١ - ان المجزرة التي جرت في مخيمي صبرا وشاتيلا ليست وليدة لحظة غضب عفوي فجره اغتيال بشير الجميل ..

٢ - هدم المنازل والبيوت الفلسطينية في أي مكان يتواجد فيه الفلسطينيون سياسة إسرائيلية صهيونية تشكلت مع تشكيل العصابات الصهيونية منذ أول لحظة في احتلالهم أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .. من أجل ترحيل الفلسطينيين إلى أبعد مكان ممكن من وطنهم كذلك لإعاقة تجمعهم في مساكن متقاربة مما سيوحدهم ويولد عندهم شعور المشاركة والنضال من أجل الوطن، لذلك على الفلسطيني أينما وجد أن يبقى بلا بيت وبلا أقرباء ..

٣ - ان (البلدوزرات) التي دخلت الخيم كانت تهدف إلى هدف واحد وهو إتمام مهمة الكتاب وذلك بهدم المنازل والجثث بحيث تختفي آثار الجرائم وما قالته حكومة العدوان هذه (البلدوزرات) للمساعدة في رفع الحواجز والتاريس المتبقية خلف المقاتلين لسبب واضح وبسيط وهو أنه لم يكن هناك أية حواجز أو تاريس فلقد أزيلت كلها قبل المذبحة بأيام ..

٤ - في ٧ نوفمبر بعد المذبحة صرح الجنرال شارون أمام لجنة التحقيق قائلاً : لقد كنا نعرف أنهم يريدون هدم الخيمين ..

وأكد ذلك بعضهم ويعني « الكتاب » . فقد قالوا انهم يريدون أن يقيموا في مكان الخيمين حديقة للحيوانات ..

٥ - ان سياسة هدم المنازل لتثريد سكانها لم تكن جديدة على العدو الصهيوني ومارسها عشرات المرات ومنذ بداية الحرب في يونيو ١٩٨٢ ونحيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب تعرض للقصف والهدم (بالديناميت) وبالبلدوزر .

وقد أطلق على هذه العمليات في إسرائيل اسم عملية « تحطيم البنية التحتية للإرهابيين ورجال منظمة التحرير » ..

٦ - الخيلولة دائماً من أن ينتظم الفلسطينيون في جماعة وطنية في لبنان ولذلك فيجب أن تدمر كل المؤسسات الفلسطينية .. : المدارس ، .. المستشفيات ، مراكز الإسعاف والنشاط الاجتماعي على اختلاف أنواعها ، دور النشر والكتب مراكز الأبحاث الفلسطينية ، الفلسطينيين المتعلمين ، مراكز الشبيبة الفلسطينية بالذات ..

تهجير الفلسطينيين من لبنان إلى سوريا كما جاء على لسان الوزير الصهيوني ياكوف ميريديور والمعنى في الحكومة بشئون اللاجئين ..

حيث صرح بما يلي : ادفعوهم إلى الشرق نحو سوريا ، أتركوهم يذهبون ولا تتركوهم يعودون أبداً .. لقد شطب هذا الوزير من كوادرات الاحتياط لتصريحه العلني هذا ، لأنه بذلك يكشف علناً الدور الإسرائيلي في لبنان ولأنه أيضاً كشف عن بعض الأشياء التي تتعلق بالحرب الفلسطينية في لبنان ..

ولنستمع إلى شهادات أخرى من الذين بقوا على قيد الحياة ، أو الذين شاهدوا المجزرة عن قرب ..

ورقم ٢٠٠٠ له إجماعات ومدلولات خفية وغريبة ، إذا أخذنا في الاعتبار أن الحكومة

الأمريكية تعترف أنه ليس لديها دليل على بقاء أي مقاتلين في الخيميين .. ففي اتفاق حبيب ، قبلت إسرائيل بعدد الـ ٧١٠٠ فدائي من منظمة التحرير الفلسطينية والـ ٢٥٠٠ جنود فلسطينيين أو سورين آخرين ، وبالحساب الأمريكي فإن ٨٣٠٠ مقاتل من منظمة التحرير الفلسطينية ، و ٣٦٠٠ مقاتل آخرون قد غادروا (بيروت فعلاً) ..

لذا ، فإن إسرائيل كانت تعرف أنه لم يتبق في بيروت أي جنود تابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وحتى بعد أحد عشر يوماً من الاحتلال فإن إسرائيل لم تعط الدليل على وجود هؤلاء الألفي « إرهابي » ، وإذا اعتبرنا أن القيادة الإسرائيلية تعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية بكاملها إرهابيون ، وأن هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم من منظمة التحرير الفلسطينية أو أنصار لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبرون إرهابيين أيضاً ، وهكذا فطبقاً للمنطق الصهيوني فإن سكان الخيمات يعتبرون إرهابيين .. ويمكن أن يشكل هذا منطلقاً لشرح القرار بالسماح للكثائبيين بالاستمرار في القتل لمدة يوم إضافي ، حتى يوم السبت ، فمن المرجح أن الهدف المقرر المعلن للعشور على ٢٠٠٠ إرهابي ، سيتحقق في ذلك الوقت ..

وسبب آخر يمكن أن يفسر إطالة أمد المجزرة ، وهو ضرورة تدمير أي أناس يمكن أن يتمكنوا من تقديم الدليل على النشاط الذي حدث يومي الأربعاء والخميس أي يومي بداية المجزرة ، قبل أن يدخل الكثائبيون الخيميين ..

• شهادة :

« سمير أيوب ، فلسطيني ، أستاذ اجتماع في جامعة بيروت العربية .. قال إنه تحدث مع حوالي عشرة أشخاص ممن بقوا أحياء ، من بينهم عدد ممن هربوا إلى منزله الذي يبعد عن الخيميين مالا يقل عن ٢ كيلو متر » ..

« في وقت مبكر من يوم الخميس سمعوا صوت أناس يبنون ويصرون قال سمير :

- سمع الجنود الإسرائيليون صوت إطلاق النار ولكن المسئولين قالوا انهم افترضوا أنه يعني أن رجال الميليشيات يواجهون مقاومة مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية ..

فتاة يبلغ عمرها ١٧ سنة ، قالت ان اسمها أمل ، هربت مع أمها وأختها عبر أزة جانبية إلى مستشفى عكا ، وأعطت هذا الوصف للمذبحة :

- بدأ الناس يصرون ويصيحون : « انهم يذبحون ، انهم يذبحونهم .. بدأنا نصدق ما يقولون عندما أخذوا يجلبون الجرحى .. الجرحى بطعنات أطلقت عليهم من مسافة

قريبة سمعنا أن رجالاً مسلحين صفوا ثلاثين رجلاً أمام جدار وأطلقوا عليهم النيران ..
كان يوم الجمعة ، يوماً آخر من أيام الرعب العشوائي ، هرب عدد قليل من المدنيين ،
ليحكوا حكايات عن القتل الجماعي . لم يبد أحد كثيراً من الاهتمام ..
بعد ذلك ، صباح يوم الجمعة ١٧ سبتمبر / أيلول غادر أربعة أطباء مستشفى عكا ،
وهم يحملون راية بيضاء كي يدخلوا إلى مخيم صبرا ، أقيمت عليهم قنبلة وقتلت ثلاثة منهم
وجرحت الرابع ..

• شهادات المراسلين :

المراسلون الذين حاولوا أن يدخلوا المخيم أثناء نهار يوم الجمعة طردهم رجال
الميليشيات .. كان باستطاعتهم أن يسمعوا أصوات إطلاق النار آتية من داخل المخيم ..
وفي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر ، بدأ طاقم تلفزيوني دغماركي في تصوير
المدخل الجنوبي للمخيم ، أوقف رجال الميليشيات المسلحون النساء ومنعوا من مغادرة
المخيم ، لوحث إحدى النساء بجواز سفرها ، أو بطاقة هويتها ، وصرخت قائلة « لبنانية ،
لبنانية ، إلا أنهم أعادوها أيضاً داخل المخيم ، قال الطاقم التلفزيوني أن فيلمهم أظهر أن
رجال الميليشيات تابعين للرائد حداد ..

رجل عجوز شوهد يمشي في المخيم ، وجد بعد ذلك مقتولاً برصاصة في الرأس ،
وتعرف عليه جار له بأنه السيد نوري وعمره تسعون سنة ..

حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، سأل جايس برينغل ، مراسل مجلة النيوزويك ،
أحد رجال الميليشيات خارج المخيم ، من أين جاء ، وأجاب الرجل أتيت من الجنوب ، مما
يعني أنه واحد من رجال الرائد حداد ..

سأل السيد برينغل ، ماذا يحدث في الداخل ، وقال إن الرجل أجابه حسناً أننا
نذبهم ..

قال عقيد إسرائيلي عبر الشارع إن الإسرائيليين لم يدخلوا المخيم ، وحين سئل عن احتمال
أن يخرج رجال الميليشيات عن الطوع ، أجاب : آمل ألا يحدث ذلك ، قال مزيد من
الناجين أن المهاجمين كانوا يلبسون زي رجال الرائد حداد ، ويتكلمون لهجة لبنانية
جنوبية ..

في وقت ما خلال نهار الجمعة ، تحركت الجرافات إلى الداخل وبدأت في جرف الجثث تحت حطام المباني المهتمة ، ظل الجنود الإسرائيليون خارج الخيميين .

● أم كايد فلسطينية : لا أستطيع أن أنسى ما فعله الوحوش بالنساء والأطفال .. كدت أفقد عقلي عندما بقروا بطن أم مبارك الحامل في شهرها التاسع بسكين طويلة وبعثروا أحشاءها وأخرجوا الطفل وأجهزوا عليه بالرصاص .. قتلوا عفاف بنت محمود ووالدها .. قتلوا صالح الطيبي وأخاه أحمد .. قتلوا ماجد خري وأحمد حشمي وعبد السلام بركة .. قتلوا علي الطوخي وسعيد العابدي وموسى العابدي وإبراهيم العابدي ووالدهم المسكين .. قتلوا رجلاً اسمه ماضي وأخاه محمد ووالدهما .. قتلوا قاسم أبو حرب ووالده وأخويه وليد ومحمود ..

أما جارقي التي كانت تسكن قبالي ، فبقيت مع عائلتها لأنها لم تنبه إلى ما كان يحدث ، فنحن نعيش منذ مدة وسط دوي القذائف وصوت الرصاص ، .. وجدناها موثقة اليدين مذبوحة .. انتزعوا سروالها ، وأعتقد أنهم اغتصبوها .. أما أفراد عائلتها فلم نجد لهم أثراً ..

تعال معي أريك كيف قتلوا أبو علي مقداد .. قتلوه وقطعوا يديه بالبلطات .. فصلوا رأسه عن جسده ..

اضحك يا أبو علي .. وراك رجال راح ينتقموا .. استفردوا فينا يا أبو علي بعد ماراح الأبطال ..

كانت أم كايد تندب « أبو علي » المذبوح وإلى جانبه بركة من الدماء .. وعلى بعد مترين كان رأسه منتصباً وقد شوّهت ضربات السكين معالم وجهه ..

لبناني رفض ذكر اسمه : « كنت وزوجتي نغادر نجيم شاتلا بعد زيارة لأقربائي هناك ، وجاء المسلحون في سيارات عسكرية إسرائيلية .. كانوا يرتدون لباساً مدنياً .. بدأوا يطلقون النار على كل جسم متحرك .. ركض أبناء الخيم في كل اتجاه طالبين النجاة .. اتهم علينا الرصاص من الخلف ونحن نركض .. ولكننا لم نتوقف .. وصلنا إلى مشارف الخيم من الجهة الشرقية .. فوجئنا بمجموعة من الإسرائيليين يقيمون حاجزاً على الطريق .. تقدموا مني فأبرزت هويتي اللبنانية على الفور .. ولكنهم انهالوا على ضربا بالهراوات .. حاولت زوجتي أن تصرخ فلم تستطع .. كان الدم ينزف من صدرها ، بصقوا عليها ، وراحوا يتحدثون بلغة لم أفهم منها شيئاً .. وفي هذا الوقت صاح أحدهم مشيراً إلى عائلة

كانت تحاول الخروج من الخيم .. وانطلق هو ورفاقه وراء العائلة وهم يطلقون الرصاص ..

وكانت هذه فرصتنا ، تعاملت على نفسي ، وساعدت زوجتي على النهوض .. كانت كلما سارت تقع على الأرض .. تمكنا من الوصول إلى الطريق الآخر ولكن زوجتي سقطت صريعة .. وجلست بجوارها أبكي إلى أن جاءني رجل وشدني إلى بيته القريب ..

● **حسين المقداد - لبناني :** وقفت دقائق وسط الشارع ، لا أدري أين أتوجه ، أفقت على صراخ امرأة وهي تشدني بقوة من قميصي وتقول : اهرب ، إنهم يذبحون الجميع .. لماذا تقف كالأبله ؟ حاولت أن استوضح الأمر ولكنها غابت بين الناس ..

بدأت أركض .. سمعت صوتاً يقول : قف وإلا قتلناك .. حاولت الالتفات .. سمعت أصوات طلقات نارية ، وظللت أركض وأركض ، بدأت أشعر بثقل في ساقَي اليسرى ، وأن سائلاً ساخناً ينساب عليها .. ولحقت بالنساء والأطفال والشيوخ الهاربين .. بدأوا ينظرون إليّ ويتهايمسون ، اقترب مني أحد الرجال وقال : أنت مصاب ، إنك تنزف ، يجب أن تذهب إلى المستشفى ..

بعد ثلاثة أيام ، قال لي أحد أقربائي : لقد نسفوا بيتك ، ووجدنا زوجتك مربوطة ومذبوحة وسكاكين القتلة عملت في أجساد أطفالك .. لقد تمكنا من دفنهم .. وبعد أن تشفى يمكنك زيارتهم ..

● **يسرية عطية العموشي - مصرية :** دخلوا ملجأين بالقرب من مستشفى عكا ، وقتلوا جميع العائلات التي كانت بداخلهما ثم قاموا بنسف الملجأين بالديناميت ..

سمعت أصوات الانفجارات عند الساعة السادسة مع حلول الظلام ، لا أعرف كيف حملتني ساقاي على الهرب . عدت يوم السبت ، ووجدت رجال الإسعاف يتشعلون الجثث .. لم يكن سهلاً التعرف على أي من الضحايا ..

● **لبنانية :** كنت في الملجأ مع زوجي وأولادي الخمسة ، حيث اختبأ مايزيد على سبعين شخصاً أثناء القصف الوحشي .. ابنة الجيران واسمها « عايدة » أبو ردينة ، وتبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، قالت : سأخرج لأحضر بطاقات الهوية أنا فتاة ولن يعترضوني ..

وبعد لحظات سمعنا طلقات الرصاص وصرخة ، ثم صمت . وصمم والدها المعجوز أن يخرج لكي يستطلع الأمر . حاولنا منعه دون جدوى ، وخرج ولقى مصير ابنته عايدة ..

حبسنا أنفاسنا ولم يقو إنسان منا على التحرك داخل الملجأ خوفاً من اكتشاف أمرنا ، لكنهم قدموا ، طلبوا منا الخروج من الملجأ ، قلنا لهم نحن نسوة ومعنا أطفال لكنهم أصروا على خروجنا ، فرزوا الرجال والأولاد ، طلبوا منهم الانبطاح على الأرض .. ورشوهم بالرصاص .. صرخنا وركضنا لحماية رجالنا ، ولكنهم لم يرحمونا ، قتلوا امرأتين وأصابوا أكثر من ثلاث نساء بجراح ..

بعد ذلك أخذوا ثلاث فتيات وربطوهن بالحبال واغتصبوهن على مرأى منا ..

• منير - فلسطيني : منير فتى فلسطيني في الثالثة عشرة من عمره ، استشهد والده وشقيقه في مذبحة تل الزعتر سنة ١٩٧٦ ، وانتقلت العائلة إلى مخيم الرشيدية قرب صور ، ثم انتقلت مرة ثانية إلى مخيم شاتيلا بعد الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان سنة ١٩٧٨ ..

كنت ووالدي وشقيقي وشقيقاتي الثلاث في المنزل عندما بدأت القذائف تتساقط في كل مكان فتوجهنا إلى ملجأ قريب .. تجمعت فيه تسع عائلات أخرى .. في الساعة السابعة والنصف جاء المسلحون ، وطلبوا منا أن نخرج من الملجأ .. كان المخيم مضيئاً كأننا في وضوح النهار ..

كانوا يتحدثون العربية بلهجة أهالي جنوب لبنان ، وكانوا يرتدون زياً عليه صورة شجرة أرز على الكتف اليمنى .. وشارة مستديرة عليها كتابات في أعلى الصدر .. ولم أتمكن من قراءة المكتوب على هذه الشارات ..

بدأوا في فرز الرجال والنساء والأطفال ، ووقف الرجال بمحاذاة الحائط وسرت أنا ضمن مجموعة النساء والأطفال ..

وعند رحيلي تمكنت من مشاهدة أفراد الميليشيات وهم يضربون الرجال بالعصي وكان الرجال يسقطون الواحد تلو الآخر ..

أخذونا إلى محطة بنزين قريبة . وتركونا في حراسة بضعة رجال بعد أن قالوا انتظرونا سنذهب لتناول العشاء ..

وما أن عادوا بعد ساعة حتى أطلقوا النار علينا .. وقع الجميع على الأرض .. عندئذ قالوا لنا : على الذين أصيبوا أن ينهضوا لنقلهم إلى المستشفى . لم أنهض برغم إصابتي وهمست في أذن أُمي ، وكانت قد سقطت بجوارتي : لا تنهضي إنهم كاذبون ..

وبالفعل ، فقد أطلقوا النار على الجرحى للإجهاز عليهم ، وصوبوا عليهم ضوء

كشافهم للتحقيق من أنهم ماتوا جميعاً .. ووضعت رأسي على الأرض وحسبت أنفاسي إلى أن رحلوا .. وقضيت الليل بجوار أسرتي ، من مات منهم ومن كان يحتضر .. ولم أشعر بموت أمي ..

وفي صباح يوم الجمعة عادوا لكي يضعوا علينا أغطية . ولاحظ أحدهم أنني أرتعش فأطلق النار مرتين .. لم تصبني الرصاصة الأولى ، أما الرصاصة الثانية التي كانت مصوبة إلى رأسي ، فقد أصابت خدي الأيمن الذي كنت أضع عليه يدي .. وأصابت الرصاصة سبابتني ولا لمست خدي ثم سقطت على الأرض .. وفرد القاتل الغطاء فوقنا فلم أعد أرى ولكنني سمعهم ينادون سكان المخيم طالبين منهم الخروج والتجمع في « المدينة الرياضية » ..

بعد ذلك رحلوا ، ولم أعد أسمع شيئاً ، واغتصمت الفرصة لكي أنهض وسرت في أول شارع ضيق ، ودخلت أول منزل قابلني ، وأردت تغيير ملابسني التي كانت ملوثة بالدماء ..

فاجأني إثنان من الميليشيات ، وصرخا في وجهي : أنت لاتزال حياً .. سوف تقتلك كما قتلنا الآخرين أعطنا ما وجدته من ذهب ونقود . قلت لهم إنني لم أسرق شيئاً وكل ما فعلته في المنزل هو تغيير ملابسني وتوسلت إليهم أن يتركوني سألتني أحدهم : هل أنت لبناني أم فلسطيني ؟ فأجبتته بأنني لبناني . قال : اذهب لو كنت فلسطينياً لقتلناك ..

سرت نحو مخيم صبرا وأنا أعرج ، وأمام المسجد وجدت شباناً من المخيم أخذوني إلى مستشفى غزة ..

في المستشفى غاب منبر عن الوعي ولم يستيقظ إلا في اليوم التالي حيث وجد نفسه في مستشفى وسط بيروت الغربية ، فقد نقله الصليب الأحمر الدولي إلى هناك ..

ويضيف عمه الذي عمر عليه : منذ يوم السبت الماضي وهو لا ينام .. ويسألنا دائماً : هل أنتم واثقون بأنهم لن يأتوا إلى هنا ؟ ..

• علي خليل عفانة - طفل في القاعة - كانت الساعة الحادية عشرة والنصف سمعنا صوت انفجار كبير وتلاه صوت امرأة تن ، وفجأة اقتحموا منزلنا ، واندفعوا كالذئاب يفتشون الغرف .. صاحبت أمي تستنجد فأمطروها بالرصاص ، مد أي يده يبحث عن شيء يدافع به عن نفسه ، لكن رصاصهم كان أسرع ، لم أقو على الصراخ ، فقد انهالوا علي طعناً بالسكاكين ..

لا أدري ماذا جرى بعد ذلك ، لكنني وجدت نفسي في المستشفى كما تراني ، ملفوف
الرأس والساقين ..

قال لي رفيق في المدرسة ، كان في زيارة أمه في المستشفى ، أن بيتنا تحول إلى
أنقاض ... جاءت خالتي أمس لزيارتي ، فسألته عن مصير إخوتي الثلاثة ولكنها لم
تجيب .. لقد ماتوا جميعاً ، أنا أعرف ذلك ..

وحاول أن يغطي وجهه يديه ، كان يشعر أنه أكبر من دموع ساخنة انساب بقوة
على خديه الصغيرتين ..

● **شيخ فلسطيني** : شيخ عجوز ، جاوز الستين من عمره يتكىء على عصاه ..
وعلى كتف حفيدته السمراء ، يسير بين أنقاض الخيم ، والأسى مرئس على تجاعيد وجهه ..
يبحث عن عائلتي داخل البيت بين الأنقاض ، ولم أجد أثراً لأحد منهم .. البيت تحول
إلى أطلال ، قال لي رجال الإسعاف أن أتوجه إلى مسجد الخيم أو المدينة الرياضية ،
للبحث عن عائلتي بين جثث الضحايا ..

في المسجد وجدت إحدى بناتي مربوطة اليدين والقدمين ، ومذبوحة وإلى جانبها
طفلها الرضيع يشد صدر أمه .. هو الآخر طعنوه بالسكين ..

على بعد قدمين شاهدت زوجتي المسكينة .. كانت مذبوحة أيضاً .. يدها اليمنى كانت
تمسك بذراع أحد أبنائي ، يبدو أنها دافعت عن ابنتها .. وبالقرب منها كانت ابنتي
الصغرى مضجرة بدمائها .. تناثرت حولها أوراق ممزقة من القرآن الكريم .. وقد تبللت
بالدم ..

هؤلاء المساكين .. اعتقدوا أن المسجد آمن فالتجأوا إليه ..

● **جميلة - لبنانية من مخيم شاتيلا** : يوم الخميس مساء سمعت الناس يركضون في
الشارع وهم يصرخون .. تسللت أنا وابنتي أمل إلى مستشفى عكا حيث قضينا الليل ،
وفي صباح يوم الجمعة عدت إلى الخيم لأطمئن على والدي والدي وجدتي البيت مهتماً ،
ووجدت والدي المقعد في فراشه ، وبجواره كرسيه المتحرك أما والدي ففترت عليها جثة
هامدة في الطريق ..

حاولت الرجوع إلى المستشفى .. فأمسك بي أحد المسلحين .. أبرزت بطاقتي
اللبنانية ، فقادني إلى بيت قريب ، كان هناك أربعة آخرون اغتصبوني جميعاً ..

ليتهم قتلوني كما قتلوا أبي وأمي وأشقائي ، لقد قتل المجرمون ٢٤ فرداً من عائلتي ..

● **فاطمة علي شمس الدين - لبنانية :** كنا في المنزل عندما بدأ إطلاق الرصاص .. خرجت أبحث عن أختي ، فوجدتها في الطريق جثة هامدة وقد اخترق الرصاص ظهرها .. عدوت نحو المنزل لأحذر الجيران ، وصرخت فيهم أن يهربوا فقالوا لي نحن لبنانيون ولن يصيبنا شيء .. قضيت الليلة في المستشفى .. وعندما عدت في الصباح وجدتهم جميعاً جثثاً هامدة ..

● **أمينة أحمد حسين - فلسطينية :** أعرف أن زوجي وابني البالغ من العمر ١٥ سنة قد قُتلا ، لكنني لم أعر حتى الآن على جثتهما ، سمعت صوت طلقات الرصاص يوم الخميس ، وخلال الليل كان المسلحون يستخدمون المشاعل لإضاءة طرقات المخيم .. وفي يوم الجمعة أدركنا أنهم سيقتلونا ، ففررنا إلى مستشفى عكا ، اقتحم المسلحون المستشفى ، وأخذوا معهم جميع الرجال الفلسطينيين ، ومن بينهم ابني وزوجي كانوا يسألون كل فرد عن جنسيته فإذا كان فلسطينياً أوقفوه بجوار الحائط .. وكانوا يضربونهم بأعقاب البنادق .. أخذوا النساء إلى استاد المدينة الرياضية وأمروهن بعدم العودة إلى المخيم ..

حاولت العودة إلى المخيم يوم السبت ، واقتربت مع آخرين من نقطة تفتيش إسرائيلية ، وقال لنا أحد الإسرائيليين : لماذا لا ترجعون مع هذه المنظمة إن هذا البلد ليس بلدكم ..

● **لبنانية - ممرضة في مستشفى عكا :** حاصروا المستشفى يوم الجمعة ، حاول حارس المستشفى عم أبو سعيد أن يستوقفهم لكنهم أمطروه بالرصاص ، ظل ينزف دون أن يقوى على مساعدته أو الاقتراب منه أحد .. وعبر مكبرات الصوت طلبوا من الجميع مغادرة المستشفى ..

قرر عدد من الأطباء أن يخرجوا لمقابلة المسلحين والتفاهم معهم .. رفعوا راية بيضاء وتقدموا نحو مدخل المستشفى .. لكن المسلحين قابلوا الراية البيضاء والرداء الأبيض بقنبلة ألغوها بين أقدام الأطباء ، سقط الأطباء على الأرض .. وكانوا ينزفون بغزارة .. أخذت زميلة لي حجراً وألقته على القنلة وهي تصرخ بجنون .. واندفعت نحو الأطباء لمساعدتهم فأمسك بها المجرمون .. صفعوها بقوة فوقعت على الأرض وقد أغشى عليها .. ومزقوا رداءها الأبيض .. وجروها على الطريق إلى الرصيف الآخر واغتصبوها .. تناوب عليها خمسة وحوش ..

واقتحم عدد من المسلحين المستشفى ، وطلبوا من الرجال الوقوف جانبا .. حاول بعض الأطباء الأجانب مساعدتنا ، لكن المسلحين سبوهم بالإنجليزية والفرنسية

والعبرية .. وصفع أحدهم طبعاً نرويجياً وبصق عليه ..

ساق المسلحون الرجال إلى جهة مجهولة ، أما نحن فقد حملونا في سيارة كبيرة توجهت إلى سن الفيل .. توقفت السيارة أمام مبنى كبير كان يرتفع على ساريتة علم الكتائب .. تقدم منا أحد الضباط وسأل المسلحين : ما هذا جئتم بالنساء ؟ أريد الرجال .. ورد عليه المسلحون : قتلناهم يا سيدي .. ابتسم الضابط ابتسامة عريضة وهنا القتلة على ما فعلوه وقال لهم أنتم أبطال ..

● **مصطفى جبيرا - فلسطيني من مخيم شاتيلا :** كان عددنا يقارب الثلاثين اعتقلنا القتلة يوم الجمعة مساء ، أمرونا أن نصطف عند جدار أحد المنازل ، وبدأوا يطلقون علينا النار من أسلحة أتوماتيكية .. ولم نستطع أن نراهم بسبب الظلام ..

بعد رحيلهم ، سمعت شخصاً إلى جانبي يئن .. كان جريحاً مقط فوقه أحد الضحايا ، ساعدته على النهوض ، وزحفنا إلى منزل مهجور حيث مزقنا بعض الأمتعة وربطنا بها جراحنا النازفة .. وفي الصباح جاء بعض أهل المخيم ونقلونا إلى المستشفى ..

في صدري رصاصة عجز الأطباء عن إخراجها ، وفي ذراعي وساق شظايا لرصاص متفجر ، حاول الأطباء إخراج الرصاص لكن الشظايا لا تزال موجودة فيها ..

زوجتي وأطفالي الثلاثة مفقودون ، لكن والدتي مريم تقول انهم موتي وتؤكد أن القتلة قطعوهم بالبلطات ..

● **وجنات زين عبد اللطيف - مصرية :** كان عدد كبير من المصريين يسكنون هنا في مخيم شاتيلا ، وكثيرون منهم مازلوا مفقودين مع عائلاتهم .. لكنني عثرت على جثث العشرات منهم ..

ولجأت إلى مستشفى عزة يوم الجمعة عندما علمت بالمذبحة ، ولكنهم حاصرونا داخل المستشفى يوم السبت صباحاً ، وكان عدد اللاجئين إلى المستشفى يزيد على ١٠٠٠ شخص فصلوا الفلسطينيين عن الأجانب ، واقتادوهم رجالاً ونساء وأطفالاً إلى منطقة المدينة الرياضية ، هناك وضعوهم في حفرة عميقة ، أحدثتها صواريخ الطائرات خلال القصف الوحشي .. طلبوا منهم الانبطاح داخل الحفرة .. وصبت البنادق الرشاشة حممها داخل الحفرة .. بينما راحت ثلاث جرافات إسرائيلية تدفن الأحياء والأموات .. الكثير من الرجال حاولوا الإفلات من الجحيم دون جدوى فقد كان القتلة اليهود يطلقون النار عليهم ..

رأيت ذلك بعيني .. فقد لحقت بهم ، واختبأت خلف حائط قديم عملت أحداث القصف فيه بعض الثقوب ، رأيت من خلالها ما جرى دقيقة بدقيقة ..

كاد أحد المسلحين أن يكتشف أمرى ، فقد صرخت دون إرادة عندما مرت الجرافات على أجساد الأطفال والرجال والنساء ..

بقيت هناك فترة لا أدري مداها ، محتبئة بين أكياس من القش .. كنت في شبه غيبوبة لا أعني شيئاً .. أفتت على صراخ النسوة وهن يبحثن عن أقربائهن القتلى .. أخبرت الصحفيين ورجال الإسعاف المدني ، لم يصدقوني ، ولكنهم عندما اكتشفوا الحقيقة طلبوا منى مغادرة المنطقة والاختباء ..

* * *

مازالت هذه المجزرة في حاجة إلى استمرارية إلقاء الضوء عليها ..

ومازالت هذه المجزرة لم تحصل على حقها في التسجيل التاريخي ..

وأقدم لياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال أوراق هذا الكتاب ، بأن يشكل لجنة من أساتذة التاريخ من الجامعات العربية والعالمية ، لتضع كتاباً ، ينشر بكافة لغات الدنيا عن تلك المجزرة التي لم يحدث مثلها في التاريخ البشري .. فلم يشهد موقع من مواقع الكرة الأرضية ، حمامات دم غزيرة مثلما شهدت أرض مخيمي صبرا وشاتيلا .. ولم يشهد بشر إرهاباً وترويعاً مثلما شهد سكان المخيمين ..

• السفاح الذي قاد المجزرة :

اليهود المخلصون لإسرائيل ، والعاقلون في كل أنحاء العالم الذين وقفوا بجوار اليهود ، واستنكروا المذابح التي أقيمت لهم .. كل هؤلاء طالبوا قادة إسرائيل بالتوقف عن المذابح التي يرتكبونها في حق الشعب الفلسطيني ، بل والشعوب العربية الأخرى ، في محاولة لإبادة الأول وإضعاف الثاني .. وقالوا انه لا يوجد دولة استمرت وهي قائمة على الإرهاب ، وطالبوا إسرائيل بالتخلي عن صهيونيتها ، .. وإقامة المجتمع العلماني حيث يعيش اليهود والعرب في مساواة كاملة ، وقدموا حلولاً كثيرة لإنقاذ إسرائيل من دمار محقق ، وقالوا أن قادة إسرائيل يحفرون قبر إسرائيل ذاتها بأيديهم ..

ولكن .. هل يمكن للقادة الاسرائيليين ، قبول هذه الحلول المعروضة عليهم ؟

لا يتصور أحد قبولهم هذا المنطق العقلاني ، والمنطقي ، ذلك أن هؤلاء القادة لا يملكون إلا الإرهاب فكراً وعقيدة وتاريخاً . بل من الواضح أن « الفكر الإرهابي » يسود في إسرائيل عن الفكر العقلاني ، وأنه يكتسب كل يوم أنصاراً جدداً ، وأن أشد القادة إرهاباً في إسرائيل هم الآن المثل الأعلى لشباب إسرائيل اليوم ، إذن .. فلا أمل من أصوات العقل والمنطق وستظل إسرائيل بؤرة الإرهاب في الشرق الأوسط ، فإن هؤلاء الإرهابيين السابقين واللاحقين هم المثل الأعلى للأجيال القادمة في إسرائيل .. وهذه سيرة أرييل شارون بطل المجزرة ، فهو أحد قادة إسرائيل ، ووزير دفاع ، والذي قاد القوات الإسرائيلية في ثغرة الدغرسوار عام ١٩٧٣ ، وهو الذي قاد مجازر الدولة في إسرائيل وفي نفس الوقت هو « بطل شعبي إسرائيلي » ، وسوف نقل هنا تاريخ هذا السفاح من مقال نشرته مجلة « نيوزويك الأمريكية » :

- بغض النظر عن العناد والتمرد ، كانت إسرائيل بحاجة إلى ضباط شجعان ، ولم يكن هناك من هو أكثر عدوانية من شارون .. وذات مرة حين ذكر ديان فكرة أسر جنديين عربيين لمبادلتهما مع أسيرين إسرائيليين قفز شارون إلى سيارة جيب ، وتقدم عبر خط الهدنة ، وقبض على جنديين أردنيين .. وخلال هذه الفترة كان شعار فرقة ١٠١ هو « لن نعود حتى نحقق مهمتنا » وأما فيما يتعلق بالانتقام من العرب ، يقول شارون : كان الأمر على طريقة العين العين .. وأحياناً أكثر من ذلك ..

وأحياناً أكثر كثيراً ، ففي هجوم واحد على قرية قبية سنة ١٩٥٣ ، قتلت فرقة ١٠١ تسعة وستين مدنياً نصفهم من النساء والأطفال ، وذلك حين فجرُوا ٤٦ بيتاً في القرية .. ويقول شارون انهم لم يكونوا يعلمون أن الناس موجودون في البيوت .. ولكن الحادثة جلبت لإسرائيل أول إدانة في مجلس الأمن الدولي ..

وفي هجوم آخر سمي « السهم الأسود » ، في يوم ٢٨ فبراير / شباط ١٩٥٥ دخلت قوات شارون المظلية قطاع غزة ، الذي كان حينئذ تحت السيطرة المصرية وقتلت ٧٧ جندياً مصرياً ، بعضهم كانوا نائمين في خيامهم .. وطبقاً لما ذكره قائد مصر الجديد جمال عبد الناصر بنفسه ، أنه قرر حينئذ فقط أن يتوجه للاتحاد السوفيتي طلباً للسلاح الذي يحتاجه لمقاتلة إسرائيل .. وطوال السنوات الثماني عشر التالية أصبحت مصر زبوناً لموسكو .. وأدى هذا إلى حالة استياء حتى في إسرائيل ذاتها ، كان رئيس الوزراء موشيه شاريت قد أمر بعملية تسفير عن قتل ما لا يزيد عن تسعة مصريين وكتب شاريت في صحيفته : لقد أتحنا إمكانية لكتيبة المظليين لكي تتسامى بالانتقام إلى مستوى المبدأ ..

وقد تعجب شارون كيف يمكن لفرد أن يعرف مسبقاً كم من الناس يمكن أن يقتلوا في هجوم ..

كان أحد البارزين في فرقة ١٠١ ، رجل يسمى مائير هارتسيون كانت أخت هارتسيون قد قتلت على يد البدو بحض الصدفة حين عبرت حدود الأردن - وأثناء سعيه للانتقام ، اختطف هارتسيون أربعة أفراد بدو وذبحهم وتكمن أهمية الحادثة في أنها جعلت بن جوريون يكتب في مذكراته أنه إذا كان بإمكانه (شارون) أن يخلص نفسه من عدم قول الحقيقة - فإنه (شارون) سيكون نموذجاً للقائد العسكري .. ويحفظ خصوم شارون هذا القول عن ظهر قلب ..

قال شارون لي في القدس : سأخبركم عن هذا الموضوع كان بن جوريون يحبني .. كنت واحداً من القلائل الذين يطرقون باب بيته سواء في الليل أو في النهار .. كنت جندياً من نوعه ، أي من الجنود الذين يعرفون كيف يفعلون ما يريدون .. وأثناء الاجتماعات كان بن جوريون يستدعيني - مما يثير استغراب وانزعاج الضباط الأعلى مني مرتبة - أي تقريباً جميع الموجودين .. كانوا يشعرون بالغيرة من الاهتمام الذي أحظى به .. وصدقني لقد دفعت ثمن ذلك طوال سنوات عديدة .. الضباط الذين حضروا هذه الجلسات كانوا يتمنون أن ينالوا مني وتحجيمي .. حسناً وقد حدث ذات مرة - مرة واحدة - أن كذبت على بن جوريون ، كان هو حينئذ وزير الدفاع ، وكان دايان رئيساً للأركان ، وكنا نحن الإثنين نعلم بالمهمة الخاصة التي يقوم بها هارتسيون .. إلا أن دايان أنكر معرفته بالهجوم وحينما سألتني بن جوريون عما إذا كان دايان يعرف به .. كذبت حماية لدايان .. ومنذ ذلك الوقت رددت القصة ، واختصرت ، وبدأ الناس يكتفون بالقول أنني كاذب ماذا يمكنني أن أفعل ..

الفصل التاسع

الإرهاب الإسرائيلي ضد الأسرى والمعتقلين

« عندما أرى صور الأسرى الفلسطينيين في الصحف وأيديهم وأرجلهم مربوطة وأعينهم مغطاة ، لا حيلة لهم في الجو الحار الرطب ،
لأستطيع أن أقلب الصفحة أو أن أفكر في أي شيء آخر ..

ولقد كتبت بعد عودتي من الضفة الغربية بعد حرب عام ١٩٦٧
في مقال لي ألي مررت بظروف تفاوتت بين الجيدة والسيئة ، خلال
سجنني الذي استمر لمدة أربع سنوات كأسير حرب في ألمانيا ولكن
الألمان لم يعاملوني قط بالفظاظة التي يعامل بها الإسرائيليون العرب في
قطاع غزة والذين كان أغلبهم من النساء والأطفال ، إن هذه الحقيقة
اغتردة وهي توضح أهمية توفير الحماية هؤلاء الفلسطينيين الواقعين في
قبضة إسرائيل في معسكرات الاعتقال في جنوب لبنان » ..

مايكل آدمز * * *

المجاردان البريطانية

١٩٨٢/٨/٩

الفصل التاسع

الإرهاب الإسرائيلي ضد الأسرى والمعتقلين

في حرب عام ١٩٦٧ ، كان أرييل شارون أحد قادة القوات الإسرائيلية التي انطلقت إلى شرق قناة السويس ، وسقط في أيدي القائد الإسرائيلي آلاف من الأسرى المصريين .. لماذا فعل بهم ؟ ..

يقول أوري أفيري في صحيفة « هاعولام » الإسرائيلية في عددها بتاريخ ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٣.. في حرب عام ١٩٦٧ ، كان الجيش الإسرائيلي الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون ، وهو المسئول شخصياً عن مصرع مئات من الجنود المصريين ، إذ رفض اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب ، لأن تعليمات الجنرال ديان كانت تقضي بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين في سيناء وتأمراً بإبادتهم ..

ويقول إيلان هاليفي في كتابه « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة » في كتاب صدر في تل أبيب عام ١٩٦٩ باللغة العبرية (حروب المظليين) يحصي يوري ملشتاين العمليات التي قامت بها الوحدة (١٠١) الشهيرة المتخصصة بتدمير القوى العبرية خارج حدود الدولة الجديدة ، ويرفق هذا الإحصاء بروايات وشهادات الجنود المشتركين ، كان قائدها شارون ، وثابته شلوحويوم الذي يحكي عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجنود المصريين الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام ١٩٥٦ ، ولم يحقق في هذه القضية ، وكان بطل هذه الوحدة مائير هارتسون الذي ألف كتاباً عن تلك الفترة في عام ١٩٦٩ ، وفيه يصف مشاعر الحنين إلى الماضي حيث كان يتلذذ بقتل رجل مسكين ، وهو نفسه الذي أعلن في حديث لمجلة هارتس في عام ١٩٦٥ أنه لم يشعر بالندم ، وتساءل لماذا يجب أن يشعر بذلك ؟

وفي مقال ليوري أفيري بتاريخ ١٩٧٩/٨/١ في صحيفة هآرتس الإسرائيلية ، وتحدث فيه عن الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل ضد المدنيين والأسرى العرب ، وقال « خلال حرب الأيام الستة (١٩٦٧) مات الآلاف من الجنود المصريين ضرباً بالرصاص أو عطشاً بعد نهاية القتال ، ولقد حصلت مناقشة لمعرفة إذا كان يجب أو لا يجب إنزال

المياه بالمظلات لآلاف الجنود المصريين التائهين في الصحراء ، ولكن ماتم تنظيمه .. كان هو مصيدة للرجال بين التلال شجعها بعض الضباط الكبار ، ومنهم من ساهم فيها شخصياً ..

لقد ذكرنا هذه الشهادة في مكان آخر نظراً لخطورتها ، ولكن أنفيري لم يوضح في هذه الشهادة هل تم إنزال المياه ، وعندما جاء الجنود المصريون إليها حصدهم جنود إسرائيل بالرصاص ؟ أم ماذا ؟

ويقول روجيه جارودي في كتابه « ملف إسرائيل » ، « وهناك استفزازات سبقت حرب سيناء الأولى ، وكان شارون يقود شخصياً عمليات القتل من خان يونس وبني سهيلة ليلة ٣١ أغسطس عام ١٩٥٥ ، كما قام بغارات على الأراضي المصرية والسورية على حد سواء » ..

لقد بدأنا بهذه الشهادات ، لنؤكد في البداية عدم التزام إسرائيل بالمواثيق والقوانين الدولية ، ولا حتى بحقوق الإنسان ، فلقد وقع في قبضة المؤسسة العسكرية خلال حربي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ آلاف من الجنود المصريين .. وكانت تعليمات بن جوريون في حرب ١٩٥٦ ، وكذلك تعليمات ديان في حرب عام ١٩٦٧ ، هي قتل الأسرى ، ولقد التقينا بهؤلاء الذين كتب لهم النجاة وسقطوا في الأسر ولم يقتلوا من جنود مصر ، ولقد أكدوا أن الأسير المصري يواجه الموت كل لحظة ، منذ لحظة وقوعه في الأسر حتى عودته إلى أرض الوطن ، فلحظة الأسر ، كل مقاتل وحظه ، فقد ينسقط في الأسر وهو محاط بعدد من الجنود يقودهم إرهابي متطرف أمثال شارون ، ومائير هارتسون ، وهذا يعني الموت فوراً .. ولقد شاهد الجنود المصريون طابوراً من الأسرى المصريين وقد أمرهم قائد المجموعة الإسرائيلية أن يقفوا طابوراً أمام حائط إحدى مساكن مدينة خان يونس وذلك في حرب عام ١٩٦٧ ، ثم أمر القوة الإسرائيلية بإطلاق الرصاص عليهم ، فسقطوا جميعاً قتل .. وأنهى القايد الإسرائيلي مهمته ، وذهب للبحث عن صيد جديد ..

ولكن .. إذا ذهب المقاتل إلى معسكرات الاعتقال داخل إسرائيل فإنهم ينقل في شاحنات معصوب العينين مقيد اليدين والرجلين ، ويظل جنود إسرائيل يضربونه حتى يصل إلى المعسكر ، وفي المعسكر يترك عدة أيام بدون غذاء وقليل من الماء ، مع إهانات لا حصر لها ، ومع ضرب مبرح وتعذيب شديد في حالة أي مخالفة « كنظرة عتاب » ، وكان الإسرائيليون يأتون بالمعلبات المصرية التي وجدوها في سيناء ، ثم يفتحونها ، ويضعونها في أوان كبيرة ، كل الأنواع الحلو وغير الحلو ، ويقدمونها غذاء للجنود .. وآه لو خالف الأسير أي تعليمات إسرائيلية ، فإنهم يأخذونه ولا يعود ، لأن إسرائيل

تأمل في تقديم أسماء الأسرى لحيطة الصليب الأحمر الدولي ، قبل التحقيق معهم ، وفي التحقيقات - لو اكتشف المحقق - كذب المقاتل ، ودائماً ما يحاول المقاتل ألا يقدم معلومات صحيحة فإنه يذهب إلى حيث لا يدري به أحد ..

ربما كانت معاملة الأسرى المصريين عام ١٩٧٣ أكثر كرمًا من أي معاملة في حروب أخرى ، والسبب أن مصر استطاعت أن تأسر مئات من جنود إسرائيل ، من هنا كانت خشية اليهود أن تكون المعاملة بالمثل ..

ولكن .. لقد عاد المقاتلون من الأسر في حربي عام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وقدموا إلى القيادة العسكرية والسياسية في ذلك الوقت عدة تقارير خطيرة عن معاملة الأسرى المصريين في سجون إسرائيل ، بل وقبل عودة هؤلاء وتقديم تقاريرهم كانت الصحافة العالمية تتحدث عن قسوة معاملة المصريين الأسرى في سجون إسرائيل .. وكانت حتى هذه الصحف ممنوعة من الدخول ، ذلك أن النظام كان يخشى « اهتزاز الأمن السياسي الداخلي » ، في حالة إثارة هذه القضية ..

فماذا حدث بالنسبة للأسرى الفلسطينيين ؟

في البداية ، نقول أن « الأسير الفلسطيني » في سجون إسرائيل ، هو الذي كتبت له النجاة ، بطريقة خارقة ، وحظ كبير ، فأسرائيل تفضل قتل العربي عن أسره ، فما تريده إسرائيل هو إبادة الشعب الفلسطيني ، وله في ذلك محاولات ، بل إن الأسير الفلسطيني يوضع على ظهره علامة (X) ، وهي تعني للحرس أنه يمكن قتله دون مساءلة ، يقول أبي وايسفيلد في كتابه أوراق صبرا وشاتيلا : « الشعب الذي تعتبره السلطات الإسرائيلية أهدافاً مشروعة لشن الحرب عليه هو على أحسن الأحوال شعب يوصف بصفات غامضة من بينها استخدام نعوت (صفات) مثل « الإرهابيين » « حثالة الأرض » و « منظمة التحرير الفلسطينية » .. لتعني بذلك ليس فقط القوات المقاتلة لمنظمة التحرير الفلسطينية بل أيضاً أولئك الذين لا يحملون سلاحاً ، ولا يعبأون داخل إطارات وتشكيلات عسكرية وأولئك الذين يمكن أن يكبروا ويصبحوا مقاتلين .. وأولئك الذين يمدون يد العون لقوات منظمة التحرير الفلسطينية معنوياً ، وأيضاً أولئك الفلسطينيون الذين يساندون مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية معنوياً ، وبكلمة أخرى - الشعب بكامله ..

ولتصوير العقلية التي تستجيب لاستخدام صفة «الإرهابيين» المطاطة كما يلصقها بالفلسطينيين وابل التبريرات الصهيوني ، فإن الجيش الإسرائيلي لجأ إلى التفريق بين اللبنانيين والفلسطينيين وذلك بتميز الفلسطينيين بعلامة (X) على ظهور ملابسهم ، وذلك كرمز للتدليل على هويتهم القومية ، ولابد من ملاحظة أن هذا يماثل سلوك النازي بوضع علامة مميزة للسكان اليهود وذلك برسم النجمة اليهودية بلون أصفر ، على ملابسهم .. كما ينبغي أيضاً ملاحظة أن علامة (X) تستخدم عادة كرمز يشير إلى أن الموضوع قد سقط وأنه رهن للتصفية أو الإزالة .. والهدف الباطن لهذا التصرف هو التقليل من قيمة الفلسطينيين الذين يوضعون هكذا في وضع أدنى من الإنساني ، والذي يعني بالنسبة للجيش الإسرائيلي .. على صعيد الممارسة أن هؤلاء الأفراد يمكن قتلهم دون الأخذ في الاعتبار القواعد القانونية ..

• سجل حافل لسفاح :

من المهم أيضاً على وجه الخصوص أن يؤخذ في الاعتبار سجل القادة الإسرائيليين .. للقادة الذين هم في موقع المسؤولية عقليات تساعد على وقوع المجزرة في صبرا وشاتيلا .. وهذا واضح ليس فقط كنتيجة لسلوكهم خلال مجريات هذه الحرب الأخيرة .. بل أيضاً خلال سيرتهم وسلوكهم بالعلاقة مع إسرائيل ذاتها ..

وفي مقال نشر في مجلة نيويورك في ٩ أغسطس / آب ١٩٨٢ يقدم تاريخاً شخصياً لوزير الدفاع أرييل شارون نجد الوصف التالي :

— بل إن المسجون الفلسطيني ، يوضع في السجن ، ويتم تحريض السجناء اليهود عليه ، فيكون السجين العربي دائماً عرضة دائمة ومستمرة للتعذيب الوحشي من قبل المسجونين اليهود المتهمين في جرائم القتل والسرقة والاعتصاب وما أكثرها في إسرائيل ..

إن عدد المعتقلين والمسجونين والموقوفين من الفلسطينيين في سجون إسرائيل غير معروف في أي لحظة من اللحظات .. وعدد الذين لقوا حتفهم من شدة التعذيب غير معروف ، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية قد توصلت إلى أسماء مائة شهيد ؟ لقوا مصرعهم داخل السجون الإسرائيلية ، ونشر أسماء هؤلاء ولم تعلق إسرائيل ..

ورغم حصولي على شهادات عربية عن الإرهاب الإسرائيلي داخل السجون الإسرائيلية ، وأن هذا الإرهاب يصل إلى حد الموت ، إلا أنني سأعتمد على شهادات إسرائيليين ، ومؤسسات دولية ، وكتاب من الدول الغربية ..

* * *

يقول الكاتب الإسرائيلي إيلان هاليفي والذي يقيم في باريس :

- رافق العاصفة التي سببها عام ١٩٧٧ تحقيق مجلة « التايمز » اللندنية حول التعذيب في السجون الإسرائيلية ، تدفق الشهادات والتقارير التي تدين المحتلين .. في باريس نشرت اللجنة المنظمة « لحملة من أجل حقوق الإنسان في إسرائيل » والتي عقدت في باريس مؤتمراً صحفياً مع الحماية ليا تسجيل ، نشرت بتاريخ ١٩٧٧/١١/٧ ملفاً مؤقتاً حول التعذيب في إسرائيل :

- كان العام ١٩٧٧ قد بدأ بإضراب عن الطعام ولقى بعض السجناء حتفهم من جراء المحاولات العنيفة لإعطائهم الطعام بالقوة .. وقد تفتت تدريجياً الحصانة التي كانت تتمتع بها إسرائيل في ميدان حقوق الإنسان بفعل الوقائع التي أصبح تبريرها صعباً ..

كذلك يؤكد تقرير عام ١٩٧٨ لمنظمة العفو الدولية في الفصل الخاص بـ « إسرائيل والأراضي المحتلة » ، قلق المنظمة بما يخص قضايا الاعتقالات الإدارية ، واكتظاظ السجون ، والتعذيب ، مذكراً بأن تحقيقاً ميدانياً أولاً قد جرى وكان غير مقنع وأنه يبدو أن السلطات الإسرائيلية سترفض التصريح بقيام تحقيق آخر ..

في السنة التالية ١٩٧٩ افتتح التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية الفصل ذاته بالملاحظة التالية : « رغم ضرورة التمييز بين إسرائيل بمحد ذاتها حيث يسود النظام البرلماني وبين الأراضي المحتلة الخاضعة للسيطرة العسكرية ، فإن منظمة العفو الدولية تعبر عن قلقها إزاء الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان التي تحصل في المنطقتين ..

بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٩ أعلن الفرع الفرنسي لمنظمة العفو الدولية في بيان صحفي أن المنظمة تطلب من إسرائيل فتح تحقيق علني بعد الشكاوي العديدة حول المعاملة السيئة التي يلقاها المتهمون في الأراضي المحتلة .. وفي شهر ١٩٨٣/٢ أصدرت منظمة العفو الدولية ملفاً مفصلاً حول القيود الإدارية وبالأخص فرض الإقامة الجبرية دون اتباع الإجراءات القانونية ، سواء في إسرائيل أو في الأراضي المحتلة ..

ويحتوي التقرير الذي سبق ذكره لسنة ١٩٨٢ للجنة الخاصة في منظمة الأمم المتحدة ، على وصف شامل ومفصل للممارسات القمعية بما في ذلك البعد الدموي الذي اكتسبته أخيراً بفعل الإرهاب « غير المسيطر عليه » في الأراضي المحتلة ..

* * *

حاولت لجنة الصليب الأحمر الدولي زيارة المعتقلين الفلسطينيين في معسكر الأنصار -- قبل الإفراج عنهم -- ، وعقدت جلسات استماع في أوسلو وفي بيروت ومن هذه الشهادات ، فإن معتقل الأنصار^(١) ، كما تأكدت اللجنة يصبح بالشكل التالي : لقد تم تجميع الأسرى بمعتقل « أنصار » في « أقسام » في كل منها حوالي ٥٠٠ شخص (٢٠ خيمة في كل منها ٢٥ معتقلاً في القسم رقم ٢٠ حيث يقى الدكتور شفيق الإسلام أكثر من شهرين) ..

وقد أنيطت ببعضهم مهام معينة ، فكان لكل قسم « مختار » و « نائب » مختار وعدد من المساعدين المسؤولين عن المطبخ وتوزيع الطعام والتنظيف .. الخ . وكان المختار مسؤولاً بوجه خاص عن حفظ النظام العام ومجبراً على ضرب زملائه الأسرى تنفيذاً لأوامر الحرس الإسرائيلي .. ولا يوجد أي دليل على أنه كان ينال مكافأة معينة مقابل أداء هذه المهمة ماعدا بعض السجائر ..

وقد أحيطت اللجنة الدولية علماً بأن الأسرى الذين أنيطت بهم هذه المهام لم ينتخبوا من قبل زملائهم ولكنهم عينوا مباشرة من قبل الإسرائيليين ..

وزادت الحالة تدهوراً بسبب الازدحام عندما نصبت خيام من نوع جديد في الأسبوع الأول من أكتوبر ، ووضع في كل خيمة منها ٤٠ شخصاً بدلاً من ٢٥ .. وكان لهذه الخيام الجديدة جدران جانبية بينما الخيام القديمة كان له أسقف فقط .. مع هذا فقد ظلت حالة الأسرى سيئة لأنهم كانوا مضطرين أن يجلسوا طوال النهار جنباً إلى جنب في الخيام ولا يمكنهم التحرك إلا بإذن خاص .. وكان يسمح لهم بالمشي في الخارج مدة ١٠ دقائق في الساعة ٣٠ صباحاً ، و ١٠ دقائق في الساعة ٥٠٠ مساءً .. وكانوا عاطلين طيلة اليوم ، وكان أكثرهم حظاً يلعب الورق أو الشطرنج الذي وزعته عليهم لجنة الصليب الأحمر الدولية ..

(١) كان بهذا المعسكر أكثر من ٩٠٠٠ أسير فلسطيني ولبناني ومصري وبعض الجنسيات الأخرى ، وقد تم الإفراج عنهم عام ١٩٨٥ ، وقد قال مراسل واشنطن بوست في ٢٨/٧/١٩٨٢ عن معسكر الأنصار أن الغزوة الإسرائيلية قد غيرت ملامح منطقة الجنوب اللبناني ويبدو واضحاً أنه لا يوجد ذكور فلسطينيون في المنطقة من سن ١٦ إلى سن ٦٠ سنة ..

كان الوضع الصحي بائساً والمراحض بدائية وملاصقة للخيام عندما لا تكون في داخلها .. وكثيراً ما كنت تطفح ، فتغمر المياه والغائط أرضية الخيام وتصبح الروائح لا تطاق حتى من قبل أولئك الحراس الواقفين خارج الأسوار .. وبسبب صعوبة الاغتسال (يوجد ١٠ صنادير لحوالي ٥٠٠ شخص حسب أقوال الدكتور الإسلام) ، تقشي الحرب .. وكانت العيادات الطبية التي يفترض أنها أقيمت في كل قسم لا تعمل .. وقد حرم المرضى والجرحى من العناية الطبية .. وقدم الدكتور الإسلام للجنة الدولية قائمة بأسماء المرضى الخطرين الذين لم يقدم لهم أي علاج .. أما بالنسبة للطعام فقد كان سيئاً وأحياناً كان الأسرى يحرمون من الطعام لمدة أيام بدون إبداء أسباب ، حسب أقوال الدكتور الإسلام الذي ظل قسمه بلا طعام مدة ثلاثة أيام متوالية .. ويلاحظ أن الأحوال المعيشية تختلف من قسم إلى آخر بدون مرر واضح ..

أما المفرج عنهم فكان معظمهم من اللبنانيين مع عدد قليل من الفلسطينيين .. وقد انتبته اللجنة إلى حقيقة أن المفرج عنهم لم ترجع إليهم بطاقات هوياتهم التي أخذت منهم عند اعتقالهم فقد كانوا يعطون بطاقة أسير ، وعند إطلاق سراحهم يسلمون وثيقة تحررها السلطات الإسرائيلية .. وهذا يضعهم في موقف صعب جداً أمام السلطات اللبنانية .. فمنذ بداية سبتمبر بدأ الجيش اللبناني في بيروت يعتقل كل من لا يمتلك أوراقاً سليمة ..

وقد قررت لجنة الصليب الأحمر الدولية في تقريرها المؤرخ في ٩ أغسطس ١٩٨٢ بأنها قد اضطرت مرتين منذ ٤ يونيو إلى تذكير كل الفرقاء بالتزاماتهم وفق اتفاقيات جنيف ، وعلى الأخص تلك المتعلقة بحفظ حياة المدنيين والجرحى الذين تحت العلاج ..

وقد أقرت اللجنة الدولية أن منظمة التحرير الفلسطينية تعتبر طرفاً في القتال في حدود معاني اتفاقية جنيف ١٩٤٩ المتعلقة بأسرى الحرب ، وأن العملية المسماة « السلام للجليل » موجهة ضدها ..

وقد اعترف كثير من الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية ومنها لبنان الذي دار القتال على أرضه .. وفي تقدير اللجنة الدولية فإن منظمة التحرير الفلسطينية تمتلك قوات مسلحة نظامية (جيش التحرير الفلسطيني) وميليشيات منظمة .. وقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية في ٧ يونيو أنها وفقاً للمادة ٢ القسم ٣ تقبل مواد اتفاقيات جنيف .. ولا يوجد أي سبب صحيح لاعتبار هذا القبول غير فعال .. وفي هذه الظروف فإن من رأي اللجنة الدولية أن الاتفاقية الثالثة تجبر إسرائيل على أن تعطي وضع أسرى الحرب لمقاتلي م. ت. ف ، وكذلك لأعضاء ميليشيات الحركة الوطنية اللبنانية الذين لم تلق

قضيتهم من الاهتمام حتى الآن ..

ووفقاً لهذا القرار فقد بحثت اللجنة فيما إذا كانت حكومة إسرائيل قد التزمت بالاتفاقيات ، آخذة في الاعتبار ما سبق ذكره وتجمعت لديها أدلة تشير إلى قائمة الانتهاكات الإسرائيلية للقانون الدولي وهي كما يلي :

- رفضها معاملة المقاتلين الذين اعتقلتهم القوات الإسرائيلية معاملة أسرى الحرب
- خلافاً لنصوص المادة الرابعة من اتفاقية جنيف الثالثة والمادة ٤٤ من البروتوكول الأول ..
- اعتقال رجال الخدمات الطبية خلافاً لنصوص المواد ٤ ، ٦ ، ٣٣ من الاتفاقية الثالثة (١٩) ..

- طلب المعلومات من المعتقلين خلافاً لنصوص المادة ١٧ من الاتفاقية الثالثة و ٣١ من الاتفاقية الرابعة ..

- إساءة المعاملة والتعذيب والإذلال والمصادرة للممتلكات الخاصة ومستندات الهوية
- خلافاً للمادة ٣ من الاتفاقيات الأربع ، والمواد ١٣ - ١٤ - ١٨ من الاتفاقية الثالثة والمادة ٢٧ - ٣٢ من الاتفاقية الرابعة ..

- نقل المعتقلين إلى منطقة سلطة الاحتلال خلافاً للمادة ٤٩ من الاتفاقية الرابعة ..
- ظروف الاعتقال لا تتفق ومواد الاتفاقيتين ..

وفي هذه النقطة الأخيرة نجد كثيراً من الحقائق لا تفي بمتطلبات الاتفاقيات ..

- مكان الإقامة والذي يجب أن يكون مماثلاً للمكان الذي تقيم فيه قوات سلطة الاعتقال .. وكذلك الطعام الذي يقدم للأسرى لا يتماشى مع المواد ٢٥ - ٢٦ من الاتفاقية الثالثة بصورة واضحة ..

- كثير من المعتقلين لم تتع لهم فرصة التريض كما تقضي بذلك المادة ٣٨ من الاتفاقية الثالثة و ٩٤ من الاتفاقية الرابعة ..

- الإجراءات الصحية كانت غير كافية بشكل واضح ، خلافاً لنصوص المواد ٢٩ - ٣٢ من الاتفاقية الثالثة ..

- ويشكل الافتقار إلى العناية الطبية انتهاكاً خطيراً للمادة ٣٠ من الاتفاقية الثالثة والمواد ١٠ ، ١١ من البروتوكول الأول ..

* * *

كان ما سبق عن معسكر أنصار ، حيث جمعت إسرائيل من جنوب لبنان كل صبي وشاب ورجل وشيخ في الجنوب ، سواء كان فلسطينياً أو غير ذلك .. ولكن ماذا عن بقية المعتقلين في السجون الإسرائيلية ، ونستمع الآن إلى الكاتب الإسرائيلي إسرائيل شاماك رئيس رابطة حقوق الإنسان والمواطن في إسرائيل ، يقول شاماك .

- أما الأساليب الإرهابية التي يتعرض لها المعتقلون والسجناء العرب في المناطق العربية المحتلة والمواطن في إسرائيل تتميز بأنها لا تترك آثاراً واضحة على أجسام المعتقلين .. ومن بين هذه الأساليب الوحشية إصدار الأمر إلى السجين والمعتقل بالوقوف لمدة أسبوع أو أكثر وذلك لانهاكه وتحطيمه جسدياً .. وقد تسبب استعمال هذه الطريقة في تورم أقدام المعتقلين الفلسطينيين .. ويصاحب عملية الوقوف الطويل هذه وضع كيس مصنوع من مادة ثقيلة على رأس المعتقل .. إضافة إلى ذلك ، تلجأ السلطات إلى تقييد يدي المعتقل إلى ظهره وربط يديه بالأغلال التي تشد على الرسغ كما حدث مع المعتقل صبحي زيدان ، وذكرت التقارير أن المعتقل عبد السلام عاشور في سجن المجدل قد وضع في الشمس الحارقة بعد أن وضعت عليه الأثقال والحقائب ، وبدأ الجنود يضربونه على قدميه والدوس عليه بأقدامهم وعلى معدته ..

وهناك أساليب أخرى للتعذيب يمارسها المحققون ، كما حدث مع المعتقل بسام جوده وهي الضغط على خصيتيه وأعضائه الجنسية .. كما يعطي المعتقلون أحياناً بعض الأدوية التي تؤدي إلى إثارتهم .. ومن أساليب التعذيب أيضاً شد الشعر وضرب الرأس على الحائط وتعليق المعتقل من القدمين ..

ويعمد المحققون إلى رش الغاز في وجوه المعتقلين ، مما يؤدي إلى إصابة المعتقل بالحروق نتيجة الحرارة الزائدة .. وتلجأ السلطات إلى إحضار أقرباء المعتقل للضغط عليه وتهديد المقربين إليه ، خاصة الزوجة والأم والشقيقة والإبنة بالاعتداء عليهن في حضور السجين بغية تحطيمه نفسياً ..

* * *

وذكرت صحيفة تسوهاديرخ الصادرة يوم ١٩٦٨/٩/٤ بأن المعتقلة عيلة طه قالت في مقابلة مع المحامية فيليسيا لانجر أنها تركت عارية بعد اعتقالها لمدة ثمانية أيام في زنزانة وضربت بوحشية حتى بدأت تنزف ، ذلك لأنها كانت حاملاً ورفض طلبها للعلاج ..

* * *

وذكرت جمعية الصليب الأحمر الدولي في تقريرها عام ١٩٦٨ ، أن عدداً من المعتقلين يتعرض للتعذيب أثناء الاستجواب من قبل الشرطة العسكرية ، وأن التعذيب يأخذ الأشكال التالية :

- التعليق من الأيدي لساعات طويلة حتى يفقد المعتقل وعيه .
- التعليق من الأرجل .
- الحرق بأعقاب السجائر .
- الضرب على الأعضاء التناسلية .
- الربط وعصب العينين لأيام طويلة .
- عض الكلاب .
- استخدام الكهرباء على الرأس والفم والصدر والأعضاء التناسلية .
- استخدام الماء البارد والساخن .

* * *

ونشرت اللجنة العربية - الأمريكية ضد التفرة وثيقة تضمنت إفادات ثلاثة أطباء جرى اعتقالهم في أعقاب عملية غزو لبنان وهم الدكتور كرسنوفر جيانو من كندا ، والدكتور ستييز بيرج والدكتور ايويفيند مولر من النرويج ، (وقد نشرت نص الوثيقة صحيفة المدينة السعودية يوم ١٩٨٢/٩/١١) قال الدكتور جيانو في شهادته التي أدلى بها يوم ١٣ تموز أمام اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي ، بعد أن تحدث عن ظروف عملية الغزو وأهوالها والدمار والحرب الذي ألحقته بالأراضي والبيوت والممتلكات .. أوقف الجنود الصهاينة السكان في طابور على شاطئ البحر ليمروا أمام ثلاث سيارات جيب كانت تقف بالمكان وفي كل منها شخص مقنع .. وعند مرور طابور المحتجزين أمام السيارات أخرجوا عدداً كبيراً منهم ليضعوا على ظهورهم علامات مميزة ، نقلوا بعدها إلى حائط ووجوههم متجهة نحوه .. وبهذا الأسلوب اعتقل الإسرائيليون حوالي خمسة آلاف رجل كنت أنا « جيانو » وزميلاتي النرويجيان منهم، بعدها سيق المعتقلون إلى السجون والمعتقلات ..

أما عن الظروف داخل المعتقل فقد كانت عسيرة للغاية ، كانت الأيدي موثوقة وحرار الشمس تلسع الأجساد التي أضناها قلة الماء والطعام .. وكان السجناء يؤخذون إلى غرف التحقيق ..

ويضيف جيانو قائلاً : لقد تعرضت للتحقيق خمس مرات خلال الأيام الأربعة التي قضيتها بالمعتقل وكنت أثناء واحد من هذه التحقيقات أسمع صوت الضرب في الغرفة المجاورة وعندما خرج الشخص الذي كان يجري استجوابه رأيت وجهه منتفخاً وعينه مسودتين وقد سأل الدم من فمه ..

لقد كان منظر المعتقلين صورة مريعة عن وحشية الأربعين سجاناً ، الذين كانوا يضربون سجناءهم دون تمييزهم .. وكانت الإجابة على من يطلب الماء دائماً بعدم وجود الماء ، وعندما يلح السجين في الطلب يتعرض للإساءة التي يعقبها الضرب والركل .. وقال الدكتور جيانو : أن وحشية الضرب والتعذيب بلغت حدّاً شامدا فيه هو شخصياً أربعة سجناء يموتون نتيجة لهذا العنف الوحشي .. حيث استدعى للكشف على الجثث ، ويضيف الدكتور جيانو بأن الضباط الإسرائيليين بما فيهم حاكم مدينة صيدا العسكري الكولونيل أرون أموزر كانوا يشاهدون ما يقوم به جنودهم من ضرب وتعذيب ..

* * *

وتقول المحامية الإسرائيلية فيليسيا لانجر التي ترافعت في كثير من قضايا المواطنين العرب في المناطق المحتلة أمام المحاكم الإسرائيلية .. (تقول في مقابلة صحفية نشرت نصها صحيفة القبس الكويتية يوم ١٨/٥/١٩٨٤) « صدقني أنني عندما أتحدث مع زوجي عن أساليب التعذيب والوضع في السجون فإنه لا يصدق .. وزوجي رجل تعرض للاعتقال من قبل المانيا النازية ، ودخل معسكرات الاعتقال النازية .. لكن عندما أروي له ما يحدث في السجون ضد المعتقلين العرب ، فإنه لا يكاد يصدق ولكن تستطيع أن تقول أنني حققت أول نصر لي بتقديم رجل بوليس إسرائيلي للمحاكمة بتهمة تعذيب المعتقلين العرب في سجن الفارعة .. فلا أحد يدري أهمية هذا الفوز .. فهو الأول من نوعه حيث نجحت في إثبات أن المحققين يعذبون المعتقلين لانتزاع الاعترافات منهم وبالطبع هذا الفوز لم أصنعه بل صنعه المعتقل وليد العارضة الذي أكد للمحكمة رغم التهديد تعرضه للتعذيب من قبل محقق يدعى موشيه بيتون - وقد قدم بيتون للمحاكمة بعد ثبوت قيامه بتعذيب وليد العارضة ..

* * *

إن الجريمة التي تتم كل يوم سرّاً في إسرائيل ، هي مسئولية المجتمع البشري كله ، لقد
حركت الجرائم التي ترتكب ضد السجناء في سجون إسرائيل ضمائر بعض الإسرائيليين
أنفسهم أمثال إسرائيل شاماك والمحامية لانجر والكاتب إيلان هاليفي .. والفيلسوف
الإسرائيلي عمري بنجامين ، والكاتب الصحفي أوري أفنيري ، فمتى يتحرك العالم لإنقاذ
هؤلاء الذين يتعذبون كل يوم في السجون الإسرائيلية ..

الفصل العاشر

الجيتو الكبير

- حياتنا تقوم على طرد وسحق العرب بجميع الوسائل وضم الاراضى المحررة الى اسرائيل .
- الانتقام مفهوم يهودى خالص ، وكان يتعين على اليهود العاديين الاخذ به منذ فترة طويلة .
- اعطوني القوة للتعامل مع اولئك العرب مرة واحدة وإلى الابد .
- امنيتى اقتلاع العرب من الجذور .
- لا امان لامرأة يهودية ، او طفل يهودى ، او رجل يهودى مادام هناك عربى واحد على هذه الارض ، ولذا يجب تشغيل محركات المحرقة ضد كل العرب بأصابع من لهب .

الحاخام مائير كاهانا

الجيتو الكبير

والآن .. وقد تحقق لليهود الحلم التاريخي .. « وعادوا » إلى أرض الميعاد ، ووجد الشعب « الأرض » التي يبحث عنها ، وتجمع الشتات فوق أرض واحدة .. فهل تخلوا على الجيتو اليهودي ؟ وسلخوا مسلك الدول ؟

من خلال دراستي للمجتمع اليهودي في إسرائيل ، فإنه يمكن القول دون عناء ، أن الرواد الأوائل قد حولوا إسرائيل إلى جيتو كبير ، وأعني بذلك أن « الرواد الأوائل » قد نقلوا كل سليات الجيتو إلى إسرائيل ، فحولت بذلك إسرائيل إلى أكبر جيتو في تاريخ اليهود . كيف ؟

من سليات الجيتو أن مكانه يرفضون الاندماج تماماً مع غير اليهود ولقد احتل اليهود فلسطين ، وبداخلها بعض مكانها الأصليين من الفلسطينيين وكان المفروض أن ينصرف الرواد على أساس أنهم يعيشون في دولة ، ولكنهم يتصرفون على أساس أنهم يعيشون في جيتو ، ففي خطاب ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في ١٦ مارس عام ١٩٦٣ ، قال جولدمان : « ان الاندماج هو الخطر الكبير الذي يهددنا منذ اللحظة التي خرجنا فيها من الجيتو ومن المعتقلات .. فما هي ترجمة ذلك على العلاقة بين عرب إسرائيل وبين يهود إسرائيل ؟

كان اليهود في الجيتو ، يعتبرون غير اليهود - خارج الجيتو - من السفهاء ، والغوغاء ، وأن هؤلاء لا حق لهم في الحياة^(١) ، وأن يهود الجيتو أكثر ذكاء ، وأنهم شعب الله المختار ، لذلك ، فإن الإسرائيلي يرى العربي الفلسطيني - داخل إسرائيل - كما كان يرى ساكن الجيتو من هم خارجه من غير اليهود . فمثلاً ، قد توجه جندي تلميذ بالمعهد الديني بسؤال إلى حاخامه حول طهارة السلاح ، وقد استنتج من إجابة حاخامه : « في ساعة الحرب مسموح لي ، وربما أكثر من هذا يجب عليّ ، أن أقتل كل عربي وعربية بصادفاني في الطريق ، يجب عليّ أن أقتلها حتى لو كان هذا الأمر مرتبطاً بتورطي مع القانون العسكري » ..

(١) الجويم : كلمة عبرية بمعنى الغوغاء .

وهناك عشرات الأمثلة على استمرارية عقلية وسلوك الجيتو التي تحكم إسرائيل وحولتها إلى أكبر جيتو في تاريخ اليهود ، ففي كتاب فوزي الأسمر^(١) « عربي في إسرائيل » يؤكد رفض اليهود الاندماج في مجتمعات الأغيار مع ذلك يرفضون .. الأغيار أن يندمجوا في مجتمعاتهم ..

في كتاب فوزي الأسمر الذي صدر باللغة العبرية داخل إسرائيل حكايات عن رفضهم له ، لأنه عربي ، فلقد قرر الأسمر أن يكون مواطناً صالحاً على الأرض التي يعيش عليها ، وأن يعيش « كإسرائيلي عربي » ولكن أفكار الجيتو الإسرائيلي ترفضه لأنه من الأغيار ، واسمعوا بعض حكاياته عن نظرة اليهود للأغيار من العرب :

يقول فوزي الأسمر^(٢) :

- من تجربتي الشخصية وجدت أن للمجتمع اليهودي ثلاثة أساليب لمعاملة العرب في إسرائيل ، فالغالبية العظمى تعامل العرب ، بازدراء وغطرسة .. حيث ان العربي الذي يتصل بالمجتمع اليهودي كثيراً ما يسمع ألفاظاً من قبيل « شغل عربي » أي أنه شغل هابط النوعية ، و عربي قدر « أي ذوق رديء بطبيعة الحال ..

وعثرت من التعبيرات المماثلة . والأسلوب الثاني يتمثل في تهذيب مفرط بإزاء العربي وعدم التفوه بما قد يجرحه حتى ولو كان الشخص لا يستحق هذه المعاملة .

والأسلوب الثالث هو الأسلوب السوي ، أي النظر إلى العرب على أنهم أسوياء ، يعامل الواحد منهم كما يعامل اليهودي . وهذا هو أسلوب الأقلية من اليهود . وقد تصور بعض أقاصيص الحياة اليومية في إسرائيل هذه الأساليب الثلاثة ..

ويكمل فوزي الأسمر هذه القصة :

- أتذكر أن هذا حدث في أتوبيس في يوم آخر من أيام شهر يونيو .. وكان يوم الثلاثاء ، ويوم الثلاثاء هو يوم السوق في اللد ، وفيه يأتي فلاحون كثيرون من

(١) فلسطيني عاش في إسرائيل ، وأراد أن يندمج في الحياة الإسرائيلية ولكن الإسرائيليين رفضوا ذلك ، وهو واحد من ألغ الكتاب العرب في داخل إسرائيل .

(٢) يرجى الملاحظة أن هذا الكتاب قد صدر بالعبرية في إسرائيل ، وأن الكاتب يؤمن بالسلام والتعايش مع اليهود ، وأنه حاول كثيراً وفشل ، ورغم ذلك فلقد كان هذا الكتاب وثيقة إدانة لإسرائيل ..

المستوطنات اليهودية المجاورة ومن القرى العربية في المثلث كي يبيعوا منتجاتهم . وتفضل سيدات كثيرات شراء ما يحتجن إليه في هذا اليوم لأن معظم الخضراوات والفواكه طازجة والأثمان أرخص من أثمان مثيلاتها في الدكاكين ..

وفي ذلك اليوم ركبنا الأنوبيس واشترت تذكرة وجلسنا ، وسرعان ما امتلأ الأنوبيس وغادر المحطة . وكان من أواخر من ركبوا سيدة عجوز تحمل سلتين مليئتين كل الامتلاء ، وكنت جالسا في وسط السيارة ، فلما مرت بي المرأة نهضت وعرضت عليها مقعدي ، فجلست وصعدت زفرة ارتياح ، وتناولت منديلاً فمسحت العرق عن جبينها ، وتهدت مرة أخرى وقالت : « أشكرك كثيراً ياسيدي فقلت لها : « عفواً » ، وبعد تهيدة أخرى أردفت : « أنت ترى بعينك ياسيدي . أن كل هؤلاء (وأشارت للجالسين حولها) عرب ولذا لم ينهض أحد منهم كي أجلس ، مع أنني امرأة عجوز » .

وقصة أخرى :

— نعم .. كانت امرأة لطيفة . جميلة وأنيقة .. كان هذا انطباعي عنها بعد أن رأيته وأصغيت لمناقشتها مع سائق سيارة الأجرة التي كانت جالسة بجواره .. وكانت السيارة متجهة من تل أبيب إلى اللد والساعة متأخرة .. قرب منتصف الليل . وجانب من الطريق بين الرملة ، واللد يكون مقفراً فعلاً في تلك الساعة من الليل ، وليست فيه إضاءة وسائقو سيارات الأجرة يفضلون الذهاب بالركاب إلى اللد عن طريق الرملة ، لأن بعض الركاب يذهبون إلى الرملة فقط ، ولا يذهب السائقون إلى اللد مباشرة إلا إذا كان الركاب كلهم يقصدون هذه المدينة ..

وفي حالتنا هذه كان ستة منا يقصدون اللد ، ونزل السابح في « اماف هاروفن » ، وهي مستشفى في منتصف الطريق إلى الرملة وعند مرورنا وسط الرملة صوب اللد ، كان فتى في نحو السابعة عشرة واقفاً في الطريق رافعاً يده . ووقف السائق وسأله الفتى كم الأجر ، وذكر السائق الأجر المعتاد في هذه الساعة ، فقال الفتى أن ما معه ينقص عن ذلك بما يعادل بنسين ، فواصل السائق طريقه من غير أن يقول شيئاً .

واستاءت الفتاة التي يبدو أنها كانت تعرف السائق ، والتفتت إليه قائلة : « لماذا تصرف بهذه القذارة ؟ » كما لو كنت عريباً ، إنه مبلغ زهيد كنت مستعدة أن أدفعه عنه ..

ويروي قصة تعليم الأطفال الدائمة على ازدياد واحتقار العرب ، فيقول فوزي الأسمر :
— أنا لأستطيع أن أقرأ في الأتوبيس ، وإلا أصابني صداع ، ولكنني ألاحظ كثيرين يستطيعون قضاء وقتهم في أثناء السفر في القراءة . ولقد ظللت سنوات شديدة الضيق بأني « أضيع » وقتي الذي أفضيه في الأتوبيس ، وفي النهاية قررت أن أقضي ذلك الوقت في النوم ، وصرت بحكم العادة أستغرق في النوم بسرعة . وكنت ذات يوم مسافراً من تل أبيب إلى حيفا ، ولكنني كنت عصبياً جداً فلم أستطع النوم .

ففي المقعد الذي بجواري سيدة عجوز وطفل في نحو السابعة .. والسيدة فيما يبدو وجدته .. وكانت قد اشترت له لعبة ، عبارة عن بندقيّة فلين .. ونظر الطفل إلى وأراد أن يلعب ، فوضع الفلينة في الفوهة وصوب البندقيّة نحو ضاحكاً . وأدركت أنني لشدة قربني منه يمكن أن أفقد عيني إن هو ضغط على الزناد ، ولم أجد مناصاً من مخاطبة السيدة العجوز ، « عفوك ، هلا تفضلت بأخذ البندقيّة من الطفل ، أو على الأقل الفلينة ، حتى لا يقطع بها عيني فقالت : « الحق معك ياسيدي . سأفعل » والتفتت إلي الطفل قائلة :
— « دودو .. قلت لك ألف مرة إنك ينبغي ألا تصوب البندقيّة إلا إلى العرب وحدهم » ..

وذات يوم كنت ذاهباً مع صديقتي مريم لزيارة صديق لي يهودي ، صادفته منذ الطفولة ، عندما كنا نلعب كرة القدم معاً ، بيد أن الروابط بيننا ضعفت بمرور الزمن .. حتى لم نعد نزيد على التحية العابرة ، بل إن ذلك انقطع منذ فترة ، ومع ذلك ذهبت لزيارته لعمل لايد من تسويته ، لأنه كان بسبيل الانتقال مع أسرته إلى مسكن جديد ، تاركين المسكن القديم . وكنت في ذلك الحين أفتش عن مسكن جديد ، ولما سمعت أنه سيؤجر مسكنه المكون من حجرة ونصف قررت أن أنظر في الموضوع .

ورحب بنا ، وقدمت لنا زوجته كمعكاً وشراباً ، وتحدثنا في أمور كثيرة وتذاكرنا الأيام الماضية . وقال صديقي : « ما كان أجمل تلك الأيام » وحدثني أيضاً عن مبلغ سعادته بمسكنه الجديد قائلاً : « ستكون لدي حجرة للأطفال ، والبيت نظيف وأنيق . لقد قاسيت كثيراً مدى سنوات ، نحن ننام مع ثلاثة أطفال في حجرة واحدة .

وكان يريد أن يرينا الأثاث الجديد الذي كان قد اشتراه ، والمصباح ذا المظلة الذي تلقاه هدية من إخوته .. وعندما وصلنا إلى البار بدا عليه الانزعاج وأظهر بعض الغضب قائلاً : « سأعيد هذا إلى البائع » فسألته مريم : « لماذا ؟ » فقال : « أنظر ، هذا الباب ليس في موضعه الصحيح ، وتنقصه مرآة من الداخل وغير مستقر على الأرض . أي

صناعة هذه ؟ إنه حقاً شغل عرب » ونظرت مريم نحوي ، ولكنه استطرد بخبرني ماذا هو خليق أن يصنع بالنجار إن لم يقبل تغييره أو إصلاحه ، وعدنا إلى حجرة المعيشة ، وجلسنا فأنهينا الصفقة ، وانصرفنا .

* * *

● ويتحدث بسخرية عن رفض اليهود الاندماج .. فيقول فوزي الأسمر :

- هناك أمور كثيرة لم أمتطع أن أجد - ومازلت لا أجد تفسيراً لها .. ومن هذه الأمور الحادثة التالية ، كان صديق لي وهو شاعر يهودي ، يسير معي خارج بيته .. ومع أنه كان أمامه متسع من الوقت لركوب الأتوبيس ، إلا أنه كان متعجلاً فأثر ركوب سيارة أجرة .. وقبل ركوبها سألتني : « أين أنت ذاهب يا فوزي ؟ يمكننا أن نأخذك معنا » ..

فقلت : « إلى مقهى هارلي ، وهو في اتجاهك » فقال صديقي : « وهو كذلك » ثم قال للسائق : سر بنا من شارع بتراك سيدها إلى ديرنجوف لتوصيل هذا « اليهودي » .

وعلى الفور أدرك حقيقة ما قاله وشرع يعتذر . ويقول انه لم يقصد ما قاله ، وتحير السائق جداً ولم يفقه ما كنا نتحدث فيه ، ولكنه كاد يوقف السيارة عندما التفت صديقي نحوي وقال له : « أرجوك أنزل هذا العربي أمام مقهى هارلي عند ناصية شارع جورج » ..

* * *

قصة أخرى :

- عندما كنت أعيش في منزل أبوي باللد كنت أذهب أحياناً إلى تل أبيب بالقطار ، فالمحطة قرب البيت . والقطار سريع وأرخص من السيارة . وكان هناك راكب منتظم لهذا القطار وهو يهودي أرثوذكسي من عاداته أن ينزل في كفر هاباد وهي قرية يسكنها أبناء الأرثوذكس ، وكانت لهذا الرجل عادة طريفة ، يحضر مبكراً إلى المحطة ويطوف بالناس .. من أحدهم إلى الآخر ، يدعوهم إلى تنفيذ وصية الرب بلبس تعويذة . (ويستطيع المرء أن يرى مثل هذا المشهد يومياً في محطة الأتوبيسات المركزية بتل أبيب وغيرها من الأماكن .

ولم يكن ذلك يزعجني بصفة خاصة ، فإن كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون شراء مكان لهم في الجنة ، فلا بأس ، وكان كلما أبصرني أقبل نحوي وحاول إقناعي بلبس تعويذة ،

ولم أفلح قط في إقناعه بأنني لست يهودياً ، إذ كان يظن أنني أحاول التخلص منه بهذه الطريقة كما يفعل بقية الشبان .

وذات يوم كنت جالساً في القطار . فسار الرجل نحوي ووضع تيممة على رأسي (على شكل طاقية صغيرة) قائلاً لي : « هذه المرة لن أفلتلك يا صديقي فقلت له : « قلت لك ألف مرة أنني لست يهودياً » فقال : « حسناً يا صديقي ألا بد أن تكذب أيضاً ؟ » ..

* * *

وعن إحساس اليهود بأن العرب عبيد عندهم يحكي هذه الواقعة :

- جاءتني صديقتي اليهودية وهي تغلي من فرط الغضب والاستنكار .. وكانت امرأة شابة جذابة حديثة عهد بالطلاق .. وكانت لها فيللا تحيط بها حديقة جميلة في منطقة من أحسن وأجمل مناطق تل أبيب ، وتستخدم عربياً شاباً للعناية بحديقته وعدد آخر من الحدائق في هذه الجيرة ، وقالت لي : « اسمع يا فوزي .. هذه ليست طريقة مقبولة السلوك .. وأخذت .. فما الذي صنعت له لأن ذهني انصرف إلى نفسي .. وحاولت أن أنعش ذاكرتي ، ولكنني لم أجد شيئاً حدث بيننا يرر هذا الاتهام ، وقالت لما أدركت ما لي : « ليس للأمر علاقة بك ، ولكنني لم أكن أظن أن عربياً يمكن أن يصدر عنه هذا السلوك » ..

و كنت معتاداً على هذا النمط من المواقف ، فكثيرون من أصدقائي اليهود يلوموني على كل ما يحدث في العالم العربي .. فيناقشونني في عبد الناصر .. واليسار في الوطن العربي .. وكل ما يصنعه العرب .. وكأنني المسئول عن هذا كله .. فقلت لها : « وهو كذلك .. اهدئي وخبريني ماذا حدث ؟ » فقالت : « تصور .. عندما استيقظت هذا الصباح (والصباح عندها هو الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة) .. خرجت إلى الحديقة وأن لم أزل مرتدية البيجاما ، فوجدت ذلك الشاب العربي من أبناء المثلث يعمل في الحديقة ..

والحقيقة أنني سعدت برؤيته .. والشمس الساطعة أيضاً جعلتني أشعر بالسعادة ، وبدأ مجهداً ، فناديتيه ودعوته إلى الداخل ليجلس ويستريح قليلاً .. فلما دخل البيت أعطيتيه كاماً من النبيذ المثلج ، فشكرني وشربه كله .. ولكنه بعد ذلك ... » .

ولم تتم صديقتي عبارتها . فقلت لها : « وبعد ذلك ... ؟ » فقالت : « تصور .. لقد حاول أن يمازحني » ، فقلت لها : « ليكون غيباً لو لم يحاول ذلك » ، فقالت : « ولكن العربي ينبغي ألا يتصرف هكذا .. أنا لم أقصد إعطاءه إلا قسطاً من الراحة » ..

فقلت : « وما رأيك ؟ أتخسبن شاباً يهودياً كان يتصرف على غير هذا النحو في مثل مكانه » ..

* * *

ويبلغ فوزي الأسمر قمة الكوميديا السوداء في هذه الواقعة :

- كان يعمل مرشداً سياحياً ، فكان يغيب عن البيت كل أيام الأسبوع .. ولا يعود إليه إلا في عطلة نهاية الأسبوع ، وقابلته في إحدى مقاهي تل أبيب جالساً يشرب القهوة ويدخن ، فقال لي : « أنا سعيد برؤيتك . فأنا لم أقابلك منذ زمن بعيد .. » فقلت له أنني سعيد برؤيته أيضاً ، وأردف : لا بد أن أقول لك شيئاً ، فقلت : قله . فأني مصغ فقال : أنت تعلم أنني أعمل مرشداً سياحياً ولا أعود إلى البيت إلا في نهاية الأسبوع .. وكثيرون من العرب يعملون حيث أقيم .. وأنا على علاقة حسنة بهم .. وكل نهاية أسبوع أدعوهم إليهم لا يعودون إلى بيوتهم إلا مرة في كل شهر (فيبقون لتناول طعام أو شراب . وهم ظرفاء جداً ..

وأنت تعلم أنني أؤمن بالصدقة بين الشعوب ولكن واحداً منهم انتهر فرصة غيابي وحاول إنشاء علاقة مع زوجتي .. فأخبرتني بأمره .. صدقتي ، لو كان يهودياً لسلمته للشرطة .. فقلت له : لا أصدقك .. ولماذا لم تصنع ذلك بعربي ؟ .. أنت تراه قطعاً شخصاً وضيقاً .. وكذلك أراه أنا .. فقال : هذا ليس أمراً مستحباً .. فماذا يقول أصدقاؤني ؟ أيقولون أنني سلمت عربياً للشرطة .. كلا ما كنت لأصنع هذا ..

وكان تعليقي : لماذا لا تعامل العربي كإنسان ؟

* * *

ويحكى فوزي الأسمر عن العربي - كأسطورة مخيفة - في مخيلات الأطفال :

- في طريقي من تل أبيب إلى حيفا .. وكانت جالسة قبائلي سيدة مع إبنتها .. وكان الصبي مبهوراً بكل ما يحدث حوله . وحاول أن يجعلها تشاركه حماسه .. وفي محطة ناتانيا ركب القطار عربي مسن في ثيابه التقليدية ، وما أن ظهر حتى حملت فيه الصبي ولم ينبس بحرف .. وبدأ العربي يبحث عن مكان ليجلس عليه . فمشى بجوار الصبي ، ثم واصل سيره في الدهليز .. والصبي لم يزل على تحديقته فيه ثم سأل أمه بلهجة الجد :

- ما هذا يا أمي ؟ فقالت : إنه عربي يا يوسي . فذهب الصبي إلى باب القمرة وتابعه بتحديقته .. ثم عاد إلى أمه وقال لها : أحقاً هو عربي يا أماه ؟ ولكنه يبدو كالآدميين ..

● وحكاية أخرى :

- كانت سيارة الأجرة وهي تتجه إلى بئر سبع تمشي ببطء .. ومع ذلك لم يجد السائق الراكب الأخير الذي يكمل العدد كي ينطلق .. وأقبل بدوي على السائق وسأله هل يجد لديه مكاناً ؟ فقال السائق : طبعاً . اركب ..

وبينا البدوي يهم بالركوب . سمعنا صوت امرأة تقول : اسمع أيها السائق .. أنا لا أريد هذا العربي بجواري .. فقال السائق : « ولكن لا بد لي من ملء السيارة .. فماذا يهمني من الذي يركب معي ؟ فقالت : قلت لك لا أريد الجلوس بجوار عربي .. وأنا مستعدة لدفع أجرة المكان الخالي .. ووافقها السائق ..

* * *

● وحكاية أخرى :

- قالت مرافقتي : شالوم (أهلاً) لصديقتها وهي تفتح الباب وترحب بنا .. وكانت صديقتي تريد أن تطلب منها شيئاً وطلبت مني أن أصحبها .. ولم تسبق لي زيارة هذه الأسرة من قبل .. وكان لمضيفتنا طفلان .. أحدهما في الثانية والآخر في الخامسة ..

وبذلت كل ما في وسعها لإقناع الأكبر بالذهاب إلى الفراش ، ولكنه كان عنيداً جداً ولا سيما أنه رأى ضيوفاً .. ولكن المرأة لم تكن مستعدة للتراجع وقالت لنا : لا بد من الذهاب إلى فراشه لينام .. فالوقت متأخر جداً ..

فقالت صديقتي : وماذا في ذلك .. دعيه يجلس قليلاً .. فردت عليها قائلة : كلا .. يجب ألا يتعود هذا .. ثم التفتت إلى الطفل وقالت : يوري إن لم تذهب لنام ، جاء العربي وخطفك

واستدارت إليّ وقالت : أليس كذلك ..

* * *

وبعد ..

بهذه الحكايات .. يؤكد فوزي الأسمر - دون أن يذكر ذلك مباشرة - بأن إسرائيل ما هي إلا جيتو كبير ، ترفض « الأغيار » .. وتتصورهم في صورة غير آدمية ..

كتاب فوزي الأسمر ، عبارة عن وثيقة إدانة صادرة من عربي أراد الاندماج في المجتمع الإسرائيلي ، فرفضه هذا المجتمع ، فإن أسواراً عالية تفصل بين الجيتو الكبير « إسرائيل » وبين بقية شعوب العالم .. ولقد أثارت قصة فوزي الأسمر ضجة ضخمة بين « حركة التنوير الجديدة الفاشلة في إسرائيل » فلقد كتب أ. ف . ستون تعليقاً عليها ..

والآن .. هل اختلفت « نظرة سكان الجيتو » لغير اليهود .. عن نظرة « سكان إسرائيل » للعرب المقيمين في إسرائيل ؟ إن كتاب فوزي الأسمر ، قد أكد بصورة حاسمة ولا تقبل الجدل « روح الجيتو » لئرى الإسرائيليين .. فالعربي في نظرهم « قذر - هابط - متخلف - لا يحق له أن يمارس حياة اليهود .. الخ ..

من السمات الأساسية « للجيتو » اعتماد سكانه على أصحاب السلطة .. حتى ظهرت جمهوية « يهود البلاط » ، وإذا حاولنا تطبيق ذلك على إسرائيل فإن قادة إسرائيل قد تحولوا إلى « يهود في بلاط قادة الولايات المتحدة .. فإسرائيل تقوم بتنفيذ كل ماتريده الولايات المتحدة في الشرق العربي ، وفي المقابل فإن إسرائيل تعيش - كدولة طفيلية - على معونات وحماية الولايات المتحدة الأمريكية .

ولأن « الجيتو الكبير » .. استطاع أن ينتصر في حرب خاطفة عام ١٩٦٧ ، فلقد ظهرت من جديد المؤسسات الإرهابية في حماية الدولة .

عودة إلى عصر العصابات

قبل إعلان دولة إسرائيل في مايو عام ١٩٤٨ ، كانت هناك الوكالة اليهودية ، الواجهة « الشرعية » للحركة الصهيونية ، وكانت هذه الوكالة - كما سبق أن ذكرنا - هي التي تخطط وتنسق وتدعم المنظمات الإرهابية الصهيونية ، وكانت في نفس الوقت تعلن استنكارها للأعمال الإرهابية التي تقوم بها هذه العصابات ، أي أن الإرهاب الإسرائيلي كله انطلق من الواجهة الشرعية ..

نفس « اللعبة الإرهابية » التي لعبت قبل قيام الدولة ، تحدث الآن وبنفس الأسلوب ، بعد قيام الدولة ، فلقد حدث بعد الانتصار « الخاطف » للقوات الإسرائيلية على الدول العربية في حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، أن أغرت هذه الانتصارات قدامى الإرهابيين أن يعيدوا نشاطهم ضد العرب في الأرض المحتلة ، أو لنقل أن هذه الانتصارات واحتلال أراضي ثلاث دول عربية ، قد بعثت من جديد جذور الإرهاب اليهودي عبر التاريخ ، فقامت منظمة يهودية إرهابية في حماية دولة إسرائيل ، مهمتها القيام بمجازر مذابح ضد الفلسطينيين في الأرض العربية المحتلة بهدف إرغامهم على الهجرة إلى خارج فلسطين ، كما أن مهمة هذه المنظمات الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين بالقوة ، وإقامة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة . وتتلقى هذه المنظمات الإرهابية ، كل عون ودعم من الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها ، وكأنها تقيم إسرائيل ثانية ..

والغريب في الأمر أن معظم قيادات هذه المنظمات من الحاخامات - أي أن قيادة الإرهاب يكمن معظمه في رجال الدين اليهودي - والمعروف أن رجل الدين ، يميل دائماً إلى التسامح والعدل والإنسانية ، إلا رجال الدين اليهودي الذين وضعوا العقيدة الصهيونية العنصرية ، وقادوا عمليات إرهابية وحشية ضد العرب في كل مكان وزمان . وهذا ما يفسر أصول جذور الإرهاب اليهودي من التلمود وحتى الجيتو الكبير « إسرائيل » .

* * *

بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، اجتمع خريجو مدرسة « مركز هاريا » وهي واحدة من عشرات المدارس الدينية في إسرائيل ، وذلك لتكوين جمعية تساهم في استيطان الأراضي الجديدة .. أي أراضي الضفة الغربية وغزة ، واجتمع حاخامات هذه المدرسة ، وضعوا دستوراً لجمعيتهم والتي أطلق عليها « جوش إيمونيم » .. ومهمة هذه الجماعة ، كما جاء في دستورهم زرع الإرهاب في نفوس العرب حتى يتركوا الأرض وبعدها تقيم الجمعية المستوطنات الإسرائيلية ، لتحقيق دولة يهودية خالصة بلا عرب .. وقد انضم هؤلاء للعمل من خلال حزب (المفدال) المتدينين الوطنيين ثم انفصلوا عن « المفدال » بعد حرب عام ١٩٧٣ ، يقود هذه الحركة الحاخام الإسرائيلي تسفي يهودا كوك ، ووالده إرهابي سابق ، وهذا الذي أسس المدرسة الدينية « مركز رابا » التي خرجت معظم قيادات هذه المنظمة الإرهابية أمثال الحاخام موشيه ليفيجي ، والحاخام حاييم دوركان « عضو كنيست » وحنان يورات ، وهذه الجمعية ، هي أول من أقام مستوطنة في الأرض العربية المحتلة ، وهي مستوطنة « الون موريه » الشهيرة .

وتتلقى حركة غوش إيمونيم دعم ومساندة السلطات الصهيونية الحاكمة إذ يقف وراءها عدد من رجال الحكم الكبار وعدد من كبار رجال الأعمال ومعظم ميزانية الحركة مصادرها وسائل التمويل الحكومية بصورة مباشرة وغير مباشرة .. وقد تمتعت غوش إيمونيم ومنذ بداية تكوينها بتمويل من أرباب الصناعة ورجال البنوك الأغنياء وكمثل على عملي غوش إيمونيم فإن اسحق شوبنسكي الذي كان يملك شركة إنتاج سيارات أوتوكارس قد تبرع بسيارة للحاخام ليفنغر ورجاله بعد غزوهم لمدينة الخليل .. وقد حقق مع شوبنسكي بتهمة توزيع سيارات على بعض الرجال والمستولين بأسعار رخيصة ..

وهناك ممول آخر معروف لغوش إيمونيم هو رجل البنوك المعروف يهوشع بن يسيون .. وهناك ممولون من خارج فلسطين المحتلة أبرزهم سيريل شتاين مدير شبكة دور الكازينوهات والقمار في لندن وتاجر الأسلحة المكسيكي ماركوس كاتس . كما أن العشرات من الموظفين الرئيسيين في غوش إيمونيم يتلقون رواتبهم من الحكومة ..

وبعد عام ١٩٧٧ أخذت الأموال تتدفق على صندوق هذه الحركة الاستيطانية من كافة الوزارات الصهيونية مثل وزارة الزراعة والإسكان والاستيعاب ووزارة الدفاع ومن دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية ..

كانت جوش إيمونيم قد أقامت مستوطنة أخرى وأطلقت عليها اسم «أمانا» .. ومن هذه المستوطنة خرجت جمعية تدين بدستور جوش إيمونيم ، وتعمل كتنظيم مستقل ، وتحاول إقامة مستوطناتها في قطاع غزة ومنطقتي الجليل ونابلس .. وتؤمن كما تؤمن المنظمة الأم بضرورة العنف للاستيطان في الأرض العربية المحتلة ..

* * *

تظل جوش إيمونيم ، القاعدة التي تنطلق منها المنظمات الإرهابية في حماية الدولة الإسرائيلية ، فلقد ظهرت جماعة أخرى أطلقت على نفسها «رابطة تقدم الإسكان والاستيعاب في يهودا والسامرة^(١)» وغزة ووادي الأردن ، وهذه «الجماعة» صحيفة رسمية اسمها «نكودا» ، وهي عبارة عن مستنقع فكري عفن للأفكار الصهيونية الإرهابية وخاصة ضد العرب ، وإليك نموذج من مقال نشر في هذه الصحيفة للكاتب الصهيوني «دافيد روزتشتفاريچ» لقد تبينا لأنفسنا سيامة أدبية وأخلاقية ساذجة ومعتدلة وداعية للسلام ، إن العقوبات الجماعية وإلقاء المسؤولية على عاتق من ينفذ

(١) الضفة الغربية من فلسطين .

العمليات المسلحة تتعارض ووجهة نظرنا الأخلاقية والأدبية ومن هنا أيضاً العقوبات الخفيفة وأوامر إطلاق النار الخطيرة ، الحقيقة أن كل هذا لا يكفي ، إنه مراوغة فنحن نفضل تفكيك الشعب العربي وأن نوجهه في النفس والنفس^(١) هذه هي أفكار هذه الرابطة ، قتل الفلسطينيين وطردهم من الأرض الفلسطينية والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم ..

* * *

معظم المنظمات الإرهابية ، التي بدأت في الجيتو اليهودي في الدول الأوربية ، انتقلت بسريتها أيضاً إلى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل ، وبعد حرب عام ١٩٦٧ ، عادت هواية إقامة منظمات سرية إلى فلسطين بعد قيام « دولة إسرائيل » .. وأشهر منظمة سرية إرهابية هي « رابطة الأمن على طرق يهودا والسامرة » وهي منظمة تعمل لطرد العرب أيضاً وإقامة المستوطنات ، إلا أنها بعد أن اغتالت أحد قيادات حركة السلام الآن « اميل غرينسفايخ » ، اكتشفت السلطات الإسرائيلية مخاىء ملك هذه المنظمة مكدسة بكافة أنواع الأسلحة ، وبعد التحقيق في أمر هذه الأسلحة اكتشفت السلطات الإسرائيلية أن هذه الأسلحة مسروقة من مخازن الجيش الإسرائيلي .. عن طريق ضباط إسرائيليين يؤمنون بما تؤمن به هذه الرابطة .. وقد نشرت مجلة هذا العالم الإسرائيلية مقالاً بتاريخ ١٤ يناير عام ١٩٨٤ ، بقلم دان عومر بأن رابطة الأمن على طرق يهودا والسامرة تتمتع بنوع من السرية في تحركاتها ونشاطاتها وزعامتها على نمط منظمة الإرهاب ضد الإرهاب ، وعناصرها من المدربين جيداً على العمليات الإرهابية ، وقد نفذوا عدة عمليات عنيفة ضد السكان العرب في المناطق المحتلة ..

* * *

مجتمع الإرهاب لا بد أن يخرج كافة أنواع الإرهابيين ، ولقد اكتشف البوليس الإسرائيلي منظمة إسرائيلية إرهابية تدعى « ماعتس » ، ومهمتها مساندة الإرهابي الأكبر الحاخام كاهانا ، وتمويلها يتم عن سرقة الشركات والمزارع في إسرائيل ، وأهدافها لا تختلف كثيراً عن أهداف جوش ايمونيم ، ولكنها أضافت إلى أهدافها هدفاً جديداً وهو ضرب الذين ينادون بالسلام في إسرائيل ، أو الذين يطالبون بإعطاء الحقوق الإنسانية للسكان العرب ، وقامت هذه المنظمة بعمليات سطو كثيرة في تل أبيب وغيرها من المدن .. ولقد شكل رئيسها « يوسف عانوا » حكومة من المجرمين المطلوبين لشرطة

(١) مطالبة صريحة بقتل الفلسطينيين والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم .

إسرائيل ، وعين وزيراً للزراعة ، وهذا يعني أنه مسئول عن السرقات الزراعية في الكيوبتسات ، ووزير المواصلات مسئول عن سرقة السيارات ، ووزير المالية لسرقة البنوك وهكذا .. وقد قامت هذه المنظمة بالعديد من العمليات الإرهابية ضد العرب ..

إسرائيل ، تريد - منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ - الإستيلاء على المسجد الأقصى ، وتخشى استفزاز العالم الإسلام كله ، إلا أنها تنجح إلى هذه الهدف خطوة خطوة ، حتى تسنح الفرصة وتقدم عرضاً تراجيدياً للإستيلاء على المسجد الأقصى .. وتهدف خطة الخطوة خطوة ، هو تكرار العدوان على المسجد ، حتى يصبح هذا العدوان روتينياً ، حتى تتم العملية الأخيرة فلا يكون له الأثر النفسي عند العالم الإسلامي ، كما كان يحدث لو أن الاستيلاء فجأة .. هذه خطة إسرائيل وتصورها ..

ومن أجل هذا ، أقامت الحكومة الإسرائيلية منظمة تطلق على نفسها علناً « حركة الإستيلاء على المسجد الأقصى » ودستور هذه المنظمة إزالة المسجد لأنه أقيم على هيكل سليمان ، ثم إقامة الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى ، ويتزعم هذه الحركة الحاخام اليهودي الإرهابي « ليفنجر » ، يساعده الحاخام إسرائيل أرئيل ، بالإضافة إلى بعض خريجي مدرسة الإرهاب الدينية « مراكز هاراب » ، ومن أهداف هذه المنظمة بالإضافة إلى هدم المسجد الأقصى - هو طرد العرب وإقامة حدود لإسرائيل بقوة السلاح ، ويرى أن أرض إسرائيل محدودة الجديدة عبارة عن « جزء من الأراضي اللبنانية حتى ميناء طرابلس ومعظم سوريا ، وجزء من العراق وكل الأردن وجانب من الكويت وكل شبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس وخليج السويس .. »

ثم تأتي منظمة أخرى لها نفس أهداف منظمة حركة الاستيلاء على المسجد الأقصى اسمها « المخلصون لجبل البيت » ويقودها رجل متطرف صديق شخصي للإرهابية المتطرفة جيئولا كوهين ، وهو « نمرشون سولومون » .

بعد توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية في كامب ديفيد ، اعتبر بعض الإرهابيين في إسرائيل أن السلام خطر على إسرائيل ، وأن لا سلام مع العرب ، ولكن يجب احتلال أرضهم وطردهم منها ولو بالقتل والإرهاب ، وهنا ظهرت منظمة متطرفة تعمل ضد هذا

السلام ، وتطالب بحدود جديدة لإسرائيل تضم معظم أراضي الدول العربية المحيطة بها ، وتتعاون هذه المنظمة مع الحاخام كاهانا ، ويتزعم هذه الحركة ثلاثة من أكثر الإسرائيليين تعصباً وهم « يوفال نعمان ، جيئولا كوهين وحنان يورات » وتلقى هذه المنظمة تأييداً من الحكومة الإسرائيلية ، وكان مناحم بيجين عندما كان رئيساً للوزراء لا يخفي تأييده لهذه الحركة ، مما جعل لها خمس مقاعد بالكنيست في حكومة شيمون بيريز (١٩٨١) ..

* * *

بالإضافة إلى ما سبق ، فإن هناك منظمات إرهابية تعمل في ظل الدولة وبعضها له تمثيل في الكنيست ، وكل هذه المنظمات تدعو إلى تهجير العرب ، احتقار العرب ، قتل العرب ، احتلال أراضي العرب ، ومن هذه الجماعات الإرهابية .. « جمعية صندوق جبل البيت » والتي يقودها يهودا بيرج - من الليكود - وتمول من الولايات المتحدة الأمريكية ، بالإضافة إلى حركة الإرهابي الدولي رفائيل ايتان رئيس أركان حرب القوات الإسرائيلية السابق والذي شكل منظمة استيطانية إرهابية باسم « حركة تسومت » وبواسطتها أصبح ايتان عضو بالكنيست الإسرائيلي ، ثم تآتى منظمة إرهابية حديثة هي « المشمونيون » وهي من الشباب الإسرائيلي المتطرف الذي أدى الخدمة العسكرية ، وتقوم هذه المنظمة بمواجهة الطلبة العرب في الأرض المحتلة وتملك أسلحة وذخائر وقنابل ، وكانت تنوي بما تملكه من متفجرات نفس قبة الصخرة ..

* * *

كل هذه المنظمات الإرهابية تتفرع مميماً أو يساراً ، من أهداف المنظمة الأم .. وهي منظمة « جوش ايمونيم » وكل هذه المنظمات تتفق على ثلاثة أهداف رئيسية :

- ١ - هدم المسجد الأقصى .
- ٢ - طرد العرب من الأراضي المحتلة .
- ٣ - حدود جديدة لإسرائيل ..

* * *

تبقى في سلسلة الإرهاب الإسرائيلي ، منظماتان إرهابيتان ، أو على الأصح منظمة واحدة تحمل اسمين مختلفين ، وهما :

- منظمة كاخ .
- منظمة الإرهاب ضد الإرهاب .

ولهما قصة ، ولهنا إنجازات خطيرة على الساحة الفلسطينية من قتل وتدمير ، والأخطر أن التمويل لهما يأتي من الخارج ، ومن الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة ..

* * *

الإرهابي الأعظم

حاخام .. أي رجل دين يهودي .
حاخام .. يقود حالياً أكبر حركة إرهابية داخل إسرائيل .
حاخام .. عمل في تهريب السلاح وترويج الخشيش « الماريجوانا » والتجارة بها وتزوير جوازات السفر .

حاخام .. اغتصب فتاة يهودية .. وحوكم بسبب حادثة الاغتصاب هذه .
حاخام .. عمل جاسوساً لإدارة المخابرات الأمريكية المركزية .
حاخام .. عاشر فتاة مسيحية .. ودفع بها للانتحار فألقت بنفسها من أعلى العمارة التي كانت تسكن في إحدى شققها معه ، ولقيت مصرعها على الفور .
حاخام .. فيه فساد العالم كله .. وبؤرة للعنصرية القذرة ، ويداه ملطختان بدماء الضحايا ، ولسانه لا يقول إلا كل ما هو قبيح .
هذا الحاخام .. يعيش الآن في إسرائيل ، يملك حصانة برلمانية فهو عضو في الكنيست الإسرائيلي ، وتحميه حكومة إسرائيل .

اسمه .. الحاخام مائير كاهانا .

أسرته كانت تقيم في صفد في فلسطين المحتلة ، وفي بداية القرن العشرين هاجرت الأسرة إلى نيويورك ، وفي أغسطس عام ١٩٣٢ جاء إلى هذا العالم ، مائير مارتين كاهانا ، وكان والده « حاخام » .. فعلم ابنه الصهيونية العسكرية ثم انضم مائير إلى حركة الشبيبة اليهودية في أمريكا « بيتار » ..

لقد استطاع والده أن يخلق منه إرهابياً من الطراز الأول ، فلقد لقنه أن إسرائيل لها الحق في كل الأراضي العربية ، وأنها لن تحقق ذلك إلا بقوة السلاح ، وعلمه كيف يكره

العرب ويقتلهم ، ولا حل سلمى معهم ، بل لابد من حل عسكري مع هؤلاء ، وخلق في نفس ابنه روح المغامرة العسكرية ، وعلمه في نفس الوقت أن من حقه أن ينشر الفساد في الأرض فيما عدا « شعب الله المختار » ، وعلمه كيف يكره شعوب العالم التي ذبحت وقتلت اليهود في كل مكان .. وحمل كاهانا كل هذه الأثقال ، وبدأ يتعامل مع البشر بكل ما تعلمه من والده الحاخام ..

حاول السيطرة على منظمة بيتار .. ولكنه فشل .

حاول الحصول على دراسة جامعية في الحقوق ولكنه فشل .

وتصور أن لا مكان له إلا إسرائيل ، فهاجر إليها ، وحاول الحصول على لقب حاخام ، ولكنه فشل ، فلم يكن لديه كل ما يتطلبه هذا اللقب الرفيع في إسرائيل ، فعاد ثانية إلى الولايات المتحدة ، ليحصل على خبرة لقب حاخام في إسرائيل .

استطاع عن طريق صديقه يوسف تسوريه - أن يصل إلى المخابرات الأمريكية ويمكن من أن يكون عضواً هاماً بها ، وقد كلفته المخابرات الأمريكية بمواجهة الطلبة الذين يثيرون قضية فيتنام في الولايات المتحدة ، وأقام معهد يدعى « معهد الأبحاث الموحد للاستشارات ، وانتحل اسم « مايكل كنج » ، وقدم نفسه للطلبة على أنه قسيس في الكنيسة ، وجند العشرات منهم لحث طلبة الجامعات الأمريكية لتأييد حرب أمريكا في فيتنام ..

وفي هذا الوقت تعرف على عارضة الأزياء الأمريكية جلوريا جين دارجينو ، وترك زوجته اليهودية وأولاده الأربعة وعاش مع جلوريا المسيحية ، وقد انتحرت عارضة الأزياء ، لا أحد يعلم ما هي الأسباب التي دفعها للانتحار .

ترك كاهانا المخابرات .. وانضم إلى المافيا الدولية ، واشترك في عمليات تزوير جوازات السفر للمكسيكيين الراغبين في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية واشترك في تجارة السلاح والماريجوانا ، وكان يعمل مع منظمة المجرم المشهور « جوكو لمبو » ، إلا أن « جو » قد قتل في سلسلة التصفيات الجسدية التي تقوم بها المنظمات الإجرامية بعضها ضد بعض ، وأحس أن الرصاصة الثانية ستطلق عليه ، فهاجر إلى إسرائيل الهجرة الثانية .

جاء إلى إسرائيل ليقيم فيها حتى الموت ، فلم يعد له مكان غيرها ، ويحمل في داخله تاريخاً أسود ، وأفكاراً مدمرة ، ولكن والده علمه أن هذه الأفكار سوف تلقى تأييداً

عارماً بين الشعب اليهودي . جاء كاهانا عام ١٩٦٩ ، إلى إسرائيل وخلال فترة وجيزة أصبح حاكماً ، ثم أصبح زعيماً لما يشبه حزب سياسي ، ثم عضواً في الكنيست الإسرائيلي ، وليس بعيداً أن يصبح وزيراً في الحكومات الإسرائيلية القادمة لماذا ؟

يقول كاهانا : لقد جئت وأنا أحمل أفكاراً تمس الوتر الحساس لدى هذا الشعب الخائف ..

فما هي هذه الأفكار التي وجد كاهانا أنها الوحيدة الصالحة للزراعة في إسرائيل ؟

- ضرورة إبادة العرب ، عن طريق تنظيم جماعات مسلحة تهدم بيوتهم على رؤوسهم وتستولي على أرضهم بالقوة .

- ضرورة ضم الضفة الغربية وغزة وطرد العرب منها فوراً دون إبطاء .

- لا سلام مع العرب بما في ذلك مصر .

- إقامة حدود مملكة إسرائيل الثالثة .

- هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل ..

- إقامة المستوطنات في الضفة وغزة .

- ضرب الذين ينادون بالسلام مع العرب من الشعب اليهودي .

- الإمتلاء على الحكم لتنفيذ برنامجه السياسي .

* * *

حول هذه المبادئ ، وهذا المفهوم كون منظمته الإرهابية المعترف بها وهي « حزب كاخ » .. ويقال أيضاً أنه وراء إقامة المنظمة الإرهابية « الإرهاب ضد الإرهاب » .

ولنبدأ بمنظمة كاخ أو حزب مائير كاهانا .

استطاع كاهانا في فترة وجيزة أن يجمع حوله آلافاً من الشباب للانضمام إلى هذه المنظمة الإرهابية « كاخ » ، ومعظم هؤلاء في البداية كانوا أقل من العشرين وحاول - بهم - مرة خوض إنتخابات الكنيست ولكنه فشل ، إلا أنه نجح في الإنتخابات التي جرت في يوليو عام ١٩٨٤ ، مما يدل على أن حركته في تصاعد مستمر والغريب في أمر هذا الحزب بأن الأعضاء غير ملزمين بدفع الاشتراكات ، وفي نفس الوقت يتفق كاهانا

بسبب ، وقد تعلم الحكومة الإسرائيلية مصدر هذه الأموال ، إلا أنها في نفس الوقت لا تعلن ذلك ولا تسأل كاهانا عن مصدر تمويله ..

كما أن سياسة القبضة الفولاذية الموجهة ضد العرب في عهد بيجين كان لها تأثيرها الواضح على ازدياد نشاط حركة كاخ وغيرها من الحركات الإرهابية الأخرى التي تمارس أعمالها الإرهابية ضد المواطنين العرب في المناطق المحتلة مثل حركة « يش » الطلابية في جامعة حيفا والتخنيون ومنظمة « كاستل » في القدس وتل أبيب ومنظمة « متسادا » في بئر سبع ، وقد قامت المنظمات الفاشية الطلابية الصهيونية بهجمات دموية ضد الطلبة العرب وتنظيماتهم الطلابية في الجامعات .

وتضم حركة كاخ في عضويتها إضافة إلى الحاخام كاهانا مجموعة من الأشخاص تحفل سجلاتهم بالعديد من أعمال العنف والاعتقالات والإدانات بسبب ارتباطاتهم ومخالفاتهم السياسية .. وأشهر هؤلاء هو المدعو إيلي هازئيف الذي قتل قبل ثلاث سنوات ونصف خلال مهاجمة مبنى الديويما في الخليل وكان زئيف قبل هجرته إلى إسرائيل مسيحياً وكانت عائلته تدعى جيمس وخلال حرب فيتنام كان هازئيف أحد أفراد وحدة القناصين الخاصة العاملة في سلاح المظلات الأمريكي ، وفي نهاية الستينات وقبل هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام بقليل جرح هازئيف في إحدى المعارك وأطلق عليه زملاؤه اسم الذئب ..

والشخص المشهور الآخر في حركة كاخ والأكثر تطرفاً من مائير كاهانا هو يوآل لارنر - ٤١ سنة - الذي كان في السابق من مؤسسي منظمة الدفاع اليهودية في الولايات المتحدة ولارنر عضو في زعامة حركة كاخ ، وقد تورط عدة مرات مع القانون بسبب نشاطات سرية مسلحة قام بها ضد المواطنين العرب وحكم عليه بسبب ذلك بالسجن عدة مرات .

نعود إلى كاهانا مرة أخرى ، فهو ظاهرة منسجمة تماماً مع جذور الإرهاب اليهودي ابتداء من الجيتو مروراً بالعصابات حتى قيام الدولة .

كراهية كاهانا للعرب لا تعرف حدود .. فهو لا يطلق اسم العرب على الفلسطينيين في الأرض المحتلة ، إنه يشير إليهم « بالفلول الأجني » ، وقد أشار إلى الفلسطينيين مرة في أحد منشوراته الانتخابية يقول : « لقد تقياً الأجانب أمراضهم علناً ، وابتلعنا هذا القيء » ، دعونا الآن تقياً هؤلاء ، ونطهر الأرض المقدسة من بقايا الدنس » ..

يعتقد كاهانا أن سر نجاح دعوته هو الخوف المنتشر بين الإسرائيليين من العرب ، وقال لمجلة نيوزويك الأمريكية عن قضية السلام العربي الإسرائيلي : « لن يكون هناك سلام على

الإطلاق بين اليهود والعرب ، فليس هناك عرب معتدلون هناك نوعان من العرب فقط ، عرب أذكاء وعرب أغبياء ، وهؤلاء العرب الأغبياء هم الذين يفصحون عن نواياهم - كسوريا وليبيا - أما الأذكاء فهم الذين يخفون نفس النوايا ، ولا يعلنون عنها ، لذلك فإن مفاوضات السلام - مع وفد أردني فلسطيني - لن تسفر إلا عن أنهيار يهودي ، وخاصة على يد الحمام ، بسبب أوهام السلام أو لتخلينا عن الأرض مقابل السلام ، ومعنى السلام هو تقريب القوى العربية من مدنا ..

كاھانا .. قام بمظاهرة صاحبة ضد القنصلية المصرية في إيلات وطلب من أعضاء القنصلية العودة إلى مصر ، ثم تعرض للقنصل المصري عندما التقى به في أحد شوارع مدينة إيلات ، واستفزه ، وطلب منه مغادرة إسرائيل ، فرد عليه القنصل : أعتقد أن هذا ليس من شأن الحاخام ، فهدده وقال له : « سوف أريك » وكان كاھانا قد اشترك في محاولة نفس السفارة العراقية في واشنطن ، وحاول تدبير هجوم على مكتب الوفد المصري في الأمم المتحدة ..

والآن .. ما هي العمليات الإرهابية التي قام بها كاھانا وحزبه كاخ ؟

* * *

قبل الإجابة على هذا السؤال ، فلنقدم الجناح الأيمن للإرهاب في ظل الدولة ، وهي منظمة الإرهاب ضد الإرهاب .

هذه المنظمة ، لم يتوفر عنها معلومات كافية ، رغم قيامها بعمليات إرهابية خطيرة في الأرض العربية المحتلة ولكن صحيفة « هل هم شمار » الإسرائيلية ألفت بعض الضوء على هذه المنظمة ، فقد ذكرت بتاريخ ٢١ ديسمبر عام ١٩٨٣ « أن البحث عن هوية أعضاء منظمة إرهاب ضد إرهاب يشير إلى أنهم مجموعة يهودية متطرفة في بروكلين وقد هاجروا إلى إسرائيل بعد أن تدرّبوا في معسكر تدريب تابع لرابطة الدفاع اليهودية الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا يعني صلتهم بحركة كاخ التي يتزعمها مائير كاھانا مؤسس رابطة الدفاع اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعض تصرفات كاھانا الأخيرة تكشف إلى حد ما صلتها بمنظمة إرهاب ضد إرهاب وتأيدته العلني لها .

إن الشرطة الإسرائيلية - على حد زعم حكومة تل أبيب - لم تتمكن من معرفة زعماء هذه الحركة ، وربما تكون هي الجناح العسكري لحركة « كاخ » .. إن معظم العمليات الإرهابية في الأراضي المحتلة ، قد أعلنت هذه المنظمة مسؤوليتها عن القيام بها . وقد شوهد

الحاخام كاهانا يحمل لافتة ، ويقود مظاهرة تقول اللافتة « اني أؤيد منظمة إرهاب ضد إرهاب » وكان ذلك في أول عام ١٩٨٤ ..

والآن .. ما هي العمليات الإرهابية التي قامت بها تلك المنظمات ؟

أخطر هذه العمليات ، والتي اشتركت فيها كافة المنظمات سابقة الذكر هي بناء المستوطنات الإسرائيلية في الضفة وغزة والجولان لخلق واقع جديد يصعب تغييره فيما بعد ، وبناء على إقامة هذه المستوطنات ، فلقد تمكنت هذه العصابات - بمساعدة ومساندة الحكومة الإسرائيلية - من دفع آلاف الفلسطينيين من الخروج من الأرض العربية المحتلة في محاولة لتفريغ قطاع غزة والضفة الغربية من السكان ..

وخلال شهر يونيو عام ١٩٨٠ ، حدثت عدة اعتداءات على عمد الضفة الغربية حيث انفجرت فيهم عبوات ناسفة ، فرييس بلدية نابلس - بسام الشكعة - قد بترت ساقاه وكريم خلف رئيس بلدية رام الله بترت قدمه ، ولم تتمكن أجهزة الأمن الإسرائيلية من معرفة المجرمين الذين ارتكبوا هذه الجريمة ، إلا أن المجلة الشهيرة (إسرائيل - فلسطين) التي تصدر في باريس باللغة الإنجليزية ، قد نشرت في شهر أغسطس عام ١٩٨٠ بأن روافيل ايتان يتزعم وحدة سرية لمكافحة الإرهاب العربي ، وله ارتباطات مع المستوطنين المنتمين لمنظمة جوش ايمونيم ومع الحاخام الإرهاني مائير كاهانا ، ومع أعضاء سابقين في الوحدة ١٠١ التي كان قد شكلها أرييل شارون ، وأن هؤلاء هم المسئولون عن الاعتداءات ضد رؤساء المجالس (عمد الضفة الغربية) .

ومن عمليات منظمة إرهاب ضد إرهاب إحراق أتوبيس ركاب عربي في وادي الجوز بالقدس وتخطيط واجهة مبنى الزهراء في القدس في فبراير عام ١٩٨٢ ..

وغيرها من العمليات الإرهابية التي كانت تكتب في أعقابها على الجدران المجاورة « إرهاب ضد إرهاب » و « الموت لراجمي الحجارة » .

وذكرت صحيفة هآرتس بتاريخ ١٩٨٤/١/١ أن المسئول عن وضع العبوة الناسفة في مساجد مدينة الخليل صباح يوم ١٩٨٣/١٢/٣ هي منظمة تي . إن . تي هذا بالإضافة إلى عمليات أخرى كبيرة نفذتها هذه المنظمة .. وبالنسبة لصلة الحكومة الإسرائيلية بمنظمة تي . إن . تي فإن الظاهر يقول بانقطاع أي صلة ، لكن عجز الشرطة المزعوم عن كشف زعماء هذه المنظمة وأعضائها ربما يؤكد وجود صلة خفية بين الطرفين ..

وبلغت العمليات الإرهابية التي نفذتها حركة « كاخ » ذروتها في عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٣ . ويذكر دان عومر كاتب مقال « الفاشية الجديدة في إسرائيل » ونشرته مجلة

معمولاً هازيه بتاريخ ٢٨/١٢/١٩٨٣ أن من بين العمليات الإرهابية التي قامت بها هذه الحركة :

- محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى .
- خطة تفجير قبة الصخرة .
- إطلاق النار على المصلين في الصخرة .
- مقتل عضو حركة السلام الآن - اميل غرينسفايج .
- الاعتداء على باص عربي قرب جبل هرتسل في القدس .
- سلسلة القنابل المفخخة في منطقة القدس .
- إحراق السيارات في حي أبو طور .

وهذا المسلسل الإرهابي كاف للتدليل على هوية حركة « كاخ » وزعيمها وأعضائها ، كما يوضح إلى حد كبير طبيعة أهداف الحركة وأبعادها وبرامجها والهدف المحوري لهذه الحركة هو طرد العرب من أراضيهم .. ويصرح « جاد سروتمان » السكرتير الحالي للمحاكم كاهانا بهذا الهدف دون موارد خلال مقابلة صحفية معه فيقول : « من حقنا ألا نبقي على الكثير من العرب هنا » ، كما يقول أحد الأعضاء الأكثر تطرفاً في الحركة أنه من الواجب العمل على طرد العرب من البلاد ومن خلال اتباع أساليب العنف الفورية^(١) .

وقد قامت منظمة إرهاب ضد إرهاب بإرسال مئات من رسائل التهديد بالقتل إلى الكثير من الشخصيات العربية سواء في الأرض المحتلة أو خارجها ، وخاصة في مصر والأردن ..

* * *

وفي نوفمبر عام ١٩٩٠ ، ذهب الإرهابي كاهانا إلى نيويورك ، ولما تجمع من المهوسين والارهابيين ، تم اغتيال السفاح كاهانا في فندق « هالوران هالوس » ، حيث كان يقيم ، وقد قبضت الشرطة الأمريكية على مواطن مصري من بورسعيد مقيم في

(١) من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين . غازي السعدي - دار الجليل للنشر .

نيويورك اسمه « السيد نصير » ، ووجهت له تهمة اغتيال ملثري كاهانا ، وظل يحاكم لمدة عام ، وفي ٢٢ ديسمبر عام ١٩٩١ ، أعلن القضاء الأمريكي براءة السيد نصير من إغتيال الحاخام الصهيوني ملثري كاهانا .
وانتهت مأساة هذا الإرهابي .

كلمة أخيرة ..

هل توجد دولة ما ، على هذه الكرة الأرضية ، تضم هذا العدد من المنظمات الإرهابية العلنية ؟

هل توجد دولة ما ، على هذا الكوكب ، بها عشرات المنظمات الإرهابية ولا تتمكن الحكومة أن توقف نشاطها ؟

هل توجد دولة ما ، تحمي الإرهاب ، وتترك زعماء هذه المنظمات يشاركون في صناعة القرار السياسي ، فإن البعض وزراء في حكومة إسرائيل ، والبعض الآخر في مواقع صنع القرار السياسي ، والبعض أعضاء في الكنيست الإسرائيلي ؟

هل توجد دولة ما ، عاشت إلى الأبد ، وهي قائمة على الإرهاب والدم والحرق والتدمير ؟

والإجابة على هذا السؤال ، أعود إلى كتاب يهودي إسرائيلي هو بنجامين عمري والكتاب « إسرائيل بعد الحقبة الصهيونية ، يقول في مقدمة الكتاب :

« » وما يعكس المناخ السائد بين اليهود الإسرائيليين تلك الفضائح التي أسفر عنها استطلاع الرأي ، والتي نشرت في الصحف بعد الهجمات التي تعرض لها ثلاثة من عمد الضفة الغربية ، وقد شنت هذه الهجمات جماعة تطلق على نفسها « إرهاب ضد إرهاب » فقد عبر ٥٤٪ ممن سئلوا في الاستطلاع عن رفضهم لهذه الجماعة ، بينما أيد ٣٦٪ الأعمال التي تقوم بها هذه الجماعة .

ثم يقول : « » ويتمثل استنتاجي أن القضية الصهيونية ضائعة لا محالة حتى بالمعنى الضيق المعاصر الخاص بالمحافظة على إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود ..

وتكفي هذه الشهادة .. من يهودي يعيش في إسرائيل ..

الفصل الحادى عشر
ارهاب ما بعد السلام !

• إن الاختيار المائل أمام اسرائيل ويهود العالم هو : إما دولة
يهودية تضمحل تدريجيا او جالية يهودية قوية داخل دولة
يهودية عربية ، والاختيار الثاني يعنى التخلّى عن الصهيونية في
كل اشكالها ، فالصهيونية التى نشأت في ظل مجموعة فريدة من
الظروف ، انتهت باختفاء هذه الظروف لأنها فشلت في تحقيق
الغرض منها الا وهو حل المشكلة اليهودية . .
بتجامين عمرى

الفصل الحادى عشر

إرهاب ما بعد الاسلام !

استطاعت إسرائيل أن تعلم الفلسطينيين العنف السياسى ، ففى عام ١٩٤٨ ، أقام مناحم بييجن مذبة من أقسى المذابح ، التى حدثت فى كل تاريخ البشرية ، وهى مذبة دير ياسين ، وكان رد فعل هذه المذبة هو هروب الفلسطينيين من فلسطين خوفاً من الإرهاب الصهيونى ، وبعد قيام دولة إسرائيل ، وقيامها بسلسلة غير عادية من المذابح والأعمال الإرهابية ، وعندما حدثت نكسة عام ١٩٦٧ ، لم يخرج الفلسطينيون كما خرجوا بعد هزيمة ١٩٤٨ أو بعد مذبة دير ياسين ، ولكنهم تمسكوا بالأرض ورفضوا الخروج . ثم بدأوا مقاومة الاحتلال من خارج الأرض ، ثم تطور الموقف وانتقلت المقاومة من الخارج إلى المقاومة من الداخل ، كان الفلسطينيون يلقون بالحجارة على قوات الاحتلال ، وكانت هذه القوات تستخدم المدافع الرشاشة ضد المقاومة السلمية للفلسطينيين بل قامت - حتى بعد اتفاق السلام الإسرائيلى الفلسطينى - بإقامة عشرات المجازر للشباب الفلسطينى ، وقامت بهدم بيوت الفلسطينيين وطردهم منها ، وكانت أبشع المذابح ، تلك المذبة الشهيرة بمذبة الحرم الإبراهيمى التى تمت عقب اتفاق السلام بين الحكومة الإسرائيلية وبين منظمة التحرير الفلسطينية .

كانت المجزة بشعة إلى حد يثير الغثيان .

كانت المجزة تؤكد أصالة الإرهاب داخل « الشعب » الإسرائيلى .

كانت المجزة إستهانة بالقيم الإلهية وكل الأديان .

كانت المجزة تحدياً للمجتمع الإنسانى كله .

كانت المجزة تأكيداً على روح الشر والحقد داخل مجتمع الإرهاب فى

إسرائيل .

كانت الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ١٥ من شهر رمضان

الكريم (فبراير ١٩٩٤) ، وتوافد عدة مئات من الفلسطينيين المسلمين إلى صحن

المسجد لأداء صلاة الفجر فى هذا الشهر الكريم ، ونادى مؤذن المسجد للصلاة .

ووقف المصلون بين يدى الله .

وفجأة . . اقتحم المسجد مجموعة من الإرهابيين بقيادة الإرهابى باروخ جولد

شتاين (يهودى أمريكى استوطن إسرائيل) ، يحملون جميعاً مدافع رشاشة ،

وقنابل يدوية . وفى هذه اللحظة ، لحظة دخول الإرهابيين صحن المسجد ، كان المصلون ساجدون لله عز وجل ، وألقى « البطل » الإسرائيلي بقنبلتين يدويتين على الحاشعين لوجه الله ، وفوراً انطلقت طلقات الرصاص من مدافع الإرهابيين الإسرائيليين على المصلين ، وكلما فرغت خزائن مدافع الإرهابيين أعادوا تعبئتها وعادوا لإطلاق الرصاص فيمن ظل حياً من المصلين الفلسطينيين أو حاول الخروج من المسجد والهرب من تلك المذبحة .

وانتهت واحدة من أسوأ مجازر التاريخ البشرى ، وإمتلأ المسجد بتسعة وسبعون شهيداً ومائتى ستة وخمسون مصاباً .

وخرج « فرسان » المجزرة ، بعد أن فرغت رصاصاتهم . وانتقل الخبر بسرعة البرق إلى كل مواطن فلسطين فى الأرض المحتلة . وخرجت المظاهرات الغاضبة فى الأرض المحتلة ، تصرخ ، تبكى ، وكلها قهر وحزن .

وخرجت قوات الاحتلال لقمع مظاهرات القهر والاحتجاج . وأطلقت القوات الإسرائيلية الرصاص على المتظاهرين ، فأضافوا ثلاثة شهداء جدد إلى موكب شهداء مجزرة المسجد الإبراهيمى بالخليل . فماذا فعلت إسرائيل بمرتكبي الحادث ؟

لقد تم اعتقال « بطل المجزرة » ، وقبضت على مرتكبي المجزرة لمحاكمتهم محاكمة صورية ، وظل التوتر سائداً بين الفلسطينيين لعدة أسابيع طويلة ، وقررت إسرائيل تقسيم « الحرم الإبراهيمى » ، وأعطت للمسلمين ثلث الحرم ، والباقي لليهود .

وعاد التوتر من جديد .

وأعلنت إسرائيل عن فتح المسجد أو الجزء الخاص بالمسلمين للصلاة بشرط أن يتم ذلك بأعداد قليلة .

ويوم الافتتاح ، وكان ذلك لصلاة الجمعة ، كانت إسرائيل تبني نصباً تذكارية لزعيم المذبحة على مقربة من المسجد ، باعتباره فارساً وابطالاً قومياً .

ملاحظة غريبة : بعد كل اتفاقية سلام مع الدول العربية ، لابد وأن تقدم على عمل إرهابى كبير ، ومع كل رئيس دولة عربية يأتى . بعد السلام تنفذ خطة إرهابية ضد أى دولة عربية ، لتؤكد أن السلام لا يعنى التخلل عن الإرهاب . وأن لإسرائيل اليد الطولى على كل العرب ، وأن على العرب أن يسعدوا بموافقة إسرائيل على السلام ، فعقب اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى الشهير باتفاقية كامب ديفيد ،

طلب منحهم بيجين لقاء الرئيس المصرى أنور السادات ، وقامت أجهزة الإعلام الإسرائيلية بالتوسع فى نشر وبث هذا الخبر المثير ، ووافق الرئيس السادات على اللقاء ، وتم اللقاء - على وجه السرعة - فى جنوب سيناء ، وتحدث بيجين على العلاقات المصرية الإسرائيلية ، والاستقبال البارد من قبل المصريين للسلام ، وحجم الإسرائيليين الذين يزورون مصر بالمقارنة بالحجم الضئيل للمصريين الذين يزورون إسرائيل . وأن طائرات العال تعود من القاهرة خاوية من الركاب المصريين .

دهش السادات لطلب بيجين « سرعة اللقاء بالسادات » فالأمر لم يكن يحتاج هذه السرعة ، وهذه الإثارة الإعلامية الكبرى . وبعد ساعات من اللقاء . قامت الطائرات الإسرائيلية بعدة غارات مؤثرة فى المنشآت النووية العراقية . واستشهد فى هذه الغارات عشرات من العراقيين والعرب الذين كانوا يعملون فى المفاعل الذرى العراقى . واحتج السادات بشدة لهذا العمل الإرهابى . وسللت إسرائيل خبرا يقول أن بيجين التقى بالسادات ليحصل منه على الضوء الأخضر لضرب المفاعل النووى العراقى !! وكان هذا عقب اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى .



بعد اتفاق واشنطن بين منظمة التحرير الفلسطينية ، عاد اسحق رابين ، ليرعى سلسلة من الأعمال الإرهابية ضد الفلسطينيين وخاصة فى قطاع غزة ، ولكن قمة هذه التراجيديا هى : مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل بالضفة الغربية .



إسرائيل ، ركبت مجرة عربية السلام ، وكانت تتصور أنها ستمسك زمام أمور السلام ، وتقود عربية السلام ، إلى حيث تريد ، وأن مفهومها للسلام هو إضافة « المال العربى » لدى من لا يستحقه إلى « الدولة القوية » ، ثم إضافة « الأيدى العاملة العربية الرخيصة » إلى القوى العاملة الإسرائيلية . وبهذا يصبح لها الريادة والهيمنة على منطقة الشرق الأوسط .

ولكن قوة دفع السلام ، كانت أقوى من أحلام إسرائيل ، وطبيعة الأشياء أقوى من مكر وتخطيط إسرائيل ، لقد أرادت أن تقضى على العرب بالسلام ، فإذ بالسلام حبل يلتف حول عنقها ، هناك من يقول من المفكرين الإسرائيليين بأن عبد الناصر بصيحات الحرب التى كان يطلقها من وقت لآخر ، وشعارات « مصر

أقوى قوة « قد أذاب التناقضات داخل المجتمع الإسرائيلي لمواجهة التحدى والخطر الخارجى ، كما دفع بإسرائيل إلى التقدم والاستتفار الدائم ، ثم كانت المأساة الكبرى بأن أهدى لهم كل الضفة الغربية ، كل قطاع غزة ، كل هضبة الجولان ، كل سيناء إلا قليلا ، بالإضافة إلى جانب من أراضى شرق الأردن ، وذلك خلال هزيمة عام ١٩٦٧ .

ثم جاء السادات .

وحرر في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ جانباً من سيناء بالقوات المسلحة المصرية ، ودخل - عن وعى وإدراك بما يفعل - دائرة السلام ، وقرر أن يقضى على الإرهاب الإسرائيلى بالسلام ، ويتزع منهم كل أسلحة القوة وعوامل التحدى والبقاء . ورغم أنه لم يكمل المسيرة ، إلا أنه ترك للسلام قوة دفع لا تملك إسرائيل إيقافها .

وغدا . . سوف تشهد الأجيال القادمة ، إسرائيل وقد تحولت إلى احدى دول الشرق الأوسط ، وقد انتزع منها العنصرية الصهيونية رغماً عن قادتها . فلقد ترك المتناقضات فى المجتمع الإسرائيلى تجتمع شتاتها مرة أخرى ، وتعود لقوتها ، لتقضى على عنصرية مجتمع « العسل واللبن » .



بعد السلام مع مصر ، حدثت عدة ظواهر جديدة على المجتمع المصرى ، وكلها ظواهر سلبية خطيرة ، ومنها :

●● انتشار الهيروين بين الشباب ، وهو مسحوق بنى فاتح ويؤدى إلى الإدمان فالموت . وقد تمكنت إدارة مكافحة المخدرات من القبض على عصابات دولية لتهرب الهيروين إلى مصر . ودائماً يوجد إسرائيل فى مثل هذه العصابات . وسألت أكثر من خبير مكافحة مخدرات عن دور إسرائيل فى إغراق السوق المصرى بالهيروين ، لم يتمكن أحد من هؤلاء الخبراء أن يؤكد بأن « الحكومة » الإسرائيلية وراء هذا الانتشار ، كما أنه لم يستطع أن ينفى إمكانية وجود أصابع الموساد فى هذه العصابات .

●● جاءت إلى مصر - بعد التطبيع الزراعى ، آفات لم نسمع عنها من قبل ، وأصبحت زراعتنا بأمراض لم نعرفها فى كل تاريخنا الزراعى ، على سبيل المثال لا الحصر « دودة النخيل » ، والتي عرفت « بلأدز النخيل » وهى دودة تأكل « لب » النخيل ، ولا تترك النخلة إلا بعد أن تلتهم هذا « اللب » . . وغوت النخلة ،

واحترار الزراعيون في أمر هذه الدودة ، وتهدد هذه الدودة ثروتنا من النخيل . . من أين جاءت هذه الدودة القاتلة ؟ . . هل جاءت من إسرائيل ؟ - لا أحد تحرى الحقيقة حتى الآن !

وما نسمعه عن آفات جديدة ، تدخل مصر لأول مرة ، وتفسد زراعتنا ، حتى وصلت الفجوة بين الاستهلاك الغذائي وبين الانتاج الزراعى الى ستين في المائة ، بينما - فى السابق - كان هناك إكتفاء غذائى واقى ، ومازال السبب غامضا . ●● تم القبض على عصابات مصرية وأجنبية لترويج العملات الأجنبية المزورة فى السوق المصرى ، وثبت أن المروجين من إسرائيل ، قهّل هى خطة إسرائيلية لتدمير الإقتصاد المصرى ؟

●● حدثت فضيحة خطيرة ، تكتمتها أجهزة الاعلام المصرى ، لقد جاءت إلى جنوب سيناء فتاة اسرائيلية جميلة ، وحاولت ممارسة الجنس مع أكبر عدد من المصريين ، وعاشت فى جنوب سيناء عدة أسابيع - وكأنها فى مهمة وطنية - وبعد عودتها إلى إسرائيل ، أعلنت أنها ذهبت الى جنوب سيناء خصيصا ، لتنقل الإيدز منها إلى أكبر عدد من المصريين . ولم يتحرى أحد فيما إذا كانت قد جاءت إلى جنوب سيناء ضمن الإرهاب الإسرائيلى ما بعد السلام . . أم أنها مجرد متطرفة إسرائيلية تكره المصريين .



مما لاشك فيه ، أن الطبيعة الإرهابية للدولة اليهودية ، تعلم أن الخطر الحقيقى على سياسة الهيمنة الإسرائيلية هى مصر - وخاصة بعد هرولة العرب إلى أحضانها فور اعلان اتفاق غزة أريحا - وأن فى « خزانة » الموساد ، والحكومة الاسرائيلية الخطط الاسرائيلية التأميرية على مصر ، منها ما قد أعلن ، ومنها ما هو خفى ، ومن المعلن هو مشروع إسرائيل القديم ، يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر ، عن طريق قناة من إيلات على خليج العقبة ، تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض . كقناة بديلة لقناة السويس ، وهو مشروع يعتبر اعلان الحرب على مصر .

وما خفى - لديهم - كان أعظم . . . وأخطر !!

الفصل الثانی عشر
مستقبل السلام
العربي الإسرائيلي

نشأت هذه الدولة من أيديولوجية خادعة ، ومن سلسلة من أعمال العنف والارهاب ، وقامت على أساس غير مشروع اتخذته الأمم المتحدة ، عندما كانت تسيطر عليها الدول الغربية الاستعمارية ، فقامت تلك الدول بممارسة الضغط والرشوة بلا وازع من حياء .

روجيه جارودي
مفكر فرنسي

« حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها للصلح .. فإن أجابتك لصلح وفحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للسخر ويسعيد لك ، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها ، فتضمنها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاهها الرب إهلك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصياً ، فلا تستيق منها نسمة ما » ..

* * *

سفر الشريعة

مستقبل السلام العربي الإسرائيلي

السؤال الآن .. إذا كانت نظرة اليهود الإسرائيليين للعرب ، بهذه الصورة ؟ .. فما هو مستقبل السلام العربي الإسرائيلي ، .. بل ما هو مستقبل الاتفاقات التعاهدية التي وقعتها كل من مصر وإسرائيل في كامب ديفيد ؟

في البداية ، فإن كاتب هذه السطور ، يؤيد السلام العربي الإسرائيلي ولكن « السلام الحذر » فإن مكاسب الإسرائيليين قبل وبعد قيام إسرائيل ، قد جاءت نتيجة تسللهم من فتحات عيوبنا ، وليست نتيجة قوة ذاتية ، فهم يجيدون اللعب بأوراق ضئيلة ، ونحن لا نجيد الاستفادة من إمكانيات ضخمة نملكها ، ولولا عيوبنا ما كانت إسرائيل ، ولولا عيوبنا ما كان هذا حالنا ..

فما هو السلام الحذر ؟

إن رجل الشارع في مصر ، قد عبر أصدق تعبير عن هذا السلام الحذر عندما طلبت الحكومة من المحلات التجارية أن ترفع لافتات تؤيد خطوة الرئيس الراحل بزيارة القدس ، وقد كان الشارع المصري - في ذلك الوقت - يؤيد هذه الخطوة لأسباب عديدة أذكر منها :

- إن هذه الخطوة ، ستوقف الحرب ولو لعدة سنوات ، ولقد سئم الناس الحروب ، وأن تفقد كل أسرة شاباً ، وقوداً لهذه الحروب ، خاصة أن هذا السلام جاء نتيجة لانتصارنا في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ..
- إن الحالة الاقتصادية ، كانت أسوأ مما يكون ، وقد توقفت اعتمادات الخدمات لسنوات طويلة بسبب الحروب مع إسرائيل بالإضافة إلى حرب اليمن ..
- إن الدول العربية لم تقدم لمصر - لأكبر دولة قدمت عبر السنين للقضية العربية - ما يمكن أن تحتاجه للخروج من الأزمة الاقتصادية ، في الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار البترول - نتيجة لحرب أكتوبر - عدة أضعاف ، وأصبح الفارق الاقتصادي بين مصر التي أعطت ، والدول العربية فرقاً هائلاً ..

● إن بعض الذين عملوا في الدول العربية قد عادوا ونشروا حكايات كثيرة عن إهانات العرب للمصريين ، بالإضافة إلى ما قامت به وسائل الإعلام في بعض الدول من تجريح في مصر ، سواء عن قصد أو بدون قصد ..

● إن الإعلام العربي ، قبل وبعد الزيارة لم يفهم ولم يتعامل مع طبيعة الشعب المصري ، فعندما قام بشن حملة ضارية على النظام ، ووصفه بأبشع الأوصاف والنعوت ، بل امتد هذا إلى الشعب ذاته ، هذا الإعلام استنفر روح التحدي لدى الشعب المصري ، مما جعله يقف بجانب خطوة السادات في رحلته إلى إسرائيل ..

* * *

لهذه الأسباب .. خرجت الملايين لاستقبال السادات من رحلته إلى القدس .. ولهذا الأسباب رفعت المحلات التجارية لافتات تؤيد خطوة السادات ، فكانت العبارات كلها تدور حول معنى واحد أن « مصر تؤيد السادات في خطوته نحو السلام » ، « أن مصر جادة في السلام » ، ولكن لم تذكر لافتة واحدة « السلام مع إسرائيل » وقد أثارت هذه الشعارات الصحفيين الإسرائيليين ، فلا يوجد ذكر لإسرائيل في شعارات السلام التي غطت شوارع القاهرة ، ولا يوجد علم واحد لها في كل هذا المهرجان .

فقام الصحفيون بسؤال أصحاب هذه اللافتات :

— لماذا لم تذكروا السلام مع إسرائيل .. إن الرئيس السادات قد أعلن طمئ صفحات الماضي ، وتدمير حاجز الخوف النفسي بين مصر وإسرائيل ، فهل هذا الحاجز مازال لديكم ؟

وكادت الإجابة أن تكون واحدة ، بين كل الذين أدلوا بإجاباتهم على أسئلة الصحفيين الإسرائيليين ، قالوا لهم :

— يصعب تدمير حاجز الخوف منكم ، إننا نريد حقاً سلاماً ، ولكن ما لنا لديكم لن نستطيعوا التفريط فيه ، هل يمكنكم إعادة كل الأرض العربية المحتلة إلى أصحابها ؟ .. إن مصر جادة في السلام .. وقادرة عليه .. ولكن هل أنتم جادون في ذلك ؟ .. إننا نخشى أن تعيدوا إلى مصر بنوك الرهونات .. إننا نخشى ما نسمعه عن ضرورة سيطرتكم على الاقتصاد العربي في حالة السلام .. إننا نخشى نظرياتكم السابقة في تدمير الشعب ..

كانت هذه الإجابة تعني للإسرائيليين بأن المصريين حذرون في قضية السلام المصري الإسرائيلي ..

* * *

في فندق مينهاوس بالقاهرة ، كانت أولى مفاوضات بين المصريين والإسرائيليين وجهاً لوجه بعد زيارة الرئيس الراحل أنور السادات إلى القدس^(١) ، وكانت هناك أزمة بين الوفد المصري والإسرائيلي حول العلم الفلسطيني الذي رفعته مصر على بوابة الفندق ، وكان الإسرائيليون يطالبون بإزالة العلم .

في ذلك الوقت كنا مجموعة من الصحفيين المصريين نجلس في المقهى الملحق بالفندق ، والذي أعدته هيئة الاستعلامات المصرية ليكون مركزاً عالمياً للصحفيين العرب والأجانب . في هذا الوقت كان الإسرائيليون توافون للحوار مع الصحفيين العرب ، فربما يكون هذا الحوار هو أول حوار إعلامي عربي إسرائيلي مباشر ، وكان من بين الصحفيين الإسرائيليين الذين جلسوا معنا المفكر الإسرائيلي يوري أفيري^(٢) . وكان السؤال عن إمكانية دخول أطراف عربية أخرى في مائدة السلام .

قلت : أي سلام .. إذا كان وفدكم بدأ بالاعتراض والرفض للعلم الفلسطيني ..

وعن السلام كان حوار تلك الليلة ، وقلت أن الخطوة المصرية ما هي إلا فتح الباب أمام الجميع للسلام ، ولن يكون هناك - سلام حقيقي حتى لو تم إبرام معاهدات مصرية إسرائيلية دون حل القضية الفلسطينية ، وسيظل الموقف المصري حذراً تجاه السلام حتى تحل القضية الفلسطينية ..

قال صحفي إسرائيلي ، ولكن الرئيس السادات سوف يذهب إلى نهاية الطريق ، سواء بمفرده أو مع العرب .

قلت : السلام ليس معاهدات ولا اتفاقيات ، قد تؤدي المعاهدات إلى وقف حرب لفترة ، ولكن لا تؤدي إلى السلام ، السلام هو السلام بين الشعوب وترعاها الحكومات .

لقد تحدثنا طويلاً في قضية السلام..، وعدت لأدون ما جاء في هذه الجلسة ..

كانت أفكار السلام التي طرحناها تتلخص في الآتي :

(١) عضو في الكنيست ورئيس تحرير « مجلة العالم الإسرائيلية » وله عدة دراسات عن السلام العربي الإسرائيلي ، والتقى بياسر عرفات أثناء حوارهما في بيروت وأجرى معه حواراً أثار ضجة كبرى في إسرائيل .

أن تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية ، وذلك بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وأن تنسحب من الجولان بالاتفاق مع السوريين ومن سيناء بالاتفاق مع المصريين ، على أن يحدث ذلك سواء بمفاوضات منفردة ، أو تحت مظلة دولية ، بشرط أن تعلن إسرائيل موافقتها على الانسحاب ..

قال صحفي إسرائيلي : ولكننا نخشى نظاماً سياسياً في الضفة الغربية يؤيد وتأييده موسكو .

قلنا (الصحفيون العرب والمصريون) : كل هذه الأمور تفصيلية يمكن أن تأتي في المفاوضات ، بل إن العالم العربي لا يمانع في إقامة اتحاد إسرائيلي فلسطيني بشرط أن يتخلّى اليهود عن « يهودية إسرائيل » بل يمكن أن تتحول إسرائيل إلى دولة علمانية ، وإذا خلصت النوايا يمكن إقامة فلسطين الكاملة بما عليها من فلسطينيين ويهود .

قال الإسرائيليون : وما هو المقابل ؟

قلنا : السلام .. والتعاون الاقتصادي ، والعيش في أمان ، فلن يتمكنوا من الحرب حتى نهاية العالم .. وإذا كانت إمكانيات العالم العربي تمكنهم من خسارة عشرات المعارك .. فإن إمكانيات إسرائيل لا تمكنهم من خسارة معركة فاصلة واحدة ..

قالوا : هل معنى ذلك العودة إلى تصرّخ أحمد شقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية عندما قال سوف نلقي باليهود في البحر .

قلنا : الشقيري نفى ذلك ، ولكن العرب لم يلقوا اليهود في البحر .. ولم يقيموا المذابح ضد اليهود .. وأذكر أن العرب المسلمين عندما خرجوا من الأندلس .. أقيمت لليهود المذبحة الأسبانية الشهيرة ضد اليهود .. لقد عاش اليهود - رغم روح الجيتو - في الدول العربية بسلام حتى أقيمت إسرائيل ..

أذكر أن البعض قد وافق على الاقتراح الإعلامي العربي للسلام .. ولكن معظم الإسرائيليين لم يفهموا ما نقول ، لأنهم لا يتصورون إلا السلام الذي سمعوه وقرأوه وتمنوه في صحافتهم وعلى ألسنة قادتهم ..

* * *

ولكن .. لقد أعلن الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات عن إمكانية التعايش الفلسطيني اليهودي ، داخل دولة علمانية ، وقد لاقت هذه الدعوة صدى عند بعض المثقفين الاسرائيليين ، الذين تحدثوا بصمت عن « الدولة العلمانية » . . منهم بنجامين عمري وأصدر كتاباً بعنوان « اسرائيل وفلسطين - بعد الحقبة الصهيونية » . .

وهو كتاب يوجهه بنجامين إلى « يهود الشتات » لأن الاسرائيليين لن يلتفتوا إلى ما يقوله ، إن بنجامين يؤكد أن الحركة الصهيونية محكوم عليها بالموت إن آجلاً أو عاجلاً ، وإن إنقاذ الشعب اليهودي الموجود داخل إسرائيل لن يتم إلا من خلال سلام حقيقي مع الفلسطينيين أولاً ومع العالم العربي ثانياً ، فإن الحركة الصهيونية حاولت أن تحل مشكلة اليهود على حساب الفلسطينيين ، يقول بنجامين في وصفه للدولة الإسرائيلية : « إن الأيديولوجية الميتة للثورة الصهيونية ، والتي تنتبأ بالهجرة الكبرى ، ما هي إلا سراب لليهود الاسرائيليين ، ومصدر خوف وهمي للعرب يغذي فساد اليهود الاسرائيليين والرفض العربي .

وإسرائيل كدولة يساندها الغرب ويسيطر عليها اليهود وحدهم - تغذي بوجودها ذاته على هذا الخط - الرفض العربي ، وذلك لكونها حصناً غريباً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط ، لذلك فإنها تبدو في أعين دول الشرق الأوسط الخطر الدائم على استقلالها وهو الدور الذي لا تستكف المؤسسة الإسرائيلية - الصهيونية - أن تلعبه ..

إن السعي من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسي لقهر الشعب الفلسطيني ، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الاسرائيليين .. أو منع إقامة الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، أو - وهو الأسوأ من ذلك كله - منع إعادة توطين اللاجئين عام ١٩٤٨ في وطنهم وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذي الرفض العربي ..

ويقدم بنجامين عمري مشروعاً للدولة الفلسطينية الإسرائيلية ، وهذا هو الحل - كما يراه - لإنقاذ الأجيال القادمة من اليهود .

* * *

ويضع أورني أفنيري خطة أخرى للسلام ينشرها في مجلة هذا العالم الذي يرأس تحريرها ، تقول خطة أفنيري :

إن البلاد بكاملها وطن لأمتين : الأمة العربية والأمة الفلسطينية .. وأن وحدة البلاد ضرورية بجميع سكانها من الناحية الروحية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية .. ولا يمكن تحقيقها إلا بفضل اتفاق بين الشعبين اللذين يعيشان فوقها والذين يحق لكل منهما الاستقلال الوطني .. وأن المناعة القومية للشعبين في البلاد تتحقق بوجود دولتين ، دولة إسرائيل ودولة فلسطين ، يكونان مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى إسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطين العربية على الضفة الغربية للأردن ، وفي قطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء في حلف ميثاق ودفاعي مع إسرائيل ..

وترسم الحدود الداخلية بين الدولتين وفقاً للحدود التي كانت قائمة قبل ٥ يونيو حزيران ١٩٦٧ .. ولا يمكن تعديل هذه الخطوط إلا بعد موافقة الدولتين .. وتكون مدينة القدس الموحدة عاصمة دولة إسرائيل ودولة فلسطين .. ومركز مؤسساتها المشتركة .. ولا تمنع الروابط القائمة بين الدولتين قيام شركة خاصة بين إسرائيل والعالم اليهودي ، ولا بين فلسطين والعالم العربي ..

ويدعى شعب شرق الأردن إلى الانضمام إلى الحلف الإسرائيلي - الفلسطيني إما باندماج الضفة الشرقية مع دولة فلسطين ، وإما بإدخال الضفة الشرقية كدولة ثالثة في الحلف . وتحفظ كل دولة بسيادتها الكاملة في جميع الأمور التي ليست مدرجة صراحة في الحلف .. ولا يجوز لأية دولة مشتركة في الحلف توقيع أية اتفاقية مناقضة للدولة الشقيقة ، أو توقيع معاهدة مع دولة أجنبية دون موافقة الدولة الشقيقة المسبقة .. ولا توجد أية حواجز اقتصادية داخل البلاد غير التي تقام برضى متبادل ..

واتفاقيات الدفاع : لا يسمح فيها لأية قوة عسكرية أجنبية دخول البلاد وتقام ضمانات فعلية لمنع التهديدات المسلحة الموجهة ضد الدولة الشقيقة .. إن هذه الضمانات قد تشمل مناطق منزوعة من السلاح ، وقواعد عسكرية لكل دولة داخل أراضي الدولة الشقيقة ، و (أو) إقامة جيش فيدرالي مثلما ينص عليه الحلف ..

وحرية التنقل : لا تخضع حرية تنقل مواطني الدولتين في جميع أنحاء البلاد لأي تقييد مهما كان ..

ولا تقبل الحواجز أمام إقامة الفلسطينيين في إسرائيل أو الإسرائيليين في فلسطين إلا بعد رضى متبادل بين الدولتين .. ويدعى كل الفلسطينيين إن كانوا لاجئين أو مستوطنين إلى العودة إلى البلاد .. إن سكان اللاجئين يقع على عاتق مسؤولية إسرائيل وفلسطين معاً .. وتحفظ كل دولة بسيادتها الكاملة على كل ما يتعلق بالاستيطان في أراضيها ..

وتكون العبرية والعربية لغتي الدولة الرسمية .. ، ويشكل الحلف الإسرائيلي - الفلسطيني الخطوة الأولى نحو إقامة فيدرالية تامة تجمع الدولتين المشتركين ولا يمكن فسخ الحلف ، أو بئد من ينوده ، إلا بعد موافقة الدولتين .. كل فسخ اعتباطي للحلف من أحد الفريقين يحول للفريق الآخر الحرية التامة في المحافظة على مصالح وجوده وأمنه الحيوية ..

ويهدف الحلف - الإسرائيلي الفلسطيني - أساساً إلى تحقيق اندماج البلاد بدولتها في إطار إقليمي عريض ، ويرتكز على سلام عادل ، وعلى التعاون الاقتصادي وسوق اقتصادية مشتركة وعلى وسائل دفاعية جماعية بغية الوصول إلى إقامة دولة كونفيدرالية إقليمية ..

* * *

هذه أصوات خافتة جداً داخل المجتمع الإسرائيلي وهي أفكار خائفة إلى حد كبير من ضجيج الإرهاب داخل المجتمع الإسرائيلي ، إلا أن مفكراً فرنسياً يرى صورة أخرى للسلام^(١) ، فيقول :

١ - ليس لدولة إسرائيل ، في المكان الذي زرعوها فيه ، أية شرعية سياسية أو توراتية أو قانونية خلقية .. وتصرفاتها في الداخل والخارج (عنصريتها ، وتوسعها وإرهابها) يجعل منها دولة مثل غيرها ، بل من أسوأ الدول ، وهي شبيهة بمن ترتبط بها بأوثق الرباط : فهي شبيهة بالولايات المتحدة ، تأخذ عنها أسوأ تقاليدھا مع الهنود الحمر والهنود السود ، وتطبقھا ضد العرب .. وتأخذ عنها أسوأ تصرفاتها (مثل ما فعلته في فيتنام) .. وتختفي مثلھا وراء أوھام الديمقراطية ، وتتعاون معها في أمريكا اللاتينية ، ومع شر الديكتاتوريات دموية في تلك المنطقة) ..

- وهي شبيهة بجنوب أفريقيا ، فتأمر مثلھا التفرقة العنصرية .. والاستعمار البالي .. - وهي شبيهة بالسلفادور ، وجواتيمالا ، وأورجواي (التي كانت الملجأ الأساسي لقدماء النازيين) ، فهي تقدم لتلك الدول السلاح والمدربين العسكريين حتى يستطيعوا ممارسة الإرهاب ضد شعوبهم ..

٢ - المذهب الذي قامت عليه دولة إسرائيل وهو الصهيونية السياسية لم يأت من التقاليد اليهودية - ولكنه - نبع من القومية والاستعمار الغربيين في القرن التاسع عشر ،

(١) روجيه جارودي « حلف إسرائيل » ترجمة الدكتور مصطفى كامل فوده ..

وتتخذ الصهيونية السياسية من التقاليد اليهودية قناعاً تختفي وراءه .. وذريعة تتذرع بها ..
والصهيونية نوع من العنصرية ، ومن القومية ومن الاستعمار ..

٣ - نشأت هذه الدولة من أيديولوجية خادعة ، ومن سلسلة من أعمال العنف والإرهاب ، وقامت على أساس غير مشروع اتخذته الأمم المتحدة عندما كانت الدول الغربية الاستعمارية مهيمنة عليها ، فقامت تلك الدول بممارسة الضغط والرشوة بلا وازع من حياء .. لم تعش هذه الدولة بفضل عملها وطاقاتها الخاصة بها ، ولكنها عاشت - شأنها شأن الصليبيين في الماضي - على تدفق المال والسلاح من الولايات المتحدة التي تتخذ من إسرائيل أداة لها في استراتيجيتها العالمية .. والتي جعلت من إسرائيل جزءاً منها غرسته في الشرق الأدنى ..

٤ - تندرج دولة إسرائيل - بعد تجريدها من أساطيرها التي قامت عليها .. ومن إرهابها الفكري والمادي - في السلك العادي للدول ، فلا هالة تجل هامتها ولا امتياز لها ، ولا أية صفة مقدسة ..

وكل الدول نشأت من حق معين ، ولم تنشأ من توازن القوى ومن مجموعة من الأمور الواقعة ..

٥ - ليس من الممكن إعادة التاريخ ، ورسم حدود الدول بقوة السلاح ..

٦ - من غير المعقول مطالبة منظمة التحرير بالاعتراف بإسرائيل بلا شرط وذلك لأسباب عديدة أهمها ثلاثة :

(أ) معنى ذلك هو مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بمشروعية اغتصاب الأرض وطرد أصحابها ..

يمكن على مضض قبول دولة إسرائيل كواقع ، ولكن لا يمكن الاعتراف بها كحق .

(ب) دولة إسرائيل - بطبيعتها الصهيونية ، وبوجودها القائم على تنابح الاغتصابات وعلى الحروب - في توسع دائم ، وهي دائماً طامعة بعد كل هجوم وكل ضم للأراضي العربية ، في مجال حيوي جديد .

فلا يمكن إذن الاعتراف بصحة حدود « مطاطة » فبأي إسرائيل يراد أن تعترف منظمة التحرير الفلسطينية ؟ هل تعترف بتقسيم ١٩٤٧ كما حددته الأمم المتحدة أم تعترف بما استولت عليه بعد ذلك بالإرهاب وبدير ياسين ؟ أم تعترف بإسرائيل ١٩٦٧ بأراضيها التي حصلت عليها بالحرب الوقائية والغزو ؟ أم تعترف بإسرائيل ١٩٨٢ بمستوطناتها

المتفائلة في كل مكان ؟ أم تعترف بإسرائيل كما هي في أحلام جنون العظمة لدى هرتزل (من الفرات إلى نهر مصر) ، ولدى بن جوريون (من الليطاني إلى سيناء) ، أو لدى شارون الذي يحلم بالسيطرة على الشرق الأدنى من الدردنيل إلى مصر والسويس ؟ أم هل تعترف بإسرائيل صاحبة مشروع تفتيت الدول العربية وفقاً لما فيها من جنسيات وأديان ؟

(ج) كيف يطلب من منظمة التحرير الاعتراف بصحة شيء بينما ينكرون عليها هي حقها في الوجود ؟ كيف يطلبون اعترافاً من هيئة لا يعترفون بوجودها ؟

ومع أي مفاوضات أكثر تمثيلاً للفلسطينيين يريد زعماء إسرائيل أن يتفاوضوا إذا كان من انتخبهم الفلسطينيون ، العمدة الذين اختارهم الفلسطينيون قد أبدوا رأيهم بأغلبية ساحقة أنهم مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد فصلهم جميعاً المحتل الإسرائيلي ؟

وهل ستكون التعديلات الجديدة على الأرض المحتلة تفاوض مع حفنة من الخونة والعلماء والدمى التي تحركها إسرائيل ، هل سيكون التفاوض مع أولئك الذين يعتبرون لدى العرب كما يعتبر « حداد » لدى اللبنانيين ؟

الحقيقة أن زعماء إسرائيل ابتداء من بيجن إلى شيمون بيريز لا يريدون التفاوض مع أحد ..

٧ - وإذن فلن يجيء حل المشكلة إلا من المجتمع الدولي ، من الأمم المتحدة ..

(أ) ليست المسألة كما تدعي دعاية كاذبة هي « إلقاء إسرائيل في البحر » إن الشيء الذي يقاومه الفلسطينيون كما يقاومه كل أنصار الحرية في العالم هو المذهب الصهيوني وليس الأشخاص ولا الشعب اليهودي ، الذي يقاومونه هو الصهيونية السياسية والتصرف العدواني الذي تقوم عليه دولة إسرائيل ويؤمن به سياساتها ..

(ب) هناك تشبيه يصح في هذا الوضع جاء على لسان أحد زعماء منظمة التحرير حين قال : لو ولد طفل غير شرعي فإننا لا نقتله حتى ولو كان ثمة اغتصاب .

(ج) ينبغي أن يضمن المجتمع الدولي أي حل لتلم المشكلة الدولية وذلك بغض النظر عما حدث في الماضي حين تناولت منظمة الأمم المتحدة - عندما كانت تحت سيطرة الغرب - بطريقة غير مشروعة أن تنتصف لليهود مما حاق بهم على يد هتلر فظلمت الفلسطينيين مع أنهم لا علاقة لهم بذلك الظلم ..

٨ - رغم أن زعماء إسرائيل قد استهانوا دائماً بقرارات الأمم المتحدة ، فإن الحل

الوحيد المشرف للجميع وضامن الأمن لجميع الإسرائيليين والعرب هو - كما اقترح ياسر عرفات - قبول الجانبين لكل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين ..

ولنذكر أن أول قرار يتعلق بالتقسيم ويرسم حدوداً ثابتة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية ..

والقرار الثاني يعترف بحق وجود إسرائيل .

ورغم أن تقسيم وإنشاء دولة إسرائيل يخرجان قانوناً عن صلاحيات الجمعية العامة ، وأنهما غير منصفين في أساسهما ، إلا أنهما قد تم الاعتراف بهما من الفلسطينيين احتراماً للقانون الدولي شريطة أن يقبلهما الجانب الآخر مع الضمانات الدولية

٩ - عند التطبيق يتبين أن العقبة الوحيدة هم الإسرائيليون الذين يرون أن خططهم الصهيونية وأن الأسطورة التي بنوا عليها دولتهم سيتجمدان نتيجة ذلك ...

وليس في اقتراح هذا الحل ما يعتبر خيالياً لأن الصهيونية السياسية قد أصبحت شيئاً خرافياً ويزداد هذا الوضوح يوماً بعد يوم ... والدليل على ذلك :

- أن ١٨٪ فقط من يهود العالم قد استجابوا لنداء العودة ...

— أن التيار قد انعكس وأصبح عدد من يغادرون إسرائيل أكبر من عدد من يفدون إليها ...

واذن يمكن لنا اليوم أن نسجل أن فشل الصهيونية السياسية ومشروعها لجلب يهود العالم إلى فلسطين انتهى لهم معزلاً خاصاً بهم هناك ، وما غلب المناهضون للسيامية شيئاً أكثر من ذلك ...

١٠ - تحقيق هذا الحل السلمى الذى سيخدم امكانية اشتعال حرب عالمية ثالثة هو امر يتوقف على المجتمع الدولى ...

واننا نستبعد طبعاً اللجوء إلى القوة ، ونشير فقط إلى أن اعتماد الدولة الصهيونية على الخارج اقتصادياً ومالياً وعسكرياً هو من الضخامة بحيث لو تم تخفيض مندرج في تلك المعونات لأمكن إجبار زعماء إسرائيل — من ييجين إلى بيريز — على التفاوض .

١١ - نشر هذا الكتاب بالفرنسية والانجليزية يهدف إلى أن يكون اسهاماً في تبديد غشاوة خداع الرأى العام العالمى ولا سيما في امريكا وفرنسا واسرائيل ، وذلك بعرض

الحقيقة الموضوعية العارية عليهم عن طريق ادلة لا تدحض من اجل طرح المشكلة لنقاش سياسي هادىء وواضح ..

١٢ - ويمكن البدء في تحقيق ما يلي :

(أ) ضمان الأمن لكل طائفة ، والقضاء على أى تمييز عنصري ، وضمان حق كل طائفة في تقرير مصيرها ، وان يكون ذلك تحت رعاية قوة دولية .

(ب) وقف ارسال الاسلحة والذخائر والمعدات العسكرية إلى الشرق الاوسط وتحريم جمع المال في أى بلد كان بواسطة الأجهزة الرسمية للدولة الإسرائيلية وهي « الحركة الصهيونية العالمية » ، والوكالة اليهودية العالمية ، وقد شكلت هاتان الهيئتان بناء على قوانين صدرت في دولة إسرائيل ..

(ج) تجريد دولة إسرائيل تدريجياً من صيغتها اليهودية وهي عملية لا بد منها لأمن إسرائيل ذاتها ولأمن جيرانها ، وهي وحدها التي تجعل التفاوض ممكناً وما يساعد على سير هذه العملية قدماً أن تصحبها عقوبات اقتصادية متزايدة حتى يخضع زعماء إسرائيل لضغط الرأي العام الإسرائيلي ويدأوا مفاوضات حقيقية مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع كل من تضرروا من سياستهم وعدوانهم منذ أكثر من نصف قرن ..

عند ذاك ، وعند ذاك فقط يفتح الباب أخيراً أمام اندماج حقيقي لتلك الدولة ، بعد زوال وضعها كجيب غربي استعماري عنصري في تلك المنطقة ، لتصبح جزءاً - كما كان يحلم به ويرجوه مارتن بوبر في ١٩٤٧ - من دولة فيدرالية يتعايش فيها دون أي تمييز عنصري .. العرب واليهود فوق أرض نشأت بها آمال الأديان السماوية الثلاثة من ملة إبراهيم : اليهود والمسيحيون والمسلمون فيواصلون حمل الرسالة الثقافية والقيم الإنسانية الرفيعة .

* * *

ولكن .. كيف يفكر معظم الشعب اليهودي في السلام ؟

عندما عرض الرئيس الراحل أنور السادات ، السلام على إسرائيل ، لم يكن لديهم خطة واحدة للسلام ، فإن لديهم عشرات الخطط الجاهزة للحرب ، ولا يوجد لدى القيادات السياسية الإسرائيلية خطة واحدة للسلام .

فإن معظم القيادات السياسية الإسرائيلية ترى أنها لم تحقق بعد إسرائيل الكبرى ، وأنها لم تحقق الهجرة كل يهود الشتات إليها لتقيم دولة كبرى قادرة على التهام الدول الأخرى ، بل ان

هناك — داخل القيادات الإسرائيلية — من يؤمن بأن التوتر الدائم ، والحرب الدائمة هي البوتقة الوحيدة لصهر اليهود في نسيج عبري واحد .. وأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد وقت الخطر ، بل إن السلام سوف يجعل إسرائيل « دولة أوسطية » ، بكل مافي دول الشرق الأوسط من أمراض وتخلف ..

وأن سياسة الردع والإرهاب هي الحاجز بين « الدولة اليهودية المتقدمة » وبين « الدول العربية المتخلفة » .. وعندما كانت إسرائيل تعاني من الإضطرابات الداخلية فتقوم بعمليات عسكرية على الحدود حتى « يتوتر المجتمع الإسرائيلي » للخطر الخارجي ، فينسى خلافاته ، ولكن في حالة السلام ، فإن هذا التوتر لن يكون له أثر ، وبالتالي فإن الخلافات الداخلية سوف تمزق إسرائيل . يرون أن السلام مرضاً قد يؤدي في النهاية إلى المجتمع الإسرائيلي ، فإن جوش ايمونيم^(١) ترى أنه في ظل السلام هناك خشية جديدة من أنه في حالة عدم وجود التوتر الأمني سوف يتدهور التوتر الفكري ، الذي مازال موجوداً هنا وهناك يعيش في القلوب ، والخطر الشديد من التفتت الداخلي سوف يهدد المجتمع الإسرائيلي ، يقولون أيضاً أن اليهود الذين يؤمنون بأن السلام لديهم هو قيمة عليا ومقدسة ونبوءة إلهية ليسوا على استعداد لاستبداله بسلام خاص بالجولات في الأهرامات ، ولا حتى بالمفهوم الإسمي الخاص بتخفيف العبء الأمني والمتصل بالميزانية الذي معناه هو الآخر ، راحة مادية مؤقتة ووهمية ..

* * *

إن فكر « جوش ايمونيم » منسجم مع تاريخ الكثير من قادة إسرائيل ، الذين تخرجوا من العصابات الإرهابية التي اندمجت في « جيش الدفاع الإسرائيلي » ثم تركوا جيش الدفاع الإسرائيلي ، ولعبوا دوراً هاماً — ومازالوا — في السياسة الإسرائيلية كمناحيم بيجين ، وأريل شارون وغيرهم ..

* * *

بعض المفكرين العرب ، يرون أنه لو تحقق السلام العربي الإسرائيلي فإن الصراع سيظل قائماً ولكنه سيأخذ شكلاً آخر ، وسوف يتحول إلى « صراع حضاري » .. وهذا ما نتمناه ، ولكن اليهود يرون أن السلام العربي ممكن تحقيقه ، ويصبح له ثلاثة أضلاع مهمة :

أولاً : العبقرية اليهودية ..

ثانياً : المال العربي ..

ثالثاً : الأيدي العاملة العربية بوفرته الحالية ..

فما هي رؤية اليهود « لعبقريتهم » ؟

اليهود يتصورون أنفسهم عباقرة ، وأن الله قد خصهم وحدهم بهذه العبقرية ويتحدثون كثيراً عن فضل عبقريتهم على الحضارة الإنسانية ، ومعنى ذلك أنهم « السادة في سلام الشرق الأوسط ، وأن يصبحوا ملوك الثروة ، للدول التي تملكها وأن تصبح الدول الفقيرة أجيحة عندهم .. وهذا ما يفعلونه بالعرب في الأرض المحتلة ..

* * *

اليهود بعقلية الجيتو .. وعقلية الإرهاب لن يكونوا جادين في سلام عادل وحقيقي ، بل انهم يعتبرون السلام مع مصر « هدنة زمنية » أو « حرب مؤجلة » .

لهذا فإننا يجب أن نضع استراتيجية ثابتة - وخاصة مصر - لقدرة السلام مع إسرائيل ، على ضوء الفكر اليهودي للسلام ، وهل هو سلام حقيقي ، أم هدنة زمنية وحرب مؤجلة ..

* * *

المصدر الرئيسي للإرهاب

متى تتوقف الآلام في الشرق الأوسط ؟

كيف يمكن نزع فتيلة الإرهاب من صدور معظم الإسرائيليين ؟

هل يمكن خلق مناخ جديد ، لا يسمح بظهور كاهانا جديد ولا بتأليه إرهابي كشارون ، ويقنع ويحرم حمامات الدم التي يقيمها الإسرائيليون ضد العرب ..

هل يمكن خلق الجار اليهودي ؟

* * *

في تصوري أن القادة الإسرائيليين عليهم أن يسعوا لتحقيق ذلك بأنفسهم لأن هناك خطراً مستقبلياً حقيقياً على إسرائيل نفسها ، نتيجة لهذا الصلف ، ونتيجة لعدم معرفتها أسلوباً للحوار بغير السكين ، وأن العرب الذين تمكنوا من الانصهار لعدة أيام في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ووضعوا طاقاتهم وإمكاناتهم بجذبة لحسم الصراع العربي الإسرائيلي ، وإن لم يحسم تماماً في أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فربما تتكرر أكتوبر جديدة وبطريقة أخرى ويحسم من خلالها الصراع حتى بامتلاك إسرائيل القنبلة الذرية ..

* * *

واليهود عاشوا - عبر التاريخ - في الدول العربية والإسلامية في سلام وأمان ، ولم تقم لهم الدول العربية والإسلامية تلك المجازر التي أقيمت لهم في أوروبا شرقاً وغرباً وعلى مر العصور ، يكفي أن المسلمين خرجوا من الأندلس فأقيمت لليهود في أسبانيا أكبر مجزرة لهم ..

* * *

الصهيونية ، ظهرت كحركة سياسية في بداية القرن العشرين كحل للمسألة اليهودية ، تدعو هذه الحركة إلى إقامة وطن قومي لليهود ، وكانت فلسطين ضمن دول أخرى لإقامة هذا الوطن ، فلقد فكر الصهيونيون الأوائل إقامة هذا الوطن في الأرجنتين ، ومرة أخرى في أوغندا ، ومرة في شبه جزيرة سيناء وأخيراً استقر بهم الأمر على فلسطين لتكون وطناً قومياً لهم ..

وبدأت الصهيونية تبذل جهدها لتهجير يهود العالم إلى فلسطين وخاصة بعد وعد بلفور لهم في ٢٢ نوفمبر عام ١٩١٧ ، لذلك خلقوا مناخاً بين يهود العالم « للقومية الحادة » والتي تقوم على التفوق العرقي ، مستمدين من التراث اليهودي والتاريخ اليهودي ، ما يؤكد هذا التفوق العرقي ، ويحتم إقامة دولة صهيونية يعيش فيها اليهود فقط مستقلين عن بقية شعوب العالم ، حيث إن « الدم اليهودي لم يندس بدماء أجناس أخرى » ..

واستطاع المفكرون الصهيونيون أن يأسروا يهود العالم في معتقل فكري بأن اليهودية هي « قومية دينية » وتحولت الصهيونية إلى مدارس متباينة إلا أنها تصب في « القومية اليهودية » و « التفوق العرقي للشعب اليهودي » .

* * *

ثم حدث أمر هام ساعد على إقامة « الدولة الإسرائيلية » في فلسطين بمفهومها القومي اليهودي ، وهو اضطهاد النازية لليهود ، وربما كان هذا هو أهم حدث في تاريخ إقامة الدولة الإسرائيلية ، فرما كان أهم وأخطر من وعد بلفور نفسه ، فوعد بلفور قد نظم المؤسسات الصهيونية ، وأضاء لهم طريق « العودة إلى أرض الميعاد ، وفتح لهم طريق للهجرة إلى فلسطين ، إلا أن الهجرة قد زادت إبان الحرب العالمية الثانية . فعندما بدأت النازية في اضطهاد اليهود وجد يهود أوروبا مؤسسات جاهزة تنظم لهم حل المسألة اليهودية .

* * *

ثم أقاموا إسرائيل على أساس « القومية اليهودية » ، وهو الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، وقوى عود هذه القومية بسرعة مذهلة ، فالقوميات الحادة سرعان ما تقوى وتصل بسرعة إلى مرحلة « فتوة الدولة » ، ويصعب « ثنى » العود القوي لهذه الدولة حادة القومية ، ولكن يمكن كسره . وهذا ما حدث في كل القوميات الحادة التي تبدأ على التفوق العرقي ، وأخطر مثال على ذلك هو « القومية الألمانية بزعامة أدولف هتلر .

إن مسار القومية اليهودية في الشرق العربي ، هو نفس مسار القومية الألمانية بقيادة أدولف هتلر ، واستطاع هتلر من خلال تغذيته لتفوق الجيش الآري الألماني أن يجتاح أوروبا شرقاً وغرباً ، ولكن سرعان ما انحسر ، وتم هزيمة « تفوق الجنس الألماني الآري » ، وانتهى هتلر .

واستطاعت إسرائيل من خلال تغذيتها لتفوق اليهود وبأنه شعب الله المختار ، أن تحتاج قواتها أراضي الدول العربية ، وما زالت مستمرة في « عملية الاجتياح » ..

* * *

ولكن .. بعض عقلاء اليهود أنفسهم قد رفضوا الحل الصهيوني للمسألة اليهودية .. واعتبروا أن هذا الحل يعد كارثة على اليهود أنفسهم ، ولقد بدأ الرفض منذ الصهيونية كحركة سياسية ، وعظم الرفض بعد قيام الدولة ، وبعد ممارستها للإرهاب بشكل لم يسبق له مثيل ، حتى ضد بعض الجاليات اليهودية .

ففي بداية الصهيونية ، رفضها بعض اليهود ، ولكل أسبابه ، فمنهم من رفض فكرة العودة إلى أرض الميعاد ، وأن فكرة العودة لا تتم إلا بظهور « الماشيح » ليقود شعبه اليهودي إلى هذه الأرض . وهناك من يرفض فكرة الصهيونية على أساس أنه انطلاق من عقلية الجيتو ، وأن حل المسألة اليهودية لا يأتي بإقامة « دولة » ولكن بالاندماج في الأغيار ، على اعتبار أن اليهودية دين وليست قومية .

ويرى آخرون من اليهود أن الصهيونية لم تقدم حلاً للمسألة اليهودية بل زادت الأمور تعقيداً ، وأن الحل يكمن في حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية وهو ما يسمى بالحل الاشتراكي ..

الصهيونيون ، اعتبروا هؤلاء خونة ، واستمروا في إقامة الدولة الصهيونية على التراب الصهيوني ، ورغم ذلك ، ومع كثرة المذابح وشدة الإرهاب الصهيوني ضد العرب ، ظهر بين الصهيونيين أنفسهم ما يرفض الأسلوب الصهيوني في إقامة دولة ..

فمثلاً .. ظهرت حركة الكنعانيين ، وهذه الحركة ترفض التفسير الصهيوني للوطن ، ويطالبون بتجنيد « عرب إسرائيل » في الجيش الإسرائيلي والمساواة بين العرب واليهود .. وكذلك حركة الماتسيين (البوصلة) والتي تطالب بحل ثوري اشتراكي في كل المنطقة العربية ، بالإضافة إلى حزب راکاح الشيوعي وبعض المفكرين الإسرائيليين . وهناك من رفض الإرهاب الصهيوني ، وشبهه بالنازية ..

يصف البروفيسور بنجامين كوهين من جامعة تل أبيب ، دخول القوات الإسرائيلية جنوب لبنان ، في رسالة نشرتها له جريدة « لموند » الفرنسية في ١٩ يونيو ١٩٨٢^(١) :

(١) روجيه جارودي - ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية .

— أكتب إليك وأنا أستمع إلى الترانزستور الذي أعلن لثوبه « أننا » في سبيلنا إلى بلوغ هدفنا في لبنان وهو : ضمان السلام لسكان الجليل . وهذه الأكاذيب المماثلة لأكاذيب جوبلز الدعائية تصيني بمس من الجنون . فالواضح أن هذه الحرب الوحشية ، وهي تزيد في بربريتها على كل ما سبقها من حروب ، لا علاقة لها البتة بمحاولة الاغتيال التي وقعت في لندن ، ولا بأمن الجليل .. أيمن أن يكون هناك يهود من ذرية إبراهيم ، يهود كانوا هم أنفسهم ضحايا لشتى الأنواع من الاضطهادات ، وعلى هذه الدرجة من الوحشية ؟ .. إذن فأعظم نجاح للصهيونية هو أنها تجردت من اليهودية ..

أيها الأصدقاء الأعزاء ، أفعلوا ما في وسعكم حتى لا تمكنوا أنصار بيجين وشارون من بلوغ هدفهم المزدوج وهو : تصفية الفلسطينيين تصفية نهائية .. (وقد أصبح هذا التعبير منتشرأ هذه الأيام) كشعب ، وحتى لا تمكنوهم من القضاء على الإسرائيليين ككائنات بشرية ..

ويلحق روجيه جارودي المفكر الفرنسي على رسالة كوهين بجامعة تل أبيب .. فيقول : — « وكان هذا الاستنكار شديداً في وطأته شدة تماثل ما قاله الرسل ، ما قاله أرميا ... اللذين يتنبآن لكم بالكذب .. من أجل أنهما عملاً قبيحاً في إسرائيل أو مثل ما قاله ميخا في إدانته لرؤساء إسرائيل اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم الذين ينون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم » .. ويرمون اليوم كل من خالف سياسة الدولة الصهيونية ، سياسة دولة إسرائيل ، يرمونه « باللامسية » أو معاداة السامية ، ولو قيس الأمور بمقاييسهم لكان كبار رسل اليهود مثل عاموس وأشعيا وميخا وأرميا معادين للسامية ..

فقداء الصهيونية لا يختارون اليوم من مآثرات اليهودية إلا ما يبرر سياستهم : مثل رواية المذابح التي ارتكبتها يوشيا ضد الكنعانيين فهي في نظرهم ذريعة لقتل عرب فلسطين ولبنان ، أما الملعات التي صلبها أرميا وميخا فإنهم يتناسونها ولا يذكرون سوى أحكام عزرا (أسداس) في التمييز العنصري ضد المساواة العالمية الداعية إلى المساواة بين الناس والتي نادى بها حزقيال وأشعيا مبشرين بالخلاص على يد المسيح المنتظر ..

لقد وقع اختيارهم على علماء الدين الذين قتلوا الرسل . وبسبب هذه الخدعة جعلوا نقد سياسة الدولة الصهيونية مرادفاً للعداء للسامية ، فأصبح كل من نقد سياسة الصهيونية أو دولة إسرائيل معادياً للسامية .

وليس ما يوجه اليوم من نقد للسياسة العدوانية الصهيونية هو السبب الذي قد يؤدي إلى العداء للسامية ، فالذي يؤدي حقاً إلى معاداة السامية هو التأيد غير المشروط لدولة إسرائيل ..

ولا يمكن لمناحم بيجن ، ولا أرييل شارون ، ولا اسحق شامير ، لا يمكن لهم وحدهم بما يرتكبونه من فظائع ، أن يخلقوا العداء للسامية . فلا يمكن لأحد أن يضع مجرمي الحرب من أمثالهم في كفة واحدة مع مجموع الشعب الإسرائيلي أو مع مواطنينا الفرنسيين من أتباع الدين اليهودي أو السنة اليهودية « فمذابح لبنان هي نتيجة طبيعية منطقية وحتمية لأيديولوجيتهم وللأساطير التي يؤمنون بها ولسياستهم التوسعية الاستعمارية ..

إنما الخطر الحقيقي في تشجيع ظهور واستمرار اللاسامية هم أولئك الذين يساندون الحكومة الصهيونية في إسرائيل مساندة غير مشروطة ويقرون الجرائم والأكاذيب البشعة ويرددون مختلف الشعارات ويتحدثون باسم مجموع « الطائفة اليهودية » على أن هناك عدداً كبيراً من أعضاء تلك الطائفة ، وعشرات الآلاف من الإسرائيليين داخل إسرائيل ذاتها قد أعلنوا تيرأهم من تلك الجرائم ومن أولئك المجرمين .

إن روجيه جارودي يشرح هنا - لماذا نحارب الصهيونية .. فيقول :

- « الشعب في إسرائيل وقد بدا يعي الألاعيب التي كان هو ضحيتها بسبب ما تفعله حكومة إسرائيل ، فينبغي أن نميز اليهودية من الأسطورية الصهيونية التي تشوه شكل اليهودية من أجل أغراض سياسية . وواجبنا أيضاً ألا نستسلم أمام الإرهاب الفكري الذي يقوم به من يعملون من أجل العنصرية الإسرائيلية ويغنون تقسيم العالم قسمين : صهيونيين ولا ساميين ، كما فعل بالأمس العنصريون عندما زعموا تقسيم العالم إلى يهود وغير يهود .

« إننا نحارب الصهيونية السياسية لأننا مناهضون للعنصرية ، وليست مناهضة الصهيونية هي التي تخلق اللاسامية فالأمر على عكس ذلك تماماً ، فالصهيونية هي التي تخلق اللاسامية .

إننا نحارب الصهيونية التي تستخدم الدين لإضفاء صفة القداسة على السياسة .

ويرى مفكر إسرائيلي آخر هو بنجامين عمري (٨٠ سنة) ، أن الحركة الصهيونية محكوم عليها بالموت على أرض فلسطين لا محالة ، وأن إنقاذ الشعب اليهودي في دولة إسرائيل الحالية لن يأتي إلا من خلال سلام حقيقي مع الفلسطينيين أولاً ، ومع العالم العربي

ثانياً^(١) ويندد بالإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين والعرب . ويقدم حلاً جريماً للمسألة اليهودية ، يقول عمري :

« إن قدرة إسرائيل على الاستيعاب فيما يتعلق بالمجتمع اليهودي المعاصر ، بما في ذلك مجتمع إسرائيل نفسها ، بلغت حد الصفر ، بل ما دون ذلك .. ومن ثم فمن المحتمل أن يكون ميزان الهجرة بالنسبة لليهود الإسرائيليين سلبياً (الفصل السادس) ، ولو على الأقل في الوضع السياسي الراهن ..

وهذا يعني أن الصهيونية الحقيقية أي الصهيونية التي ينظر إليها كحل للمسألة اليهودية قد ماتت منذ أوائل الخمسينيات وهي تستمر كشبح ، في شكل شعار أجوف يدعو إلى الهجرة إلى إسرائيل ..

وطالما كانت هناك صهيونية حية ، أي حركة قومية يهودية ، كانت هناك أمة يهودية لكنها لا تضم غير جزء من الشعب اليهودي ، والشعب اليهودي لا يزال موجوداً ولكن ليست هناك حركة قومية يهودية ، ولا أمة يهودية إلى جانب الأمة اليهودية - الإسرائيلية .

وما يسمى الآن بالصهيونية هي صهيونية غير حقيقية ، ولكنها مجرد صهيونية تساند الدولة اليهودية ، وتعتبرها بمثابة قبلة لليهود العالم ، هذا الاتجاه الذي يجمع عليه الآن تقريباً اليهود الغربيون بشكل جماعي - سواء اعتبروا أنفسهم كصهيونيين أم لا - لا يعني أكثر من تأييد إسرائيل كدولة تقتصر على اليهود - أو على الأقل دولة يسيطر عليها اليهود وحدهم - والمساعدة بشكل ثانوي لدفع اليهود الغربيين تجاه اليمين ..

ومن ثم يشجع اليهود الغربيون على الاستمرار في اتجاهها الحالي نحو تصفية نفسها ، سواء تحت حكم كتلة ليكود أو حكومة التحالف ، ونتيجة الحروب التي لا تنتهي مع العالم العربي ، وتدهور الإنتاج وما يترتب على ذلك من هجرة من إسرائيل ، وهذا الاتجاه لا يؤدي فقط إلى التصفية الذاتية للدولة اليهودية ، ولكن أيضاً إلى تقويض وجود المجتمع اليهودي على أرض إسرائيل .

وهناك اتجاه بديل ، وهو تشجيع إسرائيل على السعي من أجل السلام مع العالم العربي ، وفي المقام الأول السلام مع الفلسطينيين ، ولكن إقرار سلام حقيقي مع الفلسطينيين يقتضي بالضرورة حل مشكلة لاجئي ١٩٤٨ ، وهذا يعني تحويل إسرائيل إلى دولة يهودية - عربية ..

(١) بنجامين عمري - إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية .

إن الاختيار المائل أمام إسرائيل ويهود العالم هو : أما دولة يهودية تضمحل تدريجياً أو جالية يهودية قوية داخل دولة يهودية - عربية . والاختيار الثاني يعني التخلي عن الصهيونية في كل أشكالها . فالصهيونية التي نشأت في ظل مجموعة فريدة من الظروف ، انتهت باختفاء تلك الظروف لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها ألا وهو حل المشكلة اليهودية ..

لقد كانت محاولة شجاعة عميقة الأثر لإحداث ثورة في حياة الشعب اليهودي .. وقد أخفقت هذه الثورة . وقد ثبت أن المحاولة الصهيونية كانت مجرد حدث هام دون ريب في تاريخ الدياسبورا اليهودية الذي استمر خمسة وعشرين قرناً . ولكن هذه المحاولة خلفت تركة كان الإنجاز الإيجابي الوحيد فيها هو إيجاد مجتمع يهودي قوي في أرض إسرائيل ، كان قادراً على إنقاذ بضعة ملايين من اليهود من الدمار الذي حاق بيهود شرق ووسط أوروبا .. أما العناصر الأخرى مثل الدولة اليهودية غير القابلة للنمو ، والأيدولوجية الميتة ، والتنظيم الدامي (البغيض) والفكرة المتسلطة على الدياسبورا اليهودية وهي البقاء كدولة يسيطر عليها اليهود - كلها سم زعاف لجميع الأطراف المعنية ..

إن الأيدولوجية الميتة للثورة الصهيونية ، والتي تنتبأ بالهجرة الكبرى ما هي إلا سراب خادع لليهود الإسرائيليين ومصدر خوف وهمي للعرب يغذي عناد اليهود الإسرائيليين والرفض العربي ، وإسرائيل كدولة يساندها الغرب ويسيطر عليها اليهود وحدهم تغذي - بوجودها ذاته على هذا النحو - الرفض العربي ، وذلك لكونها حصناً غريباً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط . لذلك فإنها تبدو في أعين دول الشرق الأوسط كخطر دائم على استقلالها . وهو الدور الذي لا تستنكف المؤسسة الإسرائيلية - الصهيونية - أن تلعبه . إن السعي من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسي لقهر الفلسطينيين ، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الإسرائيليين ، أو منع إقامة الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، أو - وهو الأسوأ من ذلك كله - منع إعادة توطين اللاجئين عام ١٩٤٨ في وطنهم وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذي الرفض العربي ..

كل تلك الجوانب للتركة الصهيونية تشعل الصراع الإسرائيلي - العربي وتجعله صراعاً دائماً ..

إن تسلط فكرة سيطرة اليهود على دولة إسرائيل على الدياسبورا ، وهو ما تتصوره القيادة اليهودية الرسمية وسيلة للحفاظ على الحماسك اليهودي في الدياسبورا كما لو أنه كان

نوعاً من العلاج بالاشتغال ، يمكن هذه القيادة من التهرب من مسؤولياتها إزاء المشكلات الحقيقية للوجود اليهودي في العالم ، بما في ذلك ازدهار المجتمع اليهودي في إسرائيل .

إن بن جامين عمري (٨٤ سنة) .. كان قد آمن بالصهيونية وعاش في إسرائيل .. وترفض الصحف الإسرائيلية نشر أفكاره لأنها ضد « العقائد التي تحاول إسرائيل تنميتها ، ولأنه يرى أن الإرهاب الصهيوني في إسرائيل .. قد يؤدي إلى تصفية الوجود الإسرائيلي بالكامل ..

وفي آخر هذه الأوراق .. أطرح سؤالاً هاماً .. متى يتوقف الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين ، وضد العرب ؟ ..

.. الإجابة على هذا السؤال بضرورة التغيير في بنية إسرائيل نفسها في النظرية الصهيونية نفسها ، فلا يوجد في إسرائيل حمام وصقور ، ولكن يوجد نظرية صهيونية ، أدت هذه النظرية إلى بربرية إسرائيل قبل وبعد قيامها ، وإلى هجماتها الوحشية قبل وبعد كامب ديفيد .. فلن يتوقف الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين ، وضد العرب إلا إذا تم انتزاع هذه العقيدة السياسية القاتلة المسماة بالصهيونية ، وإلا فستظل هذه العقيدة تدفع بالإسرائيليين إلى مزيد من سفك الدماء ومزيد من المذابح ، ومزيد من العداء ، ولن تتوقف بحور الدم إلا برفض إجماعي في إسرائيل للنظرية الصهيونية ، أو حسم الصراع في أكتوبر جديد .. وبأسلوب جديد ..

خاتمة
الطبعة الثانية
يناير ١٩٩٥

لست ضد السلام .
ولكنني ضد السلام الإسرائيلي .
بمعنى آخر ضد الهيمنة الإسرائيلية على مقدرات الشرق الأوسط .
وأكرر أنني ضد كافة أنواع الإرهاب الإسرائيلي الذي تمارسه ضد الدول العربية ، حتى بعد إبرام اتفاقات سلام مع مصر والأردن وفلسطين .

* * *

لقد خاضت مصر حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ضد إسرائيل وحدها في الفترة من أكتوبر حتى ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ . استطاعت قوات مصر المسلحة أن تهزم الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم ، واستطاعت أن تضلل « أقوى » جهاز مخابرات في العالم ، وهو جهاز المخابرات الإسرائيلية - الموساد - ، وأذاقت القوات الإسرائيلية من نفس الكأس الذي أذاقته لقواتنا المسلحة عام ١٩٦٧ .
نعم تبادلنا الأدوار .

ولكن في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وجد أنور السادات أن قواته لا تحارب القوات الإسرائيلية ، وإنما تحارب القوات الأمريكية ، وبشكل سافر ، ورفض السادات استمرار القتال ضد القوات الأمريكية ، فإن نتيجة هذه الحرب (الأمريكية - المصرية) معروفة سلفاً ، ورويته المستقبلية ، أعلن أنه يمد يده للسلام ، ويترك أمر إسرائيل واستمرارها للأجيال القادمة ، ويحرر بقية سيناء بالسلام . وأيقن أن المجتمع الدولي لن يسمح بوضع نهاية إسرائيل - على الأقل خلال هذا الجيل - فكان دعوته للسلام !

* * *

فماذا كان مفهوم الزعيم الراحل أنور السادات للسلام ؟
في زيارته للقدس ، وفي عقر دارهم ، وأمام الصقور والحمامات أعلن أن الأرض مقابل السلام ، وأن القدس عربية الآن وإلى آخر العمر .
حتى أن أحد أعضاء الكنيست علق على خطاب أنور السادات « علينا أن نستعد للحرب » .

وفي اتفاقية كامب ديفيد - رغم الموقف العربي المشين - جاء السادات للفلسطينيين بكل الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن يسلم للمنظمة ، وأعلن جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأسبق والمشارك في مباحثات كامب ديفيد ، أن مناحم بيجين قد وقع بنفسه على تسليم القطاع والضفة للفلسطينيين ، وصرح كارتر بذلك في واشنطن أثناء الاحتفال - في البيت الأبيض - يتوقع اتفاق (غزة أريحا) ، والذي شهده بيل كلينتون الرئيس الأمريكي ، وياسر عرفات الرئيس الفلسطيني ، واسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل .



وقبل ، وأثناء زيارة السادات للقدس ، كانت هناك مفاوضات سرية بين العرب - واليهود ، وخاصة بين الأردن وإسرائيل ، وفي عام ١٩٩٣ ، كشفت إسرائيل كل اتصالاتها مع الأردن حيث أصدروا في لندن كتابا بعنوان « تواطؤ عبر الأردن » ، لكتابين إسرائيليين هما يوى ميلفان (صحفي إسرائيلي متخصص في السياسة الاستراتيجية والمراسل المتجول لصحيفة دافار) ، ودان رفيف مراسل شبكة التليفزيون الأمريكي (سى . بى . أس) في لندن) .

ويتحدث الكتاب عن الاتصالات الإسرائيلية الأردنية ، منذ عام ١٩١٨ (بعد وعد بلفور مباشرة) حتى يومنا هذا . ويروى المباحثات السرية في الغرف . وما يعلنه العرب خارج غرف المباحثات وكأنهم زوجة تعيش مع عدة أزواج في سرير واحد .



بعد قمة الخرطوم عقب نكسة عام ١٩٦٧ ، اتخذ الملوك والرؤساء العرب قرار « اللاءات » الثلاث وهي : لا تفاوض مع إسرائيل ، ولا اعتراف بإسرائيل ولا صلح مع إسرائيل ، وعندما عاد الملك حسين من الخرطوم موقعا على اللاءات الثلاثة ، طلبت إسرائيل من الملك العودة الى المفاوضات السرية ، فأرسل الى عبد الناصر يخبره برغبة إسرائيل في المفاوضات معه ، وقد يصل الأمر إلى « صلح منفرد » وأعطاه عبد الناصر الضوء الأخضر ، وبدأت ترتيبات اللقاء بين الملك وأبا ايبان وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت ، وأعدت الحكومة الإسرائيلية نقاط التفاوض ، واعتقد أن نقاط التفاوض التي اتفقت عليها حكومة إسرائيل عام ١٩٦٨ ، هي نفس نقاط المفاوضات الإسرائيلية .

المذكورة كما جاءت في الكتاب هي :

•• تحرى مدى استعداد الملك لاجراء تعديلات على الحدود .

- تحرى مدى موافقة الملك على ابقاء القدس موحدة تحت سيادة اسرائيل .
- تحرى مدى موافقة الملك على تجريد الضفة الغربية من السلاح .
- تحرى مدى شجاعة الملك على عقد صلح منفرد .
- اقامة علاقات اقتصادية قوية .
- تصفية (الإرهاب الفلسطيني) .
- حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .
- هذه هى أهم نقاط المفاوضات .

• • •

يصف الكتاب الجو الغامض الذى تم فيه لقاء الملك مع وزير الخارجية الإسرائيلى بحضور زيد الرفاعى صديق الملك وزميله فى الدراسة بكلية فيكتوريا بالاسكندرية . وعرض أبا ايان شروط الصلح مع الأردن ، وخاصة تعديلات الحدود ، ووافق الملك على هذه التعديلات مقابل ضم قطاع غزة للعرش الأردنى ، ليكون للأردن منفذ على البحر المتوسط . ووافق أبا ايان مبدئيا . وعاد إلى إسرائيل .

وعرض الى ما توصل اليه مع الملك .

يقول الكتاب « حاول أبا ايان عند عودته اقناع رئيس الحكومة بأن يقبل مبادئ التفاهم الذى أحرزه مع الملك ، إلا أن الوزراء الفعاليين (الذين يؤمنون باتخاذ الاجراءات الفعالة ، لاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية) خاصة إسرائيل جاليل ومناحم بيجين وموشى ديان ، انتقدوا الاقتراح الذى طرحه ايان على الملك حسين القاضى باعادة معظم الضفة الغربية ، وكان الاعتقاد قد ترسخ لدى الزعامة الاسرائيلية فى خريف وشتاء عام ١٩٦٧ بأن الجلوس عند خطوط وقف اطلاق النار هى مسألة طويلة الأجل ، وبالتدريج ترسخ الاعتقاد بأن الزمن يعمل لصالح إسرائيل خاصة بعد قرارات قمة الخرطوم ، وكتب يعقوب هيرتسوج عن ذلك فى مذكرته : على أى حال ، لا يوجد لدينا شعور بخيبة الأمل أو الاحباط لرفض العرب فكرة مفاوضات السلام ، هناك ادراك يتبلور بأنه كلما طال الوقت كان ذلك لصالحنا .

• • •

وفعلا . . .

كلما مر الزمن ، فإن واقعا جديدا يحدث فى كل الأرض العربية المحتلة .

ورحم الله السادات الذى رفض عدة أزواج على سرير واحد ، واختار المفاوضات علنا وبالأقمار الصناعية .

السلام كما تراه إسرائيل ، غير السلام الذى تراه مصر ، وبعض الدول العربية .

والسلام تراه إسرائيل فى « الهيمنة » على مقدرات الدول العربية .

*** إسرائيل : ترى فى السلام المرحلة الثانية من تطور دولة إسرائيل ، كانت المرحلة الأولى هى قيام الدولة ذاتها . ولقد قامت الدولة ، وتوسعت مرحليا ، لتدخل مرحلة « الهيمنة » على المنطقة ، وقد أعلنها بن جوريون فى الخمسينات لتكون دستور الكل القيادات الإسرائيلية التى جاءت بعده ، سواء كانوا من الحماثم أو من الصقور ، قال بن جوريون : أن السلام ضرورة حتى تسيطر العبقريّة اليهودية على المال العربى والعمالة العربية لامتكانية هذه العبقريّة فى استخدام الأثنين (المال والعمالة) الاستخدام الأمثل ، وبدأت إسرائيل مبكراً فى وضع الدراسات والأبحاث والمشروعات استعدادا لمرحلة السلام ، وخصصت أجهزة التجسس الإسرائيلية والمؤسسات البحثية ، لدراسة وجمع معلومات عن الطاقات العربية فى شتى المجالات . وأذكر حادثة طريفة حدثت فى معرض الكتاب ، فلقد عرضت المجالس القومية المتخصصة مجلدات تحتوى على رؤية علماء مصر لقضايا مصر الداخلية ، فى الاسكان والزراعة ومياه النيل ، والثروة الحيوانية بالإضافة إلى قضايا التطرف والانحراف ، ولقد قامت سفارة إسرائيل وحدها بشراء أكثر من نسخة من هذه المجلدات ، لتستعين بها فى خطة ما بعد السلام .

وتتكتم إسرائيل دراستها حول « التعاون فى ظل السلام » وكذلك تتكتم تحركاتها فى المؤسسات التمويلية العالمية . ورغم ذلك فإن بعض الدراسات حول المفهوم الإسرائيلى للسلام قد خرجت من حيز السرية ، منها على سبيل المثال لا الحصر نتائج مؤتمر اقتصادى عقد فى جامعة تل أبيب تحت عنوان « التعاون فى الشرق الأوسط من الحلم إلى الحقيقة » ودعى اليه حاييم بن شاهر ونشر فى كتاب صدر فى لندن عام ١٩٨٩ واسمه « التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط » يرى المؤتمر :

*** إسرائيل تعاني من نقص فى المياه ، وأن فائض نهر النيل ونهر الليطاني فى

لبنان ومياه نهر اليرموك تفقد بالتبخر ويرى المؤتمر « ضرورة » استفادة إسرائيل من هذه المياه .

♦ ♦ يقترح المؤتمر مد خط التابلاين إلى حيفا وأن هذه الوصلة سوف تكون أقل تكلفة من عبور قناة السويس بنسبة ٤٠٪ .

ويتحدثون عن تنمية الحروب العربية - العربية وارتباطها بتجارة السلاح الإسرائيلي .

وقدمت إسرائيل إلى البنك الدولي عدة مشروعات لتنمية الشرق الأوسط بشرط أن ينصب المشروع على أكثر من دولة في المنطقة ، تكون « للعبرية » اليهودية فيه موقع القيادة ، وشملت نقل المياه ، ونقل الكهرباء ، إقامة الموانئ ، مد خطوط السكك الحديدية ، شبكة طرق تربط إسرائيل بالدول العربية .

مشكلة إسرائيل ، أن « الهيمنة » هي محور التفكير الإسرائيلي في التعاون بعد السلام .

♦ ♦ عرب البترول : بعد غزو صدام للكويت ووقوف عدد من الدول العربية ، تؤيد الغزو ، ومؤازرة المنطقة لهذه الهجمة الشرسة ، حدث تغيير جذري وتحول مائة وثمانين درجة في عقول « عرب البترول » فلقد كفروا بالعروبة ، وكفروا بالقضية الفلسطينية ، وتصوروا أن إسرائيل أقرب وأرحم لهم من الجار العربي الغادر ، وأن - إسرائيل دولة قوية من الممكن أن تقدم لهم النجدة والحماية من غدر الأصدقاء والأشقاء وبتشجيع من الولايات المتحدة « هرولوا » سراً إلى إسرائيل يعتقدون الصفقات التجارية ويعالجون مرضاهم في المستشفيات الإسرائيلية ، حتى أن الصحافة الاسرائيلية قد أطلقت على مستشفى هداسا « مستشفى المرضى العرب الأثرياء » واحترمت إسرائيل رغبة العرب في سرية الزيارة والتعاون ، ثم جاء اتفاق غزة أريحا ، ليسقط حتى ورقة التوت - ولتبدأ مرحلة الجهر والفخر بالاتفاق وزيارة اسرائيل وبدأنا في صحف الخليج ضرورة الغاء المقاطعة العربية بكل درجاتها لإسرائيل وبدأت التجارة من إسرائيل إلى الكثير من الدول الخليجية ، كل ذلك قد تم قبل السلام الشامل أو عودة الأرض العربية المحتلة ، والمسألة المحيرة للعقل البشري أن إحدى الدول « الثورية » العربية التي ترفض اتفاق غزة أريحا ، وكامب ديفيد وكل صور التفاوض مع « العدو » الإسرائيلي ، هذه الدولة كلفت إسرائيل بإنتاج أنابيب مياه ، لها لمشروع مائي ضخم بها ، بالإضافة إلى أنابيب

بترول ، وتعمل المصانع الاسرائيلية ليل نهار- لتلبية احتياجات هذه الدولة .

* * *

* * الفلسطينيين : كانت دهشتي بالغة لتلك العواطف الفلسطينية الجياشة تجاه الإسرائيليين منذ اليد الممدودة لعرفات والمتردة لرايين في احتفالات - البيت الأبيض خلال توقيع اتفاق غزة أريحا ، بعدها بدأ الفلسطينيون التكالب على الاعلان في وسائل الإعلام الإسرائيلية عن التعاون الفلسطيني الإسرائيلي ، واندفاع قيادات فلسطينية « مناضلة » إلى عدسات التلفزيون الإسرائيلي للتحدث إلى « الشعب الإسرائيلي الصديق » أحسست أن الفلسطينيين والإسرائيليين يتحدثون واحدة لا أفهمها ولا أجيدها ، وأنها في خندق واحد ضد المفهوم المصري للسلام ، فسلامنا ، سلام بارد ، وسلام الإسرائيليين والفلسطينيين سلام حار (!!) وأن ما حدث خلال أكثر من نصف قرن مضى ما هو الا زوبعة في فئجان ، وأنا كنا ندخل بين « البصلة وقشرتها » . ثم كانت دهشتي أشد عندما سمعت من أحد قادة « النضال » الفلسطينيين تعبيراً أصابني بالغثيان « أن اسرائيل عدو شريف » . . . والعرب أصدقاء غادرون » لست ضد السلام ، ولكني مع السلام . . بشرط أن يصبح لدينا خطة لاعادة بناء المنطقة على أسس جديدة أو بمعنى آخر « استراتيجية تحبط خطة إسرائيل في الهيمنة » وخاصة أن مصر لديها قدرات ذهنية وبشرية وجغرافية ومادية أكثر مما لدى إسرائيل ، وهذه القدرات المبعثرة في حاجة إلى من يجمعها في منظومة واحدة مما يجعلنا لا نخشى التعاون مع إسرائيل ، وتطرح هذه الاستراتيجية على الأمة العربية من خلال « قمة عربية » ثم ندخل - بعدها - في التعاون الإقليمي مع إسرائيل بعد أن تكون قد انسحبت من الأراضي العربية المحتلة . وأحذر . . أنه بدون خطة . . وبدون الالتفاف العربى حولها . . والالتزام بها . . . فان الهيمنة الإسرائيلية قادمة لا محالة .

* * *

كان السادات يتعامل مع إسرائيل من مصدر قوة ، وكان يعلم جيداً أنه يتعامل مع إرهابيين ، وأن كل « أهدافهم » حققوها بالارهاب ، وخلال الصراع العسكرى معهم تعامل معهم بنفس مفهومهم ، حتى قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وبعد الحرب ، وبعد اتفاقية كامب ديفيد ، ورغم الموقف العربى المتشنج في بغداد ، وبعد بغداد ، لم ينهر السادات بإسرائيل ، فهو الذى انتصر عليهم ، وهو الذى أحدث شرخا في صدر كل إسرائيل لم يلتئم حتى الآن .

وكان يعمل على إقامة سلام دائم وفق مفهومه ، ومن خلال استراتيجية
مصرية يشارك فيها كل مفكرى واقتصادى وخبراء وعلماء مصر . ملاحظها كآلاتى :

• • نزع أسلحة الدمار الشامل من الشرق الأوسط ، ومعنى ذلك « تحجيم »
القوة العسكرية الإسرائيلية . التى تملك الآن كافة أسلحة الدمار الشامل .

• • الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة .

• • إقامة سوق شرق أوسطية لا ريادة فيها لإسرائيل ، ولا عدوان إسرائيل
على الدول العربية ، فإسرائيل مثلاً - تفكر - فى إقامة قناة بديلة لقناة السويس تربط
خليج العقبة بالبحر المتوسط . وهذا عدوان على مصر . قد يؤدى إلى نهاية السلام
وعودة شعب الحرب من جديد .

• • وقف الإرهاب الإسرائيلى ضد الفلسطينيين واللبنانيين .

• • المفاوضات حول ألياه .

• • •

أمر آخر أذكره للسادات . فلقد كان يرى ، أنه من الضرورى دفع إسرائيل
إلى دائرة الإسترخاء ، وما كان يتم ذلك إلا بالسلام ، ومعنى دخول إسرائيل هذه
الدائرة ، أصبحت واحدة من دول الشرق الأوسط ، يتم التعامل معها على قدر
حجمها ، بحيث تفقد كونها « ولاية أمريكية » أو محمية أمريكية فى الشرق الأوسط ،
تعيش وسط ملايين العرب . . العرب الذين يريدون الفتك بها .

• • •

أمر هام ، سمعته من ياسر عرفات ، حيث يقول أن إسرائيل ، ليست دولة
ديمقراطية ، بل هى دولة عنصرية ، ومن المستحيل أن تعيش أى دولة فى العالم طول
الوقت على القوانين العنصرية ، وعندما تسقط إسرائيل القوانين العنصرية ، كما
حدث فى أفريقيا ، فمن الممكن أن يحكم إسرائيل أو فلسطين ، مواطن فلسطينى .
وإسرائيل - بالارهاب - تريد أن تقضى على ما أطلقت عليه بالقبلة
البيولوجية ، أى زيادة تعداد الفلسطينيين ، مقابل انخفاض عدد اليهود ، حتى
داخل إسرائيل ، وهذه القبلة سوف تقضى على إسرائيل آجلاً أو عاجلاً .

• • •

نحن - كمرب - ندخل الآن فى « تعاملات » مع إسرائيل ، وعلينا أن نعرف
أن هؤلاء الذين يحكمون إسرائيل ما هم الا قيادات وعناصر ارهابية سابقة ، وأن
الحل الارهابى لكثير من المشاكل هو الاقرب دائماً للفكر الصهيونى . وأن العالم العربى
لم يعرف الإرهاب إلا بعد قيام إسرائيل ، وأن الإرهاب السياسى فى العالم العربى ،

يقف خلفه ويدعمه قادة إسرائيل ، ولقد ثبت ذلك للحكومة الجزائرية ، بأدلة لا تقبل الشك .

* * *

إن الإرهابيين الإسرائيليين في مآزق حقيقى من كمين السلام الذى وضعه في طريقهم أنور السادات في ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وهم الآن يحاولون التخلص من هذا السلام وتحويله إلى استسلام ، فقبولهم بسلام حقيقى يعنى الذوبان في « البحر العربى » أو يضعون بأيديهم نهاية لدولتهم العنصرية ، ومن هنا يجب أن نقف ضد هيمنة هؤلاء الإرهابيين على مقدرات الشرق الأوسط ، ونعرف دسائسهم ومؤامراتهم ، ولكى نعرف ذلك لابد أن نعرف تاريخهم الارهابى عبر العصور الماضية .

* * *

إسرائيل - بعد ثلاث اتفاقيات للسلام مع العرب ، تحاول - من خلال أقلام عميلة - أن تجعل تاريخها ، وأن تحسن صورتها أمام الجيل الجديد في العالم ، متصورة أن العرب سرعان ما ينسون ، وأطلقت في مكنتات العالم العربى كتباً مزيفة عن واقع اسرائيل الديمقراطية والحضارى ، ورغم ذلك لم تتمكن من جمع الارهاب في داخلها ، ففى ظل السلام مارست الارهاب وبشدة . ويسعدنى أن أقدم هذه الزيارة لإسرائيل واليهود منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . ليراها هذا الجيل دون أقنعة أو تجميل !!

وجيه أبو ذكرى

يناير ١٩٩٥

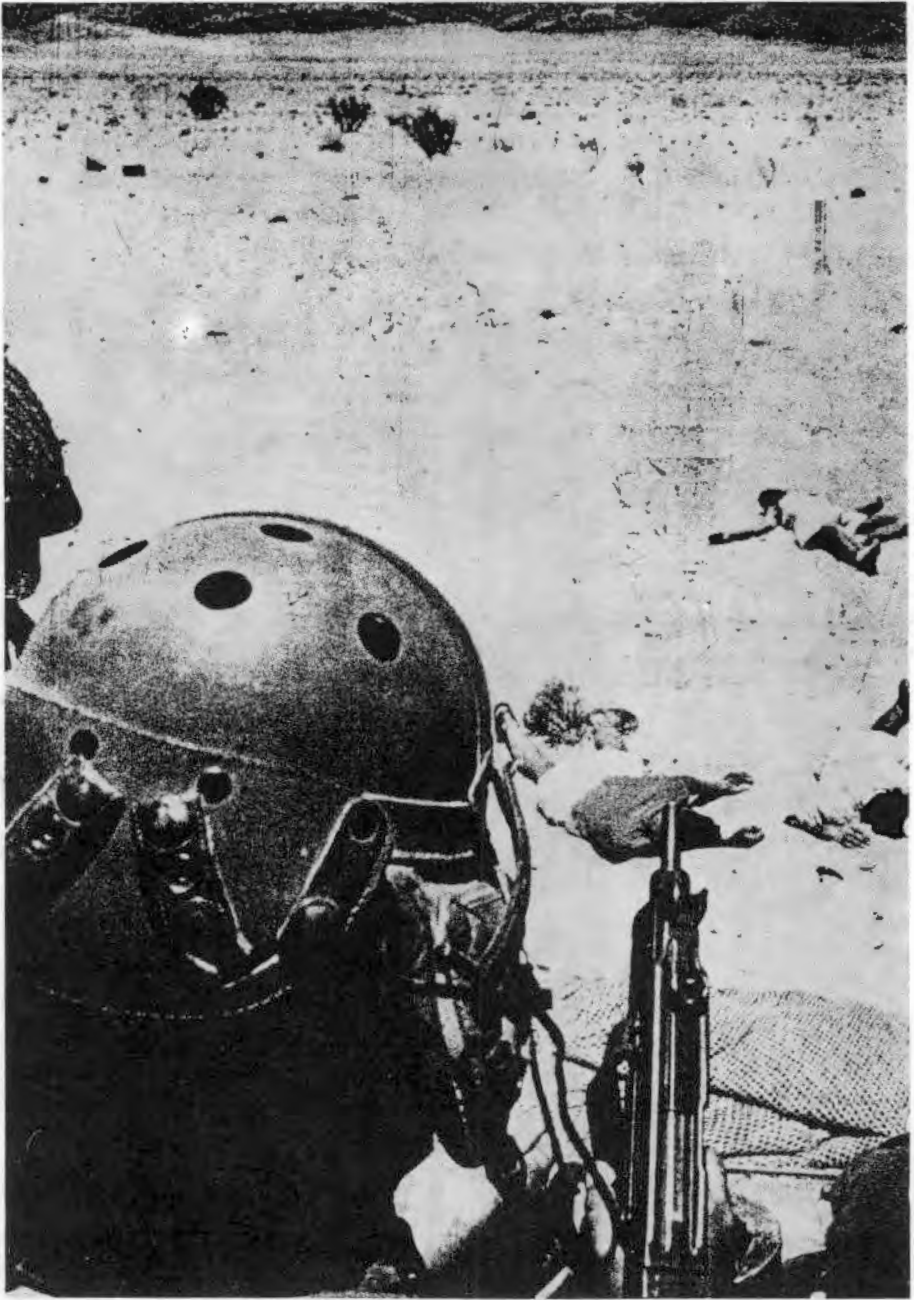
من صور الإرهاب الإسرائيلي



الأسرى المصريون في حرب عام ١٩٦٧ . بعد تصويرهم ، ولم يتم ترحيلهم إلى
السجون الإسرائيلية . بل قتلهم . . وذلك على أبواب العريش . . (صورة من
مجلة لايف الأمريكية - يونيو عام ١٩٦٧) .



تركوا جنود مصر الأشرى في حرب عام ١٩٦٧ ، بلا ماء ، حتى سقطوا موق من
الإعياء .. وأطلقوا على جثهم الذئاب .. حتى تتمكن الصحافة العالمية من تصوير
الذئاب وهي تنهش في جث جنود مصر . (صورة من مجلة بارى ماتش الفرنسية
يونيو عام ١٩٦٧)

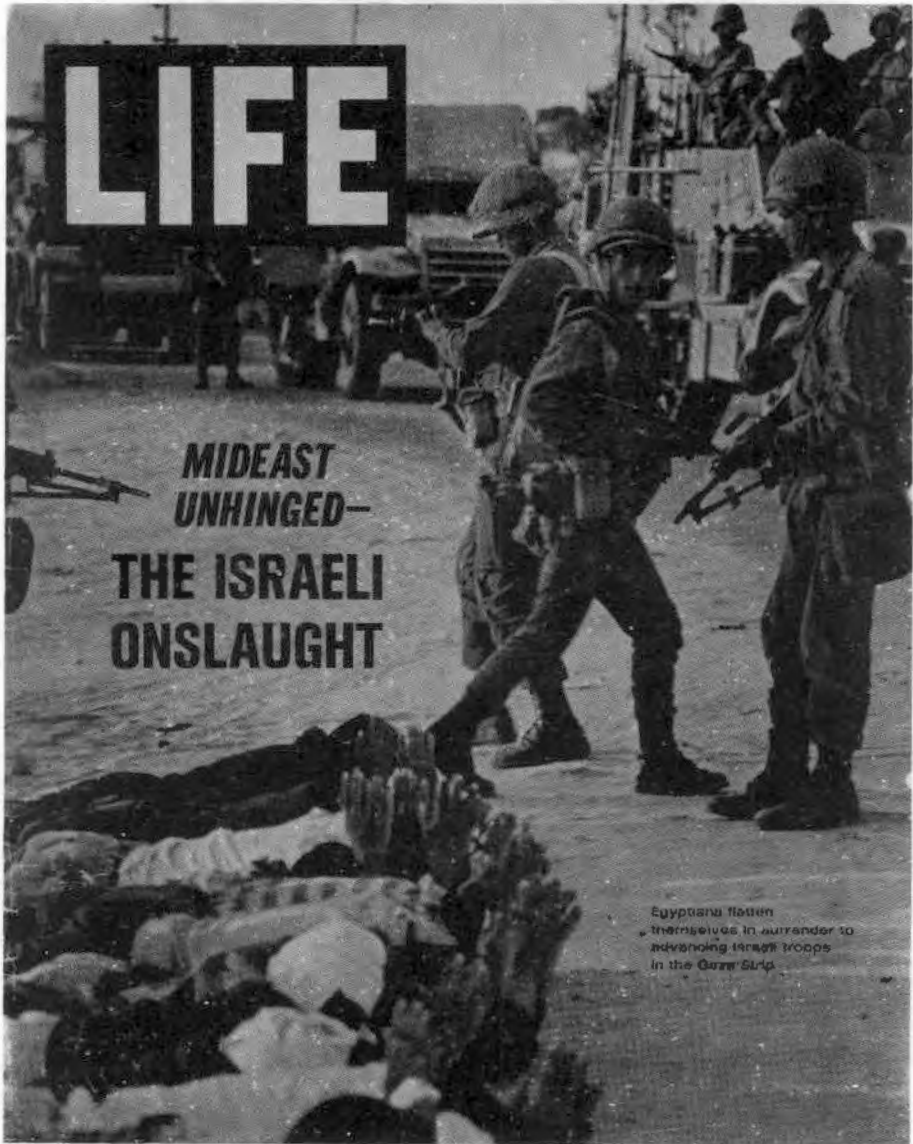


هؤلاء رفعوا أيديهم للإستسلام في صحراء سيناء عام ١٩٦٧ .. ولكن قوات إسرائيل
كانت تفضل قتل الأسرى . (صورة من مجلة بارى ماتش الفرنسية . يونيو عام

(١٩٦٧



العطش في سيناء :
جندى مصرى تركوه يموت
من العطش في سيناء ..
حتى تمكن عدسات
التصوير من تصويره !!
(صورة من مجلة بارى
ماتش الفرنسية -
يونيو ١٩٦٧)



LIFE

MIDEAST UNHINGED— THE ISRAELI ONSLAUGHT

Egyptians flatten
themselves in surrender to
advancing Israeli troops
in the Gaza Strip

المدنيون المصريون في قطاع غزة .. في حرب عام ١٩٦٧ وقد طلب جنود إسرائيل منهم
الإنبطاح علي الأرض .. ووضع وجوههم في الرمال .. ورفع أيديهم .. وقتلوا منهم
من قتلوا .. ثم تركوا الباقي يجمون في الصحراء أملا في عبورها إلى الوادي .. وقد
كانت هذه الصورة هي غلاف مجلة لايف الأمريكية (١٦ يونيو عام ١٩٦٧) .

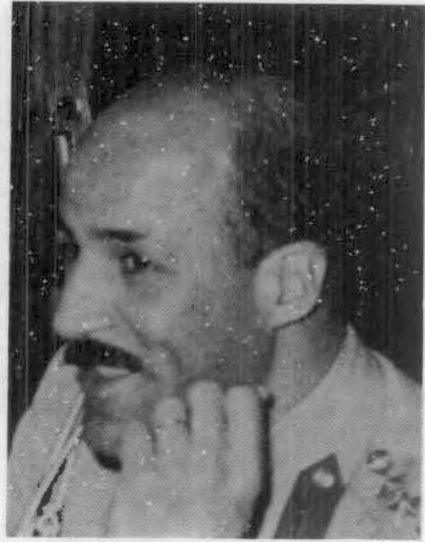
صورة نادرة عام ٥٦



جث المصريين المدنيين
الذين استشهدوا بأذى
الإسرائيليين في القنطرة
شرق .. عندما أقصمها
الجور الإسرائيليون ..
وماضي حياً يبحث عن
جثة قريبه .. بين عشرات
الشهداء .



لم يبق من مدرسة بحر البقر
في القرية المصرية سوى
الأنقاض .. وفي الصورة
الثانية .. النصب التذكاري
للشهداء الأطفال الذين
قتلهم الطائرات الإسرائيلية
صباح يوم ٨ أبريل عام
١٩٧٠.



من شهداء الإرهاب الإسرائيلي

القائم مقام صلاح مصطفى الملحق العسكري المصري في عمان .. اغتالوه
بطرد ناسف والبكاشي مصطفى حافظ .. حيث اغتالوه في قطاع غزة
وغسان كنفاني .. الكاتب الفلسطيني نفوا سيارته .. والشاعر كمال
ناصر .. اقتحموا عليه بيته في بيروت وزرعوا مئات الطلقات في جسده ..
والسياسي وائل زعبيتر .. قتلوه في روما .



الدكتورة سميرة موسى ..
عالمة الذرة . حيث قُلت
في أمريكا عام ١٩٥٠



والدكتور يحيى المشد ..
عالم الذرة المصري ..
حيث قُتل الصهيونيون في
فندق في باريس عام
١٩٨٠ .. بعد كافة
اتفاقيات السلام .



جنازة شهداء الطائرة الليبية المدنية .. وشعب مصر الغاضب وهم يحملون صور الضحايا ومن بينهم الشهيذة المذبة سلوى حجازى .. ألمع من ظهر على الشاشة الصغيرة .. وكانت فى طريقها من طرابلس إلى القاهرة .



الإرهابيون من جنود
إسرائيل أثناء ترحيلهم
الشباب الفلسطيني
من غزة والضفة في
طريقهم إلى عذاب
المعتقلات ، وصورة
أخرى وهؤلاء في
طريقهم إلى سجون
إسرائيل

طفل فلسطيني في مخيم الرشيدية .. فجأة أصبح بلا أسرة .. حيث مات كل أفراد أسرته في إحدى غارات رجال الكوماندوز الإسرائيليين على المخيم .





الإرهابي الأعظم مائير كاهانا زعيم منظمة كاخ الإرهابية يلقي أنبائه فنون الإرهاب . راجع (ص ٢٥٩)



السيد نصير المتهم باغتيال كاهانا بعد الإفراج عنه في ٢٢ / ١ / ١٩٩٢



اليهودى المتطرف باروخ حولد شتاين
٤٢ عاما مرتكب مذبحه حرم الإبراهيمي
ل ٩٤/٢/٢٥ راجع ص ٢٦٩



.. أحد ضحايا المذبحة الذين بلغوا ٧٩ شهيداً و ٢٥٦ جريحاً

... عائلة لا تنفك حياة أحد الأطفال المصابين في منسبة الحم الإبراهيمي



المراجع

(١) الكتب

- ١ — ابراهيم العابد . العنف والسلام — دراسة في الإستراتيجية الصهيونية — دليل القضية الفلسطينية .
- ٢ — أحمد شلبى . مقارنة الأديان — « اليهودية » .
- ٣ — ارسكين تشيلدز . الطريق إلى السويس .
- ٤ — أسعد مرزوق . نظرة في أحزاب إسرائيل .
- ٥ — الهيئة العامة للاستعلامات . ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية — الجزء الأول والثانى (— القاهرة .
- ٦ — ايلان هاليفى . إسرائيل من الإزهاق إلى مجازر الدولة — ترجمة منى عبد الله .
- ٧ — بنجامين إمري . إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة اليهودية .
- ٨ — توم ميخوف . الإسرائيليون الأوائل — دار دومينو للنشر — ترجمة خالد عايد وآخرون — الناشر . مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
- ٩ — جلسات مجلس الدفاع العربى المشترك — ١٩٦٤ .
- ١٠ — دينيس ايزنبرج — الين لاندو — اورى دان — الموساد — جهاز مخابرات إسرائيل السرى .
- ١١ — رشاد عبد الله الشامى — الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية . سلسلة عالم المعرفة — عدد ١٠٢ — الكويت .
- ١٢ — رفائيل ايتان — مذكرات — ترجمة غازى السعدى .
- ١٣ — رفيق حبيب مطلق — الحياة السياسية فى إسرائيل .
- ١٤ — روجيه جارودى — ملف إسرائيل — ترجمة . د . مصطفى كامل فوده —
- ١٥ — فرشيف شيف — وآهود يعارى ويعقوب تيمدمان — لبنان : آخر وأطول حروب إسرائيل — ترجمة — على حداد .

- ١٦ — سبرجى سيدوف — الصهيونية ونهج الإرهاب .
- ١٧ — صفاء حسين زيتون — صبرا وشاتيلا .
- ١٨ — عبد الوهاب محمد المسيرى . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية مؤسسة الأهرام القاهرة .
- ١٩ — عزيز العظمة : اليسار الصهيونى .
- ٢٠ — غازى السعدى : مجازر وممارسات — دار الجليل للنشر — عمان — من ملفات الإرهاب الصهيونى فى فلسطين .
- ٢١ — فوزى الأستمر : عربى فى إسرائيل .
- ٢٢ — كارل ماركس : المسألة اليهودية .
- ٢٣ — محمد خليفة التونسى — بروتوكولات حكماء صهيون — ترجمة . مكتبة الخانكي — القاهرة .
- ٢٤ — محمد فوزى — (فريق) — حرب الثلاث سنوات .
- ٢٥ — محمود عباس (أبو مازن) — اللاجئين الفلسطينيون اليهود .
- ٢٦ — مصطفى عبد العزيز — إسرائيل ويهود العالم .
- ٢٧ — مناحم بيجن — التحدى
- ٢٨ — موسى شاريت — يوميات موسى شاريت — تل أبيب — ١٩٧٩ .

(ب) الدوريات

الصحف :

- * الأخبار — أعداد أكتوبر ١٩٥٤
- * الأخبار — أعداد سنوات ١٩٨٤ — ١٩٨٥ — ١٩٨٦ — مقالات الأستاذ : مها عبد الفتاح — تحت عنوان (قليلا من الدبلوماسية) .
- * الأهرام .
- * آخر ساعة .

- * القبس الكويتية — عدد ١٨ / ٥ / ١٩٨٤ .
- * المدينة السعودية — عدد ١١ / ٩ / ١٩٨٢ .
- * صحيفة معارف الإسرائيلية — ملحق العدد الصادر في ٣١ / ٧ / ١٩٨١ ..
- * هآرتس الإسرائيلية — العدد الصادر في ١ / ٨ / ١٩٧٩ .
- العدد الصادر في ١ / ١ / ١٩٨٤ .
- * بديعوت احرونوت العدد الصادر في ٦ / ٧ / ١٩٧٩ .
- * هاعولام هازيه . العدد الصادر في ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٣ — مقال عن : الفاشية الجديدة في إسرائيل بقلم دان عومر .
- * لوموند الفرنسيه — العدد الصادر في ١٩ / ٦ / ١٩٨٢ .
- * مجلة دير شيجيل الألمانية أعداد شهر يونيو ١٩٦٧ .
- * صحيفة الجارديان البريطانية العدد الصادر في ٩ / ٨ / ١٩٨٢ .
- * نص محاضر جلسات المحكمة المركزية الاسرائيلية في مذمة كفر قاسم .
- * مجلة بارى ماتش الفرنسية (أعداد شهر يونيو ١٩٦٧) .
- * مجلة لايف الأمريكية (أعداد شهر يونيو ١٩٦٧) .

(ج) لقاءات شخصية

- | | |
|---------------------------|--|
| ١ — لواء أحمد رجائي عطيه | (القوات المسلحة المصرية) |
| ٢ — الطيب عبد الرحيم | ممثل منظمة التحرير الفلسطينية |
| ٣ — أورى افنيرى | كاتب إسرائيلي |
| ٤ — العميد شوقي حامد | (القوات المسلحة المصرية) |
| ٥ — صلاح خلف (أبو أياد) | الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية |
| ٦ — عماد شكور | مستشار ياسر عرفات |
| ٧ — ياسر عرفات | رئيس منظمة التحرير الفلسطينية |

* ملاحظة : ترتيب الأسماء طبقاً للحروف الهجائية .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٧
مقدمة الطبعة الأولى	٩
الفصل الأول	
جذور الإرهاب الإسرائيلي	١١
الفصل الثاني	
إرهاب ما قبل الدولة	٣٣
الفصل الثالث	
إرهاب الدولة	٨٧
الفصل الرابع	
الجذور الإرهابية للموساد	١١١
الفصل الخامس	
الموساد واغتيال القيادات الفلسطينية	١٢٥
الفصل السادس	
الموساد والإرهاب ضد الدول العربية	١٥١
الفصل السابع	
الإرهاب الإسرائيلي خلال الحرب	١٧١
الفصل الثامن	
صبرا وشاتيلا .. أبشع مذبحة في التاريخ	١٩٣
الفصل التاسع	
الإرهاب الإسرائيلي ضد الأسرى والمعتقلين	٢٢٩
	٣٢٧

	الفصل العاشر
٢٤٣	الجيتو الكبير
	الفصل الحادى عشر
٢٦٧	إرهاب ما بعد السلام !
	الفصل الثانى عشر
٢٧٥	مستقبل السلام العربى الاسرائيلى
	الفصل الأخير
٢٩١	المصدر الرئيسى للإرهاب
٢٩٩	خاتمة الطبعة الثانية
٣٠٧	الإرهاب .. بالصور
٣٢٤	المراجع
٣٢٧	المحتويات

رقم الايداع ٢٣٣٩ / ١٩٨٧

الترقيم الدولى ٢-٦١-١٣٦-٩٧٧ ISBN